

26/5/19

المكتبة الاحمدية . في بيروت

عظائمنا شيبنا بيت

كتاب اخلاق وآداب واجتماع

الشيخ مصطفى الفلايبي

« استاذ التفسير والآداب العربية في الكلية »
« الاسلامية سابقا وعضو المجمع العلمي العربي في دمشق »

الطبعة الرابعة

حق اعادة الطبع محفوظ للمؤلف

المطبعة الوطنية * بيروت : ١٣٥٢ هـ و ١٩٣٣ م



الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين^(١) .
إياك نعبد وإياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم^(٢) ، صراط
الذين أنعمت عليهم ؛ غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين . .
وبعد فهذه شذرات^(٣) كنت أنشرها في جريدة المفيد ، تحت
عنوان « عظة الماشنين » وبامضاء « أبي الفياض » . وقد كان لها في
نفوس القراء جميل الوقع ، وعظيم التأثير . وكان كثير منهم يستحسن
أن تُطبع هذه العظات في كتاب وتُنشر بين من لم يكن يطالع تلك
الجريدة . فلما قتلت هذا الأمر يقيناً^(٤) ، عَزَمْتُ على شرها دين
شبان الأمة لتكون لهم نبراساً^(٥) وهدى . والله الموفق

الغلاييني

سنة ١٣٣١ هـ

بيروت

سنة ١٩١٣ م

-
- (١) يوم الدين : يوم الحساب والحزاء على الأعمال ، وهو يوم القيامة .
(٢) الصراط : الطريق . المستقيم : المعتدل ، ضد المعوج
(٣) الشذرات : جمع شذرة وهي اللآلئ الصغار ، وقطع الذهب تلتقط من معدة
بدون اذانة الحجاره . وشبه بها المواءمات المحيطة والقطع الحسنه من الكلام .
(٤) قتل الامر يقيناً : علمه عام اليقين ، واليقين هو ازالة الشك وتحقيق الامر
(٥) النبراس : المصباح يستضاء به .



إخواني الناشئين :

هذه رمظات ^(١) نافعة ، ولا آلي لامة ، سترونها منظومة ^(٢)
العقد في سلك العبرة ، منشورة ^(٣) الفائدة بقلم الحكمة ، ترشد الى
المنهج ^(٤) القويم ، بالاسلوب الحكيم ^(٥) ، وتهدي من عمل بها الى
صراط مستقيم .

أنشأتها ورائدي ^(٦) فيها الإخلاص ، وصوأي ^(٧) صدق النية . وهي
تحيل بين جوانحها ^(٨) موضوعات شتى ، من الأجتماع والأخلاق ،

(١) الرمظات : جمع عظة وهي النصيح والتذكير بالواقف

(٢) منظومة : مجموعة مؤلفة

(٣) منشورة : مفرقة

(٤) المنهج : الطريق الواضح

(٥) الاسلوب : الطريق ، والفن من الكلام . الحكيم : ذو الحكمة ، وهي
الكلام الموافق للحق ، ووضع الشيء في موضعه

(٦) الرائد : الدليل . واصل معناه : الرسول الذي يرسله القوم ليرى لهم
مكاناً يدرلون فيه

(٧) الصوى : حجارة تنصب في الطريق ايتهدي بها المارون . وهي جمع
صوة ، بصم الصاد وفتح الواو مشددة ، والمراد بها هنا الادلة

(٨) الجوانح : الاضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر كاضلوع مما يلي الظهر .
والترائب : عظام الصدر . ومرددا تربية

وَتَنْطَوِي ^(١) أَضَالِعَهَا ^(٢) عَلَى مَضَامِين ^(٣) مُتَّوَعَةٍ مِنَ الْآدَابِ
وَالْحِكْمِ .

فَهِيَ جَعْدَةٌ عَيْرٌ ، وَكِبَانَةٌ ^(٤) عِظَاتٍ ، يَذُرُّ بِهَا ^(٥) النَّاشِيءُ
عَنْ نَفْسِهِ حَيْوُشَ الْخُمُولِ ، وَكَتَائِبَ الضَّعَةِ ^(٦) ، وَيَدْفَعُ مَا يَنْتَابُهَا
مِنْ عَوَادِي ^(٧) الْأَمْرَاضِ الْأَحْتِيَائِيَّةِ ، وَطَوَارِي ^(٨) الْأَسْقَامِ الزَّائِمَةِ .
فَعُضُّوا عَلَيْهَا ، أَيُّهَا النَّاشِئُونَ ، مَا تَوَارِجُذ ^(٩) ، تَكُنْ لَكُمْ دَرِيئَةً ^(١٠)
يَوْمَ تَكُونُونَ شُئَانًا ، وَذُخْرًا ^(١١) . حِينَ تَصِيرُونَ شَيْئًا ^(١٢)
وَسَلَامٌ عَلَى مَنْ سَجَعَ عِظَتِي فَوَعَاها ^(١٣) وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا

(١) تنطوي : تشمل

(٢) الأضالع : عظام صغيرة من عظام الحنب ، وهي جمع اصاع ، ومفرد الاصاع صاع

(٣) المضامين : جمع مضمون ، ومضمون الكلام : فحواه وموضوعه

(٤) الحبية والكبانة : الوعاء ، واصل معناها : وعاء الدهان والشاب

(٥) يذُرُّ : يدفع

(٦) الكتائب : الحيوش ، وموردها كتبة . الصمة : الالحاط والخسة

(٧) ينتاب : يصبها وبأبيها مرة بعد أخرى العوادي : الدوازل

(٨) الطواري : الخواص والدواهي

(٩) توارجذ : اقاصي الاضراس . وهي اريمة ، ويقال عص على الامر سواحدة

وشاحذبه اذا حرص عليه

(١٠) الدريئة : ما يستتر ، الصائد ليحتل الصيد ويحده حتى اذا امكنه الصيد

رمى . وهذا الامر دريئة ي اي وقاة وحفظ

(١١) الذخر : الذخيرة . وحمه اذخار

(١٢) الشيب : جمع اشيب ، وهو مر ادركه الشيب

(١٣) وعاء : حفظها وتدبرها وقهاها

(١)

الاقدام

حَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ لِيَكُونَ عَامِلًا ۖ لِمَا يُحْيِيهِ ، سَاعِيًا فِي مَنَاكِبِ
الْأَرْضِ ^(٢) ، مُنْتَفِعًا بِخَيْرَاتِهَا ، دَائِبًا ^(٣) فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمْعِ
الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ الْجَمِّ ^(٤) . وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِقْدَامِ وَبَدَلِ الْجُهْدِ ^(٥) .
إِنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ لَمْ يَبْلُغْ تِلْكَ الْعَظَمَةَ الْهَائِلَةَ ^(٦) ، وَلَمْ يُذَكِّلْ
تِلْكَ الْعُقَبَاتِ ^(٧) الصَّعْبَةَ الْمُرْتَقَى ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى مَا يُطَاطَأُ ^(٨) بِمَنْدَ
ذِكْرِهِ كُلِّ رَأْسٍ ، إِلَّا بِالْإِقْدَامِ وَإِثَارَةِ الْحِمَّةِ ^(٩) .
وَإِنَّ الْخَلْفَ لَمْ يَتَأَخَّرْ عَنْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ ، وَلَمْ يَتَقَصَّرْ عَنْ تِلْكَ
الْعَايَةِ ^(١٠) ، إِلَّا مَعْدَةً أَنْ تَقَاعَسَ ^(١١) عَنِ الْعَمَلِ النَّافِعِ ، وَأُحْجِمَ عَنِ
الْأَخْذِ بِشَتَاتِ ^(١٢) الْحَزْمِ .

- (١) الاقدام : مصدر اقدم على الامر بمعنى حروا عليه
- (٢) مناكب الارض : اواحبيها وجوانبها وطرقها . ومفردا منكب
- (٣) دائبا . حادا مستمرا .
- (٤) الجم : الكثير العزيز
- (٥) الجهد : المشقة والطاقة
- (٦) الهائلة : العظيمة . والهائل من الامور : ما عظم عليك وافرعتك
- (٧) بدال : ينحصر ويحور . العقبات : الصعوبات ، ومفردا عقبة ، واصل معناها : المرتقى الصعب في الحل ، والطريق في الحل
- (٨) يطاطأ : ينحصر وينكس
- (٩) اثاره الحمه : تحريكها وتحييجها
- (١٠) العاية : المدى ، رخامة الامر ، والعائدة المطلوبة . والنسبة اليها عائي ، وجمعها عاي وعابات ، كما تقول : ساعة وساع وساعات
- (١١) تقاعس : تأخر ولم يقدم ، والتقاعس : التأخر
- (١٢) احجم : كف وتأخر . الشتات : المختلف المتفرق

إِنَّ الْأُتَمَّ كُلَّهَا قَدْ نَهَضَتْ ، وَبَلَغَتْ مِنْ مُخْتَلِفِ الْمُنَى ^(١) . مَا بَلَغَتْ ،
بَعْدَ أَنْ كَانَتْ هَهُاءَ ^(٢) مَنشُوراً ، وَطَمراً ، مَحْقُوراً ^(٣) ، وَعُضْواً
مَبْشُوراً ^(٤) ؛ وَنَحْنُ لَمْ تَزَلْ فِي سُبَاتٍ ^(٥) عَمِيقٍ ، وَكَانَ مِنَ التَّقَامُسِ
سَحِيقٍ ^(٦) ؛ وَقَدْ كُنَّا السَّابِقِينَ الْأَرَائِرَ ، وَالْهَادِرِينَ الْمَهْدِرِينَ ١

فَأَحْيُوا ، يَارَعَائِكُمْ اللَّهُ ، هَذَا الْمَجْدَ الدَّائِرَ ^(٧) ، وَاقْبَلُوا ذَلِكَ السَّرْفَ
الْعَائِرَ ^(٨) ، وَأَبْشِرُوا ^(٩) . مَا كَانَ مِنْ عِزِّكُمْ مَفْشُوراً ، وَلَا تَجْعَلُوهُ
شَيْئاً مَهْجُوراً ، فَإِنِّي أَرَى ، إِنْ لَمْ تَسْتَيْقِظُوا ، كَفْنَا مَنشُوراً وَقُوراً
مَحْفُوراً ؛ وَهَذَا لَكَ نَدْوُ ثُبُوراً ^(١٠) ، وَلَا نَجْدُ نَصِيراً ، وَلَا
نُلْفِي ظَهيراً ^(١١) .

فَأَنْهَضُوا قَهْضَةً تَمِيدُ لَهَا الرَّاسِيَاتُ ^(١٢) ، وَتَكُنْ عِنْدَهَا

-
- (١) المتى : جمع منية . وهي البعينة والمراد . ما يتمناه الاساس
(٢) الهباء : (الغبار ، او شيء يشبه الدخان ينث في ضوء الشمس ، منشوراً : متفرقاً
(٣) الطمر : الثوب الخلق البالي ، وحمه اطار . المحقور : المحتقر المردول
(٤) المبشور : المقطوع
(٥) السات : النوم ، والراحة : ومنه يوم السبت لانه يوم راحة لليهود
ينقطعون فيه عن الاعمال
(٦) سحيق : بعيد
(٧) الدائر : الذي الممحور
(٨) اقبلوا السرف : انفضوا به وارفعوه . يقال عثر فلان فأقته عثرته .
اي كما فرفته من كبوته
(٩) اشروا : احيوا ، والاشار : الاحياء بعد الموت
(١٠) الثبور : الهلاك والחסار والحيلة
(١١) لفي : محم . ظهيراً : معيناً
(١٢) تמיד : يضطرب ويتحرك وترىخ . الراسيات : الجبال

الجامحات (١) قل أن تُقرَّعنا القارعات (٢) ، وتُصَحَّنا الصَّاحَاتُ (٣) ،
فَنَلْنِيسُ الْمَات ، فلا نجدُ إلاَّ الوَبِلَات (٤) .

إنَّ في يَدِكم أَمْرَ الْأُمَّة ؛ وفي إقدامكم حَيَاتُهَا .
فَأَقْدِمُوا إِقْدَامَ الْأَسَدِ الْبَاسِلِ (٥) ، وَأَنْهَضُوا نُهْضَ الرَّوَايَا (٦)
تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاحِ (٧) ، تَحْيَ بِكُمْ الْأُمَّة .
وَأَنَّهُ لَكُمْ مُعِين ، وَهُوَ يَجْزِي الْمُقْدِمِينَ .



-
- (١) الجامحات : الخيول تجمع راحتها حتى تلقيه عن ظهرها
(٢) تقرَّعنا : تصيبنا وتفاخنا . القارعات : المصائب والدواهي
(٣) تصحَّنا : تضرنا ، أو تصم آذاننا . الصَّاحَاتُ : صبيحة تصم الأذان
لشدتها ، والداهية . وأصل معنى الصخ : صرب الحديد على الحديد
(٤) الوَبِلَات : الفضائح والبلبات ، ومفردتها وبلة
(٥) الباسل : الشجاع الكريه اللقاء
(٦) الروايا : الرواب التي تحمل مزادات الماء . ومفردتها راوية
(٧) الصلاصل : الاصوات والرعود . والمراد بذات الصلاصل : المزادات
التي تحمل على الروايا لأنها تكون من جلد فتصوت عند قيام الدابة بها وعند مشيها .
والمراد انهضوا نهوضاً شديداً

الصبر

إِنَّ الرَّجُلَ الْعَاقِلَ مِنْ يَصْبِرُ عَلَى الْخُطُوبِ ^(١) ، وَيُقَابِلُهَا رَابِطَ الْجَأَشِ ^(٢) ، لَا مَنْ يُقَابِلُهَا مَشْدُودَهَا ^(٣) ، لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ .

أَمَّا النَّفْسُ الْعَاقِلَةُ ، فَانَّ فِيهَا مَلَكَةُ التَّوَدَّةِ ^(٤) وَالتَّائِي ، وَهِيَ تَسْعَى هَادِئَةً يَتْرِكُ مَا أَلَمَ بِهَا ^(٥) مِنَ الْخُطْبِ ، وَقَدْ دَفَعَتْ عَنْهَا عَادِيَةَ الْمَعْنِ ^(٦) .

أَمَّا النَّفْسُ الْجَاهِلَةُ ، فَهِيَ دَائِمَةٌ لِاضْطِرَابٍ لِكُلِّ خُطْبٍ يَقْرَأُ ، وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا ^(٧) ، لِأَنَّهَا تَعْتَقِدُ أَنَّ لَا قِبَلَ لَهَا ^(٨) بِتَلْقِيهِ ، وَلَا طَاقَةَ لَهَا بِدَفْعِهِ ، فَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ التَّسَلُّسَ مِنْهُ ، وَلَا تَشْدُرُ عَلَى النَّفْثِيِّ ^(٩) مِنْ عَادِيَتِهِ .

وَهَذَا هُوَ التَّرْقُّ بَيْنَ النَّفْسَيْنِ

(١) الخطوب : الامور ، شديدة كانت او غير شديدة . والمراد بها عنا الامور العظيمة ، ومفردتها خطب

(٢) الجأش . النفس . وفلان رابط الجأش أي يربط نفسه عن الفرار ويمنع لشجاعته ، والجمع جوارش

(٣) شدة فلان « بالبناء للمجهول » : همش رشم رشم وهو مشدود .

(٤) الملكة : الصفة الراسخة في النفس . التوددة : الرزاة والتأني

(٥) ألم بها : نزل بها

(٦) العادية : النازاة والمصيبة

(٧) سيرا : قليلا هيبا

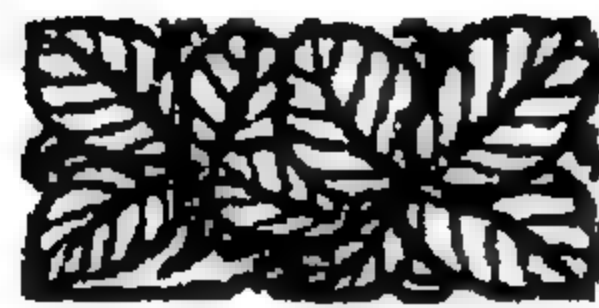
(٨) لا قبل : الامر : لا طاقة له به

(٩) النفثي : المتعاصي والتعاص والتفلات

فَكُنْ أَثِيًّا النَّاشِيءَ ، ذَا نَفْسٍ عَاقِلَةٍ صَابِرَةٍ ، وَذَلِكَ بِتَعْوِيدِهَا
اِكْتِسَابَ الْفَضَائِلِ ، وَتَبَذَ (١) الرُّذَائِلَ ، وَالتَّحَلَّى بِالْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ،
وَالْتَّجَمُّلَ بِحِلَى (٢) الرُّجُولِيَّةِ (٣) . وَذَلِكَ يَسِيرٌ عَلَى مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ
التَّزَوُّعَ (٤) إِلَى الْفَضِيلَةِ ، فَتَزَوَّعَ عَنْهُ رِذَاءُ الرُّذِيلَةِ ، فَأَمَّ يُبْطِرَ النَّفْسَ
الصَّامِتَةَ (٥) كَهَوَاهَا ، وَلَمْ يَسْأَبِ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ (٦) مُنَاهَا ، فَخَرَجَ
بِذَلِكَ مِنْ مَرْتَعِ الْحَيَوَانِيَّةِ ، إِلَى بَيْتَةِ (٧) الْإِنْسَانِيَّةِ

وَاللَّهُ يَجْزِي الصَّابِرِينَ عَلَى تَهْذِيبِ النَّفْسِ ، وَيَرْفَعُهُمْ إِلَى مَقَامِ
الْمُهْتَدِينَ ، عَنْ مَنْزِلِ اللَّئِسِ (٨) .

فَإِلَى الصَّبْرِ عَلَى تَهْذِيبِ نُفُوسِكُمْ أَدْعُوكُمْ ، فَإِنَّ عَاقِبَةَ ذَلِكَ
نَجَاحُ الدَّارَيْنِ ، وَسَعَادَةُ الْحَيَاتَيْنِ ، وَالْفَوْزُ بِالْحَسَنَيْنِ .



(١) التَّبَذَ : الطَّرَحَ

(٢) التَّجَمُّلَ : التَّزَيَّنَ . الْحِلَى : بَكْرُ الْحَاءِ : حَمْعٌ حَلِيَّةٌ وَهِيَ مَا يَتَحَلَّى بِهِ

(٣) الرُّجُولِيَّةُ : صِفَةُ الرِّجَالِ ، وَمِثْلُهَا الرُّجُولَةُ

(٤) تَزَوَّعَ إِلَى الْأَمْرِ تَزَوَّعًا : ذَهَبَ إِلَيْهِ وَمَالَ إِلَيْهِ

(٥) النَّفْسُ الصَّامِتَةُ : هِيَ النَّفْسُ الْجَاهِلَةُ بِالْإِمَارَةِ بِالسُّوءِ

(٦) النَّفْسُ النَّاطِقَةُ : هِيَ النَّفْسُ الْعَاقِلَةُ الْمُرْشِدَةُ إِلَى الْعِصَائِلِ

(٧) الْبَيْتَةُ : الْحَالَةُ وَالْمَنْزِلُ

(٨) اللَّئِيسُ : فَتْحُ اللَّامِ اخْبِرَةٌ ، وَالتَّبَاسُ الْأَمُورُ ، وَاحْتِلَاطُ الطَّلَامِ

(١) النفاق

لم أرَ بينَ الخِلالِ ^(٢) القبيحة ، والصفاتِ الضارّة - التي سَرَتْ
في جسمِ الأُمّةِ سَرَياتِ الكَهْرَباءِ في الأجسامِ - خَلَّةٌ أَقْبَحُ ، ولا صِفَةٌ
أَشْنَعُ ، من داءِ النِّفاقِ .

ذَلِكَ الداءُ الوَيْيلُ ^(٣) ، والمرَضُ الْفَتَّاكُ ^(٤) ، أَكْثَرُ ضَرراً بِالأُمّةِ
من أَلَدِ أَعْدَائِهَا ^(٥) ، الَّذِينَ يَتَحَيَّيْنُونُ ^(٦) الْفَرَصَ الْإِنْتِقَاضِ عَلَيْهَا ^(٧) ،
وإِنْتِقَاصِ بِلَادِهَا مِنْ أَطْرَافِهَا .

إِنَّ الْعَدُوَّ الْمُهَاجِمَ ؛ إِذَا رَأَتْهُ الأُمّةُ تَهَيَّأتْ لِذَفْعِ أَذَاهِ ، وَصَدَرَ
غَارَاظُهُ ، بِمَا هَرَّ عَتِيدُهُ ^(٨) لَدَيْهَا مِنْ وَسَائِلِ الدِّفَاعِ ، وَأَسْبَابِ
الْمُصَادِمَةِ . فَإِنْ لَمْ تَتَّقِ ^(٩) شَرَّهُ مُسْكَلَهُ ، فَإِنَّهَا تَدْرَأُ ^(١٠) عَنْهَا
مَا تَسْتَطِيعُ دَرَأَهُ مِنْ أَوَاذِي ^(١١) مُعْذَوَانِهِ .

(١) النفاق : أن يظهر المرء خلاف ما يبطن

(٢) الخلال الحصال ، ومفردتها خلة ، بفتح الحاء

(٣) الويل : الشديد

(٤) الفتاك : الشديد الفتك والفتك : البطش أو القتل على حين غفلة

(٥) ألد الأعداء : هو الحسم الذي لا يميل إلى الحق

(٦) يتحيفون : يترقبون

(٧) انتقض عليه : تغير عليه

(٨) عتيد : مهياً حاضراً

(٩) اتقى الشر : تحفظ منه

(١٠) تدرأ : تدفع

(١١) الأواذي : الأمواج ، ومفردتها آذي . والمراد بها المضرات

أَمَّا الْمُنَافِقُ - عَدُوُّ الْأُمَّةِ الرَّابِضُ^(١) فِي قَلْبِهَا - فَهِيَ لَا تَذَرِي
كَيْفَ تُحَارِبُهُ ، وَلَا تَعْرِفُ مِنْ هُوَ لِقَاوَمُهُ ، فَهُوَ يُضْعِفُ قُوَّتَهَا
لِلْعَنُوتِ ، وَيُخَدِّرُ^(٢) أَنْبَاضَ^(٣) نَهْضَتِهَا الْمُبَارَكَةِ ، وَهِيَ خَيْرَى مِمَّا
يَحْبِبُهَا ، وَآلِهَى^(٤) مِنْ دَائِلَ لَا تَعْرِفُ كُنْهَهُ^(٥) وَلَا مَصْدَرَهُ .

وَإِنْ دَامَتِ الْأُمَّةُ عَلَى ذَلِكَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَبْحَثَ
بَحْثًا دَقِيقًا ، وَتَنْفَحِصَ فَخْصًا حَكِيمًا ، لِتَعْرِفَ تِلْكَ الْجُرْثُومَةَ^(٦)
الْمَرْبُوءَةَ^(٧) ، فَتَسْعَى لِإِبَادَتِهَا^(٨) وَتَعْلَمَ كُنْهَ مَرَضِهَا ، فَتَدَاوِيَهُ
بِالدَّوَاءِ النَّاجِعِ^(٩) ، كَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا أَنْجِلَالَ الرِّوَابِطِ ، وَفَسَادَ
الْأَخْلَاقِ وَهَذَاكَ الْمَوْتَ الْأَكْبَرَ ، الَّذِي يَنْسَحِرُ الْأُمَّةَ مِنْ لَوْحِ الْوُجُودِ ،
فَتَكُونُ مَعَ الْهَالِكِينَ .

فَأَعِذُّكُمْ ، عَشْرَ النَّاسِتِينَ ، أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْمُنَافِقِينَ .
إِحْذَرُوا أَنْ يَدْبَ فِي قُلُوبِكُمْ دَيْبٌ^(١٠) هَوْلَاءِ الْإِشْرَارِ ،

(١) الرابض . الجالس المستقر

(٢) يخدر : يضعف

(٣) الانباض : جمع نبض ، وهو حركة القلب والعروق

(٤) وآلهي : ذاهلة متحيرة فاقدة الشعور ، ما أصابها

(٥) كنه الشيء : حقيقته

(٦) جرثومة الشيء وجراثيمه : أصله ، ويطلقان اليوم على النيمات التي

يسمونها المكروب ، والجمع جراثيم

(٧) المربوعة . التي فيها الرباء ، أو التي أصابها الرباء

(٨) الإبادة . الإهلاك

(٩) الناجع : المنيد النافع

(١٠) يدب : يمشي ويسري . والدبيب هنا هو بمعنى الأفكار الفاسدة التي

تسري في الإنسان من حيث لا يشعر ، شبهت بالدبيب وهي الحوام « الحيوانات
الصغيرة » التي تسري في الماء وتنسل فيه اسللاً

تَشْتَكُمُ النَّارُ • وَمَا هِيَ إِلَّا نَارٌ تُحْرِقُ الْأَخْضَرَ وَالْيَاسَ ،
فَتَجْعَلُ رُبُوعَ الْأُمَّةِ دَوَارِسَ ^(١) .

اعْمَلُوا ، رَعَاكُمْ اللَّهُ ، عَلَى تَعْرِيفِ الْأُمَّةِ بِهِمْ ؛ وَتَحْذِيرِهَا
كَكَيْدِهِمْ ^(٢) ، تَكُونُوا مِنَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ .

وَاللَّهُ مَعَ السَّاعِينَ لِرَدِّ كَيْدِ الْمَافِقِينَ ، يَتَكُونُ الْأُمَّةُ
فِي أَعْلَى عَالَمِينَ ^(٣) .



(١) الربوع : الديار • دوارس : محوطة الآثار

(٢) الكيد : الخدع والمكر

(٣) أعلى عالمين • أرفع الدرجات ، وعليون : هو اسم لأعلى الجنة ، ويرب
اعراب جمع الذكر السالم • الواو رفعا والياء نعتا وجرا ، لانه ملحق به

الإخلاص

الْعَمَلُ جِسْمٌ رُوحُهُ الْإِخْلَاصُ .

إِنَّ الْجِسْمَ مَتَى فَارَقَتْهُ رُوحُهُ - الَّتِي بِهَا قَوَائِمُهُ ^(١) - كَانَ جِثَّةً هَامِدَةً ^(٢) لَا أَحْرَاقَ فِيهَا ، وَلَا فَائِدَةَ تُرْجَى مِنْهَا ، فَكَذَلِكَ الْعَمَلُ إِذَا زَايَلَهُ ^(٣) الْإِخْلَاصُ .

كَمْ رَأَيْنَا قَوْمًا يَعْمَلُونَ أَعْمَالًا لَا نَفْعَ لَهَا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَثَرٌ صَالِحٌ لِعَمَلِهِمْ . وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَمْ يُؤْتَقِ فِيهَا قَصْدَ إِلَهِ ، فَظَلَّ فِي شَاطِئِهِ ، أَوْ خَاضَ مِنْهُ ضَحْضَاحًا ^(٤) ، وَلَمْ يَسْتَطِيعْ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْغَمْرِ ^(٥) ، فَتَكَصَّ عَلَى عَقِيهِ ^(٦) ، خَسِرَ النَّصَبَ ^(٧) وَالذَّهَبَ .

وَلَيْسَ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ سَبَبٍ ، إِلَّا أَنْ الْإِخْلَاصَ لَمْ يَكُنْ رَائِدًا ^(٨) هَذِهِ الْفِتْنَةَ ، لِأَنَّهَا لَمْ تَعْمَلْ إِلَّا لِحَرْبِ مَذْمُومٍ أَوْ كَسْبِ شَرَفٍ مَوْهُومٍ .

-
- (١) قوام الامر بكسر القاف : نظامه وهماؤه وملاكه الذي به يقوم
(٢) الجثة : شخص الانسان . هامة : ميتة . وأصلها من همود النار وهو انطفأوا
(٣) زاياله : فارقه
(٤) الضحضاح الماء القريب الفسر
(٥) الفسر : الماء الكثير البعيد النهر ، والجمع غمار . بكسر الفين
(٦) تكص على عقيه : رجع
(٧) خسر : شديد الخسران وهو صفة مباغة النصيب : التعب
(٨) الرائد : الدليل والمرتد

وَالْبِرُّ فِي ذَلِكَ أَنْ مَنْ يَعْمَلُ مُخْلِصاً فِي عَمَلِهِ لِأُمَّتِهِ وَوُطَنِهِ
تَهْوِي ^(١) إِلَيْهِ أَفْنَدَةُ النَّاسِ ، وَيَحْوُطُونَهُ ^(٢) بِالتَّشْجِيعِ
وَالْتَّحْيِيدِ ^(٣) ، أَوْ بِالْمَعُونَةِ وَالتَّنْفِيزِ ، فَيَزْدَادُ بِذَلِكَ هِمَّةً وَنَشَاطاً ،
وَتَنْدُو ^(٤) فِيهِ رُوحُ الْجِدِّ وَالْمُثَابَرَةِ عَلَى الْعَمَلِ .

أَمَّا مَنْ يَعْمَلُ غَيْرَ مُخْلِصٍ فَإِنَّهُ ، وَإِنْ كَثُرَ مَا يُضْمِرُهُ حُبُّهُ
مِنَ الدَّهْرِ ، لَا بُدَّ أَنْ يَنْكَشِفَ عَوَارِدُهُ ^(٥) وَيَقْتَضِحَ أَمْرُهُ ، فَيَتَفَرَّ
مِنْهُ مَنْ كَانَ لَهُ مُعِيناً ، وَيُهْمِلُهُ مَنْ شَجَّعَهُ وَحَبَّذَ أَمَلَهُ . وَبِذَلِكَ
تَضَعُفُ هِمَّتُهُ ، وَتَقْتَرُّ عَزِيمَتُهُ ، فَيَدْعُ ^(٦) مَا كَانَ يَعْمَلُهُ مُضْطَرّاً ،
وَتَكُونُ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ خَسَارَةً الْمَادَّةِ وَالْأَدَبِ ، وَيَعِيشُ عَيْشَةً
غَيْرَ رَاضِيَةٍ .

وَالْأَمْثَالُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ .

فَبِكُمْ رَأَيْنَا جَمْعِيَّاتٍ قَامَتْ ، مَا أَبِثَتْ ^(٧) أَنْ قَعَدَتْ ، وَكَمْ
شَاهَدْنَا مَشْرُوعَاتٍ تَهَضَّتْ ، فَمَا مَكَّمَتْ أَنْ سَقَطَتْ .

(١) تهوي إليه : تميل إليه . وأصل مصاها تسقط

(٢) يحوطونه : يحفظونه ويتمهدونه

(٣) التحييد : إن تقول للرجل : « حبذا » مادحاً أهله

(٤) تندو : تزيد

(٥) العوار مثلثة العين : العيب ، وأصل معناها . الحرق في الثوب

(٦) يدع : يترك

(٧) أبثت : مكثت

وتعداد هذه الحوادث يحتاج الى صفحات ، لا يتسع لها صدر هذه العظات .

فَكُنْ ، أَيُّهَا النَّاشِئُ ، مُخْلِصاً في عملك ، تَبْلُغْ أَقْصَى^(١) أَمَلِكَ ، وَأَحْذَرْ أَنْ تَبِيعَ الْوَجْدَانَ ، بِالْأَصْفَرِ الرَّثَانِ^(٢) ، فِذَلِكَ دَابُّ الْمُتَأَفِّقِينَ^(٣) ، الَّذِينَ يَسْتَبْدُونَ الدُّنْيَا بِالْدِّينِ . وَالضَّلَالُ بِالْيَقِينِ .

وأعِظْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَكُونَ مِنَ الْمُخْلِصِينَ .



(١) أقصى : أبعد

(٢) الأصفر الرثن : الذهب

(٣) الدأب : العادة

(١) اليأس

ما أَسْتَوْلَى اليأسُ على أُمَّةٍ إِلَّا أَخْلَاهَا ، ولا خَاصَرَ (٢) قُلُوبَ
قَوْمٍ إِلَّا أَضْعَفَهَا .

وَنَاهَيْكَ (٣) بِضَعْفِ الْقُلُوبِ مُخْبِلًا ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ أَلَمًا مِنْ مَرَضِ
الْأَجْسَادِ ، وَشَرُّ أَثَرٍ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ (٤) .

أَمَّا الْخُشُولُ - وَهُوَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الْيَأْسِ - فَقَدْ يَجْعَلُ
السَّيْرَ كَالْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ ، لَا يَعْرِفُ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ إِلَّا مَا تَهْتَدِي
إِلَيْهِ الْبَهَائِمُ بِالسَّوْقِ الطَّبِيعِيِّ . مِنَ التَّمَتُّعِ بِالْمَطَامِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَذَّاتِ .

١ - اليأس : القنوط وقطع الأمل

٢ - خاصر : خالط

٣ - ناهيك : كلمة تعجب واستعظم كما يقال « حسبك » : وتأويلها انه غاية
فيما تطالب به يبرك عن طلب غيره . وهي تذكر وتوث وتنتي ونجمع لانها اسم فاعل .
تقول : هذا رجل ناهيك من رجل ، وهذه امرأة ناهيك من امرأة . وهو لاء
رجل . ناهوك من رجلان ، ونساء نواهيك او ناهياتك من نساء . وهذان رجلان
ناهيك ، وهاتان امرأتان ناهيتاك . وان وقعت بعد الكرة كانت صفة لها
كلامنة اسابقة . وان وقعت بعد المعرفة كانت حالاً منها . مثل : هذا عبد الله
ناهيت من رجل . وامرأها في نحو « ناهيك بعمر عادلاً » ان ناهيك خبر
مقدم والكاف مضاف اليه ، وعمر مبتدأ موخر دخلت عليه الباء الجارة
ارائدة ، وعادلاً حال

٤ - وقع الحسام : شدة مرته ، والحسام : السيف القاطع

قد قرَنَ اللهُ اليأسَ بالكُفْرِ بهِ ، في قوله : « ولا تَيَأْسُوا
من رَوْحِ »^(١) الله ، إِنَّهُ لا يَيَأْسُ من رَوْحِ اللهِ إلاَّ القومُ الكافرونَ ،
فانْظُرْ ما أعظمَ ذَنْبَ اليائسينَ !

وليس هذا الذَنْبُ رائئاً^(٢) على قلب مُرتكبِهِ في الحياة
الكُبْرَى^(٣) فَقَطْ ، بل هو يُغَشِّي^(٤) مُجْتَرِمُهُ^(٥) في هذه الحياة
الصُغْرَى أيضاً ، إذ لو عَرَضَتْ لَهُ أُمُورٌ يَجِبُ أن يَقُومَ بأعبائها^(٦) ،
وَأَسْتَبْطَأَ^(٧) نتائجها ، أو أَسْتَجْكِرَ أن تَكُونَ ، لرَأَيْتَهُ معرضاً
عنها وإعراضَ الجمانِ ، عن مُنازلة الشَّجَعانِ . معَ أَنَّهُ لو ثَابَرَ على
القيامِ بها ، وواظبَ على مُصادمة ما يَغْتَوِرُهُ^(٨) من العواملِ في
سبيلِ تحقيقِها ، وَثَبَّتْ أَمَامَ الْعَقَبَاتِ^(٩) التي دُونُهَا ، فذَلَّهَا بِجِدَّةٍ
جَادَةٍ ، وعزمٍ وقادِرٍ ، وَنَفُوذٍ نَظَرٍ حَادٍ - لَأَتَتْهُ مُنْقَادَةٌ^(١٠)
أَلِيَّةٌ ، وقال من نتائجها ما يروم .

(١) الروح : الرحمة

(٢) رائئاً : منطياً .

(٣) الحياة : الكبرى . هي الحياة بعد الحياة الدنيا التي هي الحياة الصغرى

(٤) يغشي : يغطي

(٥) مجترمه : مكتمه

(٦) الأعباء : الأحمال الثقيلة ، ومفردها عبء

(٧) استبطأ الشيء : وجده بطيئاً

(٨) يغتوره : يصيبه وينزل به مرة بعد أخرى

(٩) العقبات : جمع عقبة ، وهي الصعوبة ، وأصلها الطريق الصعب في الجبال

(١٠) منقادة : طائعة

ولكن هو اليأس ، مهدم الآمال ، ومقوض^(١) أركان
الأعمال .

لو رعبت الى كثير من الناس عندنا - ممن يستحيون القيام
بعضائم الأعمال ، التي يعود نفعها على الوطن وأبنائه - ان يثبوا بأمر
من الامور النافمة ، لا عذر عن ذلك بما لا يقبل من حجة ، وما لا يؤبه^(٢)
له من اعتذار

ما عذر من حجته اليأس من نجاح المشروعات ، وبرهانه
صعوبة نجاح الاعمال ؟

ما ذاك ، لعمر الحق ، بحجة ، وما على قولهم أثارة^(٣) من
برهان صحيح .

ولكن هو اليأس ؛ قاتل الله اليأس ، وأقال اليائسين
عثراتهم^(٤) ، وأناف بهم على بقاء^(٥) الأول ، واحد بأيديهم
الى صالح العمل .

إن اليأس قد تمكّن من القلوب إلا أقلها ؛ واستحكمت^(٦)

(١) مقوض : مهدم

(٢) لا يؤبه له : لا يعبأ به ولا يلتفت اليه

(٣) أثارة : قليل وأصلها : البقية من العلم توثر

(٤) أقاله عثرته : حص به منها

(٥) أناف هم : دفعهم البقاع : التل المشرف ، أو ما ارتفع من الارض

(٦) استحكمت : تمكنت

حَلَقَاتُهُ فِي الثُّفُوسِ ، عَيْرَ نَفْسٍ . قَدْ تَدَارَكَهَا اللَّهُ بِبَحِيصٍ ^(١) مِنْ نُورِ
الْأَمَالِ ، فَادْرَكَتْ مَغْبَةً الْمَالِ ^(٢) ، وَسَعَتْ إِلَى تَحْسِينِ الْحَالِ ، لَتَجْنِي
ثَمَرَاتِ الْإِسْتِقْبَالِ .

فَلَا تَكُونُوا ، أَثُيَا النَّاشِثُونَ ، مِنَ الْيَائِسِينَ ، الْكُسَالَى الْخَامِلِينَ .

فَمَا الْيَأْسُ إِلَّا مَوْتُ فِي الْحَيَاةِ ، وَشَقَاءٌ بَعْدَ الْمَوْتِ .

وَأَدْبَحُوا الْيَأْسَ ، وَقَرُّوا الْيَأْسَ ^(٣) ، تَكُونُوا مِنَ الْمُفْلِحِينَ .



(١) البَحِيصُ : اللِّمَعَانُ وَالرُّوْقُ

(٢) الْمَغْبَةُ : الْعَاقِبَةُ . الْمَالُ : الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ

(٣) الْيَأْسُ : الْقُوَّةُ وَالشَّدَّةُ

الرجاء

لو لا الرِّجاء لَمَّا سعى ساعٍ نحوَ أُمْنِيَّةٍ ^(١) ، ولا دعا داعٍ الى
وطَنِيَّةٍ ، وَلَكَانَتْ الحَيَاةُ أَضْيَقَ من جُحْر الضَّبِّ ^(٢) ، وَأَثْقَلَ على
العَاتِقِ من القُيُودِ والأَغْلَالِ ^(٣) .

ما رأيتُ أحداً يَعْمَلُ إِلَّا وهو يَعْتَقِدُ أَنَّ رِيعَهُ أَثَرُ نُحْمَدٍ مَغْبِيٍّ ^(٤) ،
وَتَرْجِي فائِدَتَهُ ولا فَرْقَ بَيْنَ أنْ تَكُونَ الفَائِدَةُ خَاصَّةً بِالْعَامِلِ ،
أو عَامَّةً شَامِلَةً ، يَعُودُ خَيْرُهَا على مَجْمُوعِ الأُمَّةِ الَّتِي يَنْتَفِعُ بِخَيْرَاتِهَا ،
وَيَحْيَا فِي بَيْتِهَا ^(٥) .

غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ أَمْرًا هُوَ كُلُّ الأَمْرِ :

ذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا لَا يَعْمَلُونَ إِلَّا إِذَا أَعْتَقَدُوا جِدَّةَ الاعتقادِ أَنَّ عَمَلَهُمْ
مُشِيرٌ لَا مُحَالَةٌ ، فَإِنْ لَمْ يَحْوَ شُبْهَةً فِي نَجَاحِ الْعَمَلِ ، وَلَوْ كَانَتْ أَوْهَى
من بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ ، أَحْجَبُوا ^(٦) عَنِ الإِقْدَامِ ، وَأَذْرَعُوا ^(٧) بِالْأَوْهَامِ .
وَلَيْسَ ذَلِكَ من دَأْبِ الْحَازِمِ ^(٨) ، وَلَا من خُأَقِ الْعَامِلِينَ .

(١) الرجاء : الأمل . الأُمْنِيَّة : ما يتمناه الإنسان ، وجمعها آماني

(٢) جحر الضب : مأواه . والضب : حيوان بري كفرخ التمساح الصغير

(٣) العاتق : موضع حمالة السيف من الكتف . الأغلال : القيود ، والمفرد غل

(٤) المغبة : العاقبة

(٥) البيئة : المنزل والموطن

(٦) أحجبوا : تأخروا

(٧) أدرع الدرع وأدرع بها : لبسها

(٨) الدأب : العادة . الحازم : من يضبط أموره وبأخذ منها بالثقة

وما الدَّاعِي إلى إحصائهم إلاَّ ضَعْفُ الرِّجاءِ في نفوسهم . وهو مرضٌ من أمراض النَّفس ، يَجِبُ أن يُداوَى بِإِماتة اليأس ؛ فَإِنَّه داءُ الاجتماع ، وَجَرُثُومَةُ العُمرانِ المَوْبُوءَةُ ^(١) .

فَقَدْ الرِّجاءُ داءٌ سارٍ في جسمٍ مُجْتَمَعِنَا ، لذلك نرى العاملين قَلِيلِينَ ، والسَّعْداءُ في حياتهم نادرين ؛ وقد شَمِلَتْهمُ الحَسَرَاتُ ، وحاطَتْهم من شفاء الحياة النَّكَبَاتُ ^(٢) . ولو عَقَلُوا لَطَرَّحُوا بهذا الخلقِ الثَّانِي ^(٣) الأرضَ ، وَأَسْتَمْسَكُوا بِعُرَى ^(٤) الرِّجاءِ ، وأَقْدَمُوا على العملِ إِقْدَامَ الْأَشْداءِ ، الذينَ يَرَوْنَ أَنَّ في اليأسِ الدَّاءَ ، وفي الرِّجاءِ الشِّقَاءَ .

وبعدُ : فَإِنَّ هُنَاكَ قَوْمًا لَا يُثَبِّطُ ^(٥) هَمَمَهُمْ بُدْءُ الغَايَةِ التي يَقْصِدُونَ إليها ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وبين ما يَرْجُونَ ما يَشْتَرِضُ رِجاءَهُمْ ، وَيُصَادِمُ آمَانَهُمْ ؛ بل يَنْدَفِعُونَ أَنْدِفَاعَ الْقَضَاءِ الْمُتَزَلِّ ، وَيُقَدِّمُونَ إِقْدَامَ الْأَتِيِّ ^(٦) الْمُرْسَلِ ، لَا يَلْوِيهِمْ ^(٧) عَنْ أَمَانَتِهِمْ

(١) الجَرُثُومَةُ : النِّسْمَةُ التي يَسْمُوْنَهَا المَكْرُوبُ . المَوْبُوءَةُ التي فيها الوَبَاءُ والدَّاءُ

(٢) النَّكَبَاتُ : المَصَائِبُ .

(٣) الثَّانِي : الْعَائِبُ

(٤) الْعُرَى : جَمْعُ عُرْوَةٍ . وهي كُلُّ ما يُوَثِّقُ بِهِ وَيَعُولُ عَلَيْهِ . وَأَصْلُهَا مَقْبُضُ الدَّلْوِ وَالْكُوزِ وَنَحْوِهَا ، وما يَدْخُلُ فِيهِ الزَّرْعُ مِنَ الْقَمِيصِ وَغَيْرِهِ

(٥) لَا يَثَبِّطُ : لَا يَعْوقُ وَلَا يُوَخِّرُ

(٦) الْأَتِيِّ : السَّبِيلُ يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ

(٧) لَا يَلْوِيهِمْ : لَا يَنْتَبِهُهُمْ وَلَا يَصْرِفُهُمْ ، وما ضَيَّعَ لَوْحَهُ . وَمَصْدَرُهُ إِلَيَّ

لاور ، ولا يَتَّبِعُهُم ثَانٍ ؛ وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَوْمُ حَقًّا ، وَبِهِمْ نَحْيَا الْأُمَّةُ .
هَذِهِ الْفِتْنَةُ النَّاهِضَةُ ، تَعْلَمُ حَقَّ الْعِلْمِ أَنَّ رَجَاءَ الْأَعْمَالِ دَاعِيَةُ
الْإِقْدَامِ عَلَيْهَا ، وَسَبَبُ تَحْقِيقِ حُصُولِهَا ؛ فَلَا يُثَبِّدُهُمْ عَنْهَا ضَعْفُ
الْأَمَلِ ، وَلَا ضَالَّةُ نُورِهِ (١) .

هِيَ تَعْتَقِدُ اعْتِقَادًا لَا يَشُوبُهُ (٢) شَكٌّ ، وَلَا يُخَالِطُهُ رَيْبٌ ،
أَنَّ الْحَيَاةَ مَعَ الْيَأْسِ مَوْتُ ، وَتَقُولُ مَعَ الْقَائِلِ : « مَا أَضِيقَ
الْعِيشَ لَوْ لَا فُسْحَةُ الْأَمَلِ » .

فَاجْعَلُوا ، أَتَيْهَا النَّاشِثُونَ ، الرَّجَاءَ شِعَارَكُمْ ، وَالْأَمَلَ دِثَارَكُمْ (٣) .
وَاتَّوَكُّوا تَشْيِيطَ الشُّبَّاطِينَ ، وَلِيَّ الْأَوَّلِينَ ، وَثَنِّيَّ الثَّانِينَ (٤) .
وَكُونُوا مِنَ الرَّاجِينَ الْآمِلِينَ ، السَّاعِينَ الْعَامِلِينَ وَاللَّهُ أَكْبَرُ مُجِيبٌ .



(١) ضَالَّةُ النُّورِ : ضَمَفَهُ وَقَلَبَهُ

(٢) لَا يَشُوبُهُ : لَا يُخَالِطُهُ

(٣) الشِّعَارُ : الْعَلَامَةُ ، وَثُوبٌ يَلْبَسُ تَحْتَ الدِّثَارِ . وَالدِّثَارُ ثُوبٌ يَلْبَسُ
فَوْقَ الشِّعَارِ

(٤) الثَّنِي : مَصْدَرُ ثَنَاءٍ عَنِ الْأَمْرِ يُشْنِيهِ أَيَّ صَرْفِهِ عَنْهُ

الحسين

بَعَثْتُ فِي طَبَائِعِ الْبَشَرِ ، فَلَمْ أَجِدْ خُلُقًا مِنَ الْإِخْلَاقِ الدَّيْنِيَّةِ أَدْنَى إِلَى الصَّغَارِ ^(١) وَأَقْرَبَ إِلَى الْمَوْتِ فِي الْحَيَاةِ ، مِنَ الْجَبَنِ .

ذَلِكَ الْخُلُقُ ، مَا تَأَصَّلَ فِي نُفُوسِ قَوْمٍ إِلَّا ضَرْبَ عَلَيْهِمُ الذُّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ ^(٢) ، فَبَاءُوا بِالْوَضَاعَةِ ^(٣) وَالْحُمُولِ ، ثُمَّ بِالْإِنْخِلَالِ فَاِلْمَوْتِ .

يُدَاهِمُ ^(٤) الْأُمَّةَ الْعَدُوُّ ، فَتَجْبُنُ عَنْ صَدْرِ غَارَاتِهِ ، وَتَفْرَقُ ^(٥) مِنْ مُنَازَلَتِهِ ، بِمَا تَرَبَّتْ عَلَيْهِ نُفُوسُ أَفْرَادِهَا مِنَ الْجَبَنِ ، فَيَجُوسُ خِلَالَ الدِّيَارِ ^(٦) ، وَيَكْتَسِحُ ^(٧) الْبِلَادَ ، وَيَسْتَعْبِدُ الْجُمَاعَاتِ وَالْأَفْرَادَ ، فَلَا يُرَى لَهُ مِنْ صَادِرٍ ، وَلَا لَأَفَاعِيلِهِ ^(٨) مِنْ دَافِرٍ .

(١) أدنى : أقرب . الصغار : الذل والضم

(٢) تأصل : تكنت أصوله وتثبت . المسكنة : الضعف والذل والفقر

(٣) باءوا : رجعوا . الوضاعة : الحسة والانحطاط

(٤) يداهم : يأتي على حين غفلة

(٥) تفرق : تتحاف

(٦) يجوس خلال الديار : يدور فيها بالعبث والفساد

(٧) يكتسح البلاد : يستولي عليها ويأخذها

(٨) الافاعيل : جمع افعال ، ومفرد الافعال فعل ، وأكثر ما تطلق الافاعيل على الافعال المنكرة

ويقوم فيها رَهْطٌ ^(١) أو لو فساد ، فلا يجدون لهم أحداً بالمرصاد ^(٢) ،
فَيُهْلِكُونَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ^(٣) ، وَيَجْعَلُونَ الْأُمَّةَ كَالْحَيَوَاتِ
الْعُجَمِ . ولولا داء الجبن لودَّتْهم على أعقابهم خاسرين ، وخسرتهم
ضربة لا تقوم لهم بعدها قائمة .

فالشكوتُ على عمل من يُريدُ بالأمة الشرَّ خَلَّةٌ ^(٤) الحَبَاءُ ،
وَمُناهضةٌ ^(٥) الظَّالِمِ من دلائل حياة الأمة ؛ فإن حياتها بما يَنْبَغُ
فيها من الشُّجْعَانِ .

قبيحٌ ورَبُّ الكعبة ، أن يقوم بيننا الجاهلُ في زِيَّ العلماء ، والفاجرُ
في مَظْهَرِ الأتقياء ، والحاملُ في صورة الثَّبَاءِ ، والعاجزُ في هَيْئَةِ
القُدْرَاءِ ^(٦) ، والميتُ في لباس الأحياء .

وأقبحُ من ذلك أن تُسَلِّمَ لهم هذه الدُّعْوَى رِثَاءً ^(٧) ونفاقاً ،
طمعاً في جَرٍّ مَغْنَمٍ ، أو خَوَرٍ ^(٨) في النَّفْسِ ، وَضعفٍ في الاخلاق .
وأشدُّ قُبْحاً أن تُدَافِعَ عن الظَّالِمِ ومن يُريدُ بالأمة الشرَّ ،
وتَصِفَهُ بِالْحِلَالِ الطَّيِّبَةِ ، وَحَسَنِ النِّيَّةِ ، وصدقِ العمل .

(١) الرهط : ما دون المشرة من الرجال . ورهط الرجل : قومه وعشيرته

(٢) المرصاد : الطريق ، والمكان يرصد فيه العدو

(٣) الحرت : الزرع . النسل : الخلق والولد والذرية

(٤) الخلَّة : الخلصة والخلق ، وجمعها خللال

(٥) المناهضة : المفاومة

(٦) القُدْرَاءُ : جمع قدير وقادر

(٧) الرِّثَاءُ : التظاهر بخلاف ما في الباطن

(٨) الخور : الضعف ، والفتور ، والجبن

إِنَّ مِثْلَ هَذَا الْخُلُقِ الشَّائِنِ ^(١) - الَّذِي مَصْدَرُهُ الْحَبْن - رِغْش
لِلْأُمَّة ، وَتَغْرِيرٌ ^(٢) بِهَا ، لِأَنَّهَا تُسْتَسْلِمُ إِلَى مَنْ يَكُونُ الْقَاضِي
عَلَى حَيَاتِهَا ، وَالْمُهَادِمَ مَبَانِيِ اجْتِمَاعِهَا ، وَالْمُقَرَّضَ ^(٣) أَرْكَانَ أَخْلَاقِهَا .

فَأَعِذُّكُمْ بِاللَّهِ ، مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ، أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخَبْنَاءِ ، السُّفَهَاءِ
الْأَدْنِيَاءِ ، فَإِنَّ الْحَبْنَ دَاءٌ أَيْ دَاءٌ !

عَوِّدُوا أَنْفُسَكُمْ الشَّجَاعَةَ ، تَعْتَادُوا الْإِيَاءَ وَالشَّمَّ ^(٤) ، وَالصِّدْقَ
فِي الْقَوْلِ ، وَالنَّجَاحَ فِي الْعَمَلِ .

إِنَّ الْحَبْنَ قَدْ ضَرَّ بِالْأُمَّةِ ، حَتَّى جَعَلَهَا فِي أَسْفَلِ الدَّرَكَاتِ ^(٥) ،
فَسَطَا عَلَيْهَا الْجَائِرُ ^(٦) ، وَأَسْتَبَدَّ بِأَمْرِهَا الْجَاهِلُ ، وَغَرَّرَ بِهَا الْفَاجِرُ .
فَإِنْ دَامَتِ الْحَالُ بِسَاءِ الْمَالِ ^(٧) .

فَلَا تَأْخُذْكُمْ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَاثِمٌ ، وَلَا تُرْهِبْكُمْ سَطْوَةٌ ظَالِمٌ ، فَإِنَّ
فِي الْعَبْنِ الْمَوْتَ ، وَفِي الشَّجَاعَةِ الْحَيَاةَ .

إِنَّكُمْ سَتَكُونُونَ غَدًا آبَاءَ ، فَكُونُوا لِأَبْنَائِكُمْ قُدُوةً صَالِحَةً ،
تَحْيِيَكُمْ الْأُمَّةُ حَيَاةَ السُّعْدَاءِ .

(١) الشَّائِنُ : الْعَائِبُ

(٢) غَرَرِيهِ تَغْرِيرًا : عَرَضَهُ لِلْمَلِكَةِ

(٣) الْمَقْرُوضُ : الْمُهْدَمُ

(٤) الْإِيَاءُ : الْامْتِنَاعُ مِنْ كُلِّ مَا يَشِينُ . الشَّمُّ : الْإِنْفَةُ وَهَزَةُ النَّفْسِ

(٥) الدَّرَكَاتُ : جَمْعُ دَرَكَةٍ وَهِيَ الْمَتَرْلَةُ السَّاقِلَةُ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ لِلنَّازِلِ
كَالِدَرَجَةِ لِلصَّاعِدِ

(٦) سَطَا : صَالٍ وَوَثِبَ وَقَهَرَ . الْجَائِرُ : الظَّالِمُ

(٧) الْمَالُ : الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ

(١) التهور

إذا كان الحينُ 'خلقاً سافلاً ، ومثلية' ^(١) للجبانِ عظيمة ، فالتهورُ لا يعقلُ عنه منقصةٌ ؛ لأنَّ في كلا الخلقينِ ضرراً لا حقاً بالإنسان .

الحينُ في الاعمالِ داعيةُ الإخفاقِ ^(٢) فيها ، والتهورُ في الإقدامِ عليها قبلَ الترويِّ سببٌ لعدمِ التوفيقِ أيضاً .

رأينا جماهيرَ المتعجسينِ يندفعون في أمرٍ من الأمور ، ثمَّ لا يلبثون ^(٤) أنْ يرجعوا بخفي حنين ^(٥) ؛ فلا يوقفون فيما اندفعوا فيه . وإنَّ همَّهم كَثُرَ بعد قليلٍ من تحسُّبهم .

ما سرُّ ذلك ؟

إنَّ السرَّ واضحٌ لكلِّ مُفكِّرٍ : وذلك أنَّ كلَّ عملٍ من

(١) التهور : الوقوع في الامر بلا مبالاة

(٢) المثلية : العيب والمنقصة والمسبة

(٣) الاخفاق : عدم الظفر بالمطلوب

(٤) لا يلبثون : لا يمحثون

(٥) رجع نخفي حنين : مثل يضرب لمن رجع خائباً

الأعمال ، منه ما يكون ، ومنه ما لا يكون . فالعاقِلُ من يتروى في الأمر قبل الإقدام عليه ؛ فإن رأى أنه ممّا يكون ، وجّه عزمته اليه ، وأنّ دفع نحوه ؛ وإن رأى أنه ممّا لا يكون لم يُضَيِّع الوقت عبثاً في محاولة إيجاده .

الشُّرُورُ ضارٌّ . وهو كالجبن في عدم حصول الفائدة منه :

فإن رأيت رجلاً جاراً عن القصد^(١) ، واتّبع غير سبيل الرشد ، فأحجمت^(٢) عن إرشاده ، وجبذت عن ابداء النصيحة له - ظلّ سائراً في طريق ضلاله ؛ فكذلك إن أردت أن تضرّقه بالشدة ، وتسمّعه بالجبه^(٣) والقسوة ، فلا يُعيد زجرَكَ أذنّاً صفواً^(٤) ؛ بل ربّما تمادى في عناده ، وازداد في طغيانه^(٥) ؛ فتضيق بذلك الفائدة التي كنت تتوخاها^(٦) ، والنتيجة التي تنشدها^(٧) .

(١) جار عن القصد : عدل عنه ومال . القصد : استقامة الطريق ، والتوسط في الأمور ، وهو نقيض الإفراط فيها

(٢) أحجمت : تأخرت

(٣) الجبه : الشدة ، وأصل معناه : ضرب الجهة

(٤) الزحر : الماع والانتهاز . صفواء : مصفية

(٥) الطغيان : مجاوزة الحد

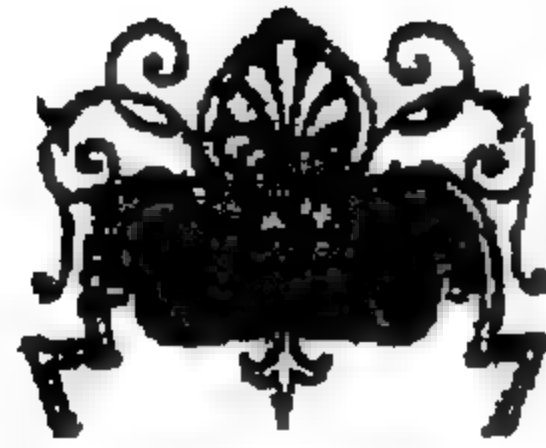
(٦) تتوخاها : تتحراها وتسمى إليها

(٧) تنشدها : تطلبها

التَّهَوُّدُ سِرٌّ عَظِيمٌ مِنْ أَسْرَارِ النَّشْلِ فِي الْأَعْمَالِ ، وَالْيَهُودُ
يَرْجِعُ مُعْظَمُ الْأَسْبَابِ فِي ضَيَاعِ ثَمَرَاتِ مَجْهُودَاتِنَا وَإِمْلَاتِ الصَّيْدِ
مِنْ يَدِنَا .

فَاتَّقِ ، أَيُّهَا النَّاشِي ، التَّهَوُّدَ ؛ فَإِنَّهُ مَدْعَاةُ الْحَيَبَةِ ^(١)
وَتَجَنَّبِ التَّسْرُعَ ؛ فَإِنَّ مَغْبَتَهُ الرَّالِ ^(٢) .

وَكُنْ أُمَّةً ^(٣) وَسَطًا ^(٤) تَكُنْ مِنَ الْمُفْلِحِينَ .



-
- (١) مدعاة الحيبة : السبب فيها
(٢) المغبة : العاقبة . الرال : السقوط
(٣) الأمة : الجماعة تجتمعها حال واحدة . وإنما وصف به الناشي هنا رجاء
أن يكون أمة بنفسه إن شاء الله
(٤) وسطاً : معتدلاً في الأمور

الشجاعة

ملاك^(١) الشجاعة في الأعمال أن يكون في نفس العامل شجاعة تدفعه الى العمل ؛ فلا يرجع عنه حتى ينال ما يريد . وما أفلح العاملون إلا بهذا الخلق الشريف ؛ فهو يمكن المتخلق به من ناصية^(٢) خطيرة^(٣) الأمور ، حتى تلقى اليه صعايبها بالمقاليد^(٤) .

الشجاعة هي الحد الوسط بين رذيلتي الجبن والشهور ؛ ففي الجبن تقربط^(٥) ، وفي الشهور إفراط^(٦) ، وفي الشجاعة السلامة .

الشجاعة أن تقدم حيث ترى الإقدام عزمًا ، وتنجم^(٧) حيث ترى الإحجام عزمًا^(٨) .

وهي قسمان : شجاعة أدبية ، وشجاعة مادية ؛ وكلتاها من ضرورات الحياة .

فالثانية يدفع بها المرء عن وطنه وعن نفسه عوادي^(٩) من

- (١) ملك الشيء : نظامه وقوامه الذي به يقوم
- (٢) الناصية : مقدم الرأس ، والتمكن من ناصية الامر : كناية عن الاستيلاء عليه .
- (٣) الخطير : العظيم
- (٤) المقاليد : المفاتيح ، ومفردا مقلاد
- (٥) التقربط : التضييق والتقصير
- (٦) الإفراط : تجاوز الحد
- (٧) تنجم : تتأخر
- (٨) الحزم : ضبط الامر والاخذ منه بالثقة
- (٩) العوادي : الشوازل

يُرِيدُ بِهِمَا السُّرَّةَ ؛ وَيُكَافِحُ الْأَعْدَاءَ ^(١) فِي سَبِيلِ تَعَزُّيْهِ الْأُمَّةَ ، إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا . فَإِنْ أَنْتَصَرَ الْبَسَ الْوَطْنَ مَطَارِفَ ^(٢) الشَّرَفِ ، وَحَلَّى رَجِيدَهُ ^(٣) بِعَثُودِ الْفَخْرِ . وَإِنْ لَمْ يَوْفَقْ فِيهَا قَصْدَ إِلَيْهِ كَانَ لَهُ أَجْرُ الْعَامِلِ الْمُخْلِصِ .

وَالْأُولَى يَرُدُّ بِهَا الظَّالِمَ عَنْ ظُلْمِهِ ، وَالْعَاوِيَّ ^(٤) عَنْ غِيِّهِ ؛ وَيُرْشِدُ الْأُمَّةَ بِالْعِظَةِ النَّاجِعَةِ ^(٥) إِلَى السَّبِيلِ الْقَوِيمَةِ لِتَسْلُكِهَا ، وَالطَّرِيقِ اللَّاحِبِ ^(٦) لَتَنْشِيَةِ فِيهِ .

فَإِنْ تُقِدَّتْ هَذِهِ الشَّجَاعَةُ قَادَى الْجَائِرِ ^(٧) ، وَأَزْدَادُ ضَلَالِ الضَّالِّ ، وَشَتَّ الْأُمَّةِ فِي غَيْرِ مَنْهَجٍ ^(٨) الصَّوَابِ ، فَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ شَرًّا .

وَإِنْ أَضْمَحَلَّتْ تِلْكَ ^(٩) كَانَتْ الْبِلَادُ نَهْبًا مُقْسَمًا ؛ يُصَاحُ فِي

(١) يكافح : يقاتل ، والمكافحة استقبالك العدو في الحرب وحملها لوجهه ليس دونكما ترس أو غيره

(٢) المطارف : جمع مطرف - بكسر الميم وفتح الراء - ومطرف - بصم الميم وفتح الراء - وهو رداء من الحرير مربع ذو اعلام

(٣) الجيد : العنق

(٤) العاوي : الضال

(٥) الناجعة : النافعة

(٦) اللاحب : الطريق الواضح المسلك

(٧) الجائر : الظالم

(٨) المنهج : الطريق الواضح

(٩) اضمحلت : ذهبت واحلت وتلاشت . والاشارة بتلك الى الشجاعة

حَجَرَاتِهَا (١) ، فَلَا يُلْقَى لِلصَّائِحِ مُسَكَّتٌ . وَيُعَاثُ (٢) فِي اكْتِنَافِهَا (٣) ،
فَلَا يُوَى لِلْعَاثِ مِنْ رَادٍ . وَهُنَاكَ الطَّامَةُ (٤) الْكُبْرَى ، الَّتِي تَجْعَلُ
أَفْرَادَ الْأُمَّةِ عَمِيدَ الْعَصَا ، وَالْبَلِيَّةُ الْعُظْمَى الَّتِي تَجْتَاحُ (٥) مُمَيَّزَاتِ
تِلْكَ الْأُمَّةِ ، وَتَقْضِي عَلَى حَيَاتِهَا الْإِسْتِقْلَالِيَّةَ ، حَتَّى تَجْعَلَهَا
كَأَنَّ مَسِيرَ الدَّائِرِ .

هَذَا إِنْ جَبَنْتِ الْأُمَّةُ جُبْنًا مَعْنَوِيًّا أَوْ مَادِّيًّا .

وَإِنْ تَهَوَّرَتْ فِي الدِّفَاعِ ، فَنِي الْغَالِبِ أَنْ يُصِيبَهَا مَا أَصَابَهَا فِي حَالِ
جُبْنِهَا ، لِأَنَّهَا ، إِنْ أَقْدَمَتْ عَلَى الْمُضَادَّةِ قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ الْأَمْرَ أَهْبَتَهُ (٦)
وَالْكِفَاحَ عُدَّتُهُ ، كَانَتْ الدِّعْبَةُ شَرًّا أَيْضًا .

فَإِنْ قِيلَ : إِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ أَحَدٍ أَمْرَيْنِ : التَّهَوُّرُ أَوِ الْجُبْنُ ،
فَايُفِيهَا خَيْرٌ لِلْأُمَّةِ ؟

(١) الْحَجَرَاتُ : بَفَتْحِ الْحَاءِ وَالْحِيمِ : النُّوَاحِي . وَالْمَفْرَدُ حَجْرَةٌ بَفَتْحِ الْحَاءِ
وَسُكُونِ الْحِيمِ . وَقَوْلُهُمْ : « دَعِ عَنْكَ خُبْرًا صَبِيحًا فِي حَجَرَاتِهِ » هُوَ ، مِثْلُ يَضْرِبُ
لَنْ ذَهَبَ مِنْ مَالِهِ شَيْءٌ ثُمَّ ذَهَبَ مَا هُوَ أَجَلُ مِنْهُ وَأَعْظَمُ

(٢) يُعَاثُ : يَفْسَدُ . وَالْعَاثُ : الْمَفْسَدُ

(٣) الْإِكْتِنَافُ : الْجَوَابُ وَالنُّوَاحِي . وَالْمَفْرَدُ كُفٌّ ، فَتَحِ الْكَافِ وَالنُّونُ

(٤) الطَّامَةُ : الْعَهِيَّةُ الَّتِي تَطْمُ أَيُّ تَقْوَى حَتَّى تَغْلِبَ

(٥) تَجْتَاحُ : تَسْتَأْصِلُ وَتَغْشَوُ

(٦) الْإِهْبَةُ : الْعُدَّةُ

فالجوابُ على هذا أن ليس وراء الجبن خيرٌ قطُّ ، وأمّا التهورُ
فقد ينالُ صاحبه ما يريد .

والسلامةُ من ذلك أن تُربّي في الأمة روحُ الشجاعة ، فهي الحصنُ
الحصين (١) والمُعقل (٢) الأمين .

فبالشجاعة ، تمسحُ الناشئين ، تخلقوا ، وبخيلها اعتصموا ؛ ولا
قدّعوا لمرضِ العجز ، وإبليسِ التهورِ إلى قلوبكم سبيلاً ؛ فإن
الجبنَ من البلادة ، والتهورَ من الخلق ، والشجاعة من أخلاق المؤمنين .



(١) الحصين : المنيع

(٢) المعقل : الملاجأ

(١)

المصلحة المرسلة

دخل أعرابيٌّ على هشام بن عبد الملك ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أتت علينا ثلاثة أعوام : فعامٌ أذاب الشَّحم ، وعامٌ أكل اللحم ، وعامٌ انتقى العظم ^(٢) ، وعندكم فُضِّلُ أموال ، فإن تَكُنْ لله فَبُشْرُها ^(٣) في مباد الله ، وإن تَكُنْ للناس فليَم تَحْجَب ^(٤) عنهم ؟ ! وإن كانت لكم فَتَصَدُّقوا بها ، إنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَصَدِّقِينَ » . قال هشام : « هل من حاجةٍ غير هذه يا أعرابيُّ ؟ » قال : « ما ضربتُ اليك أكبادَ الإبل ^(٥) ، أدَّرَعُ الهَجِيرَ ^(٦) ، وأخوضُ الدُّجَا ^(٧) ، لِخَاصِرٍ هُونَ عامٍ » .

فأمر له هشامُ بأهوالٍ فُرِّقَتْ في الناسِ ، وأمرَ الأعرابيَّ بِإِبالٍ فَرَّقَهُ في قومه .

إنَّ لهذا الأعرابيَّ ، أيُّها الناشي ، نَفْسًا كَبِيرَةً ، ووَجَدَانًا صَحِيحًا ،

(١) المصلحة المرسلة : هي التي يقصد بها المنفع العام

(٢) انتقى العظم : أخرج نقيه أي بخره وهو ما في داخل العظم من اللحم

(٣) فبشورها : فرقوها

(٤) تحجب : تمنع

(٥) ضربت اليك أكباد الإبل : رحلت اليك من مكان بعيد

(٦) أدرع الهجير : البسه كالدرع . والهجير : شدة الحر

(٧) الدجا : سواد الليل . وأدراع الهجير ونحوه الدجا مجاز عن

السير فيها

وَفَرْدٌ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِ قَوْمِهِ عَظِيمَةٌ ، وَذَلِكَ مَا دَعَاهُ إِلَّا تَكُونُ لَهُ
الْأَثَرَةُ ^(١) بِالْخَيْرِ دُونَ سِوَاهُ ؛ لِأَنَّهُ عَلِيمٌ بِعِلْمِ الْيَقِينِ أَنْ حَيَاةَ
الْفَرْدِ حَيَاةَ السَّعَادَةِ ، وَقَوْمُهُ فِي الشَّقَاءِ ، لَمْ يَحْيَ حَيَاةَ الذُّلِّ ،
وَعِيشَةَ الْبُؤْسِ ^(٢) .

كَيْفَ يَرْضَى الْعَاقِلُ أَنْ يَكُونَ فِي بُحْبُوحَةٍ ^(٣) مِنْ الْخَيْرِ ، وَمَنْ يُحِيطُ
بِهِ مِنَ النَّاسِ فِي ضَنْكَ ^(٤) الْعَيْشِ ؟

بَلْ كَيْفَ لَا يَأْنِفُ ^(٥) أَنْ يَرَى الشَّقَاءَ قَدْ عَمَّ الْأُمَّةَ وَهُوَ
لَا يَبْأُ ^(٦) بِمَا يَعْتَرِيهَا مِنَ الْآلَامِ ، وَلَا يَأْلُمُ إِنَّمَا فِي أَفْئِدَتِهَا مِنَ
السَّهَامِ ^(٧) ؟

أَنْ ذَلِكَ لَمَنْ خُذِفَ الشُّعُورُ ، وَمَوَتْ الْوَجْدَانُ ، وَفَسَادَ
الْإِخْلَاقُ ! وَإِنْ مَنْ يَرْضَى بِذَلِكَ ، وَلَا يَشْعُرُ بِمَا يُصِيبُ الْمَجْمُوعَ ، أَنَّهُوَ
مِنَ الْبَهَائِمِ ، الَّتِي لَا تَعْرِفُ مِنَ الْحَيَاةِ إِلَّا اللَّهْوَ وَالطَّعَامَ وَالشَّرَابَ .
وَكَثُرُ بَهِيمِيَّةٍ مِنْهُ ، وَأَشَدُّ وَطْأَةً ^(٨) عَلَى الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ،
مَنْ يَسْمَى لِصَلَحَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ سَعْيِيًّا ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا السَّهْمُ الدَّافِقُ فِي

(١) الأثره : الاستنثار والاستبصار

(٢) البؤس : الشقاء والشدة

(٣) البحبوحة : السعة ، ووسط الشيء

(٤) ضنك العيش : ضيقه

(٥) لا يأنف : لا يستنكف

(٦) لا يَبْأُ : لا يبالي

(٧) السهام : السبال والمنفرد بهم

(٨) الوطأة : الضغطة والدوسة ، ويراد بها الشدة

صميم ^(١) المصلحة العامة ، والقضاء المبرم ^(٢) على حياة المجموع !
إن مثل هؤلاء الناس عبث ^(٣) ثقيل على المجتمع ، ومرح ^(٤)
وبيل ^(٥) في جسم الاجتماع .

ألا يدري من كان على هذه الشاكلة أن عمله يعود عليه بالخسران !
ألا يعلم أنه فرد من أفراد الأمة التي تسعى للضرر بها !
ألا يفهم أن ضرر المجموع يعود على الفرد !

أم يظن أنه ناج من سوء عمله ، متفص ^(٥) من عاقبة شره !
إن ظن ذلك فقد ظن باطلا ، لأننا لم نرَ أحداً يضر الأمة
لمنفعة نفسه إلا عاد عليه عمله بالضرر الجسيم . والامثلة على ذلك أكثر
من أن تحصى .

إلا إن هناك قوماً قد ضرب الله بينهم وبين الحق بسور ظاهره
فيه الرحمة ، وباطنه من قبله ^(٦) العذاب ؛ فهم يعملون على خفض
شوك ^(٧) الأمة ، وإضعاف رأسها ^(٨) ، وإضاعة حقيقتها ، وإبقائها
في بيئة الحمول والاستكانة ^(٩) . وما لهم في ذلك من فائدة ، وليس

(١) الصميم : العظيم الذي به قوام العضو

(٢) القضاء المبرم : الذي لا مرد له

(٣) عبث : سمل

(٤) وبيل : شديد

(٥) متفص : متخلص متملص

(٦) من قبله : من جهته

(٧) خفض الشوك : كسرهما وقطعها

(٨) الرأس : القوة والشدة

(٩) البيئة : المنزل . الاستكانة : المسكنة والذل

لهم من عائدة^(١) ، إلا ما ينالهم من ثناء حاكم ، أو بشاشته في
وجوههم ، وإن فالتهم فائدة مادية ، فهي لا تسين ولا تُغني من
جوع ، وإنما هو التفقُّ والرِّثاء ، يدفعان ببطل هؤلاء الناس إلى
تجديد أعمال أهل الأثرثة ، وأيتهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ،
بل هم يعلمون كل العلم أنهم وراء إسقاط الأمة ساعون ، ونحو
ما يُخيل ذكرها سارثون ، وعلى ما يُحيثها عاملون ، فهم الضَّالُّون
الضَّالُّون ، وأوتيك هم شرُّ البرية^(٢) .

فَتَجَبُّوا ، يشر الناسين ، أعمالهم ، وقوا أنفسكم عثرة
أفمالهم^(٣) ، ولا تكونوا من الفرائيين^(٤) القائلين :
معلتي بالوصل ، والموت دونه ،

إذا ميت ظمآنًا فلا تزل القطر

بل كونوا من الممرئين^(٥) المنادين :

فلا هطأت كمل ولا بأرضي

سحائب ليس تنتظم البلاد^(٦)

نكونوا رثن هدي الصراط المستقيم^(٧) .

(١) العائدة : المنفعة ، وما يوصل به الإنسان من معروف

(٢) البرية : المخلوقات

(٣) قوا : احفظوا ، المرة : السوء ، والاتم : والجنابة

(٤) المراد بالفرائيين دعاة المنفعة الشخصية ، نسبة إلى أبي فراس الحمداني
الشاعر المشهور ابن عم سيف الدولة قائل هذا البيت

(٥) المواد بالمربين دعاة المنفعة العامة ، نسبة إلى أبي الملاء المعري الشاعر
الفياسوف العربي الشهير قائل هذا البيت

(٦) السحائب : الغمام المسطر ، والمفرد سحابة . تنتظم البلاد : تعمرها وتنفذ
إلى جميع أقطارها

(٧) الصراط المستقيم : الطريق المعتدل الذي لا يوج فيه

الشرف

نَظَرْتُ فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ ، وَنَقَّبْتُ عَنْ نُفُوسِهِمْ ، فَلَمْ أَرَ نَفْسًا
لَمْ تَدَّعِ الشَّرَفَ .

سَلِ الْعَالَمَ وَالْجَاهِلَ ، وَالصَّالِحَ وَالطَّالِحَ ، وَالْمُخْلِصَ وَالْمُنَافِقَ ،
وَكُلٌّ مِّنْ اتِّصَافٍ بِخَلَّةٍ ^(١) عَهِيدَةٍ أَوْ ذَمِيمَةٍ ، يُجِبُّكَ أَنَّهُ
شَرِيفُ النَّفْسِ .

لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَدَّعِيَ هَذِهِ الدَّعْوَى ؛ غَيْرَ أَنَّهُ لَيْسَ لِكُلِّ
إِنْسَانٍ أَنْ يُصَدِّقَهَا ، مَا لَمْ يُحَقِّقِ الْخَبَرَ الْخَيْرَ ^(٢) ؛ وَالْأَوْحَاتُ الْخَائِلُ
بِالنَّائِلِ ^(٣) ، وَالْفَارِسُ بِالرَّاجِلِ ^(٤) .

يُزْعَمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ الشَّرَفَ لَمَّا هُوَ بِنَا عِنْدَ الْإِنْسَانِ مِنَ
الشَّرْوَةِ . وَبِقَدْرِ مَا لَدَيْهِ مِنْهَا يَخْتَالُ ^(٥) عَجْبًا ، وَيَعْدُسُ ^(٦) فَخَارًا .
فَهُوَ يَحْتَقِرُ الضُّعَفَاءَ ، وَيُزْدَرِي الْفُقَرَاءَ .

وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنْ يَجِدَ هَذَا الشَّرِيفُ الرَّاهِمُ نُصْرَاءَ يَرْفَعُونَ مِنْ
مَقَامِهِ ، وَأَذِلَّةً يَسْجُدُونَ أَمَامَ قَدَمَيْهِ ؛ وَرَبَّمَا لَا يَنَالُهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ

(١) الخلة : الخصلة والجمع خلال

(٢) الخبر بضم الخاء : الاختبار

(٣) الخابل : (المبادئ بالحباله وهي الشبكة ، والنابل : الرامي بالنبل

(٤) الفارس : الراكب الفرس ؛ والراجل : الماشي على رجله

(٥) يختال : يتكبر ويتبخر

(٦) يعدس : يتأيل عجبا

هذا ما يستعينون به على سدّ عوزهم^(١) ، وإصلاح معاشهم . وانما هو التّفاق أو الدّثل . وما ذلك إلّا من فساد في تربيتهم ومرّض في أخلاقهم .

ولو يعلم من يدّعي الشّرف - لو وفور^(٢) ثروته - أنّه إن يثلب له الدهر ظهر المجن^(٣) ، ويكسر له الزّمان عن نابه ، فيصبح فقيراً بعد الغنى ، محتاجاً بعد الثّروة ، يخفضه من كان له رافعاً ، وينأ عنه من كان منه دانيّاً^(٤) ، لأقلع عن الفخار ، وابس غير هذا الدّثار^(٥) .

ويظنّ آخرون أنّ الشّرف هو ما أوتي^(٦) الانسان من قوّة في بدنه ، فهو يحقر الضّعفاء ، وإن كان لديهم من العقل ما يطولون به أخوزاء^(٧) .

ولو علم أنّ الأسد أجراً منه واقوى ، وأنّ الحمل أصلب عهداً ، وأضحى جسماً ، وأروع^(٨) هيئة ، فهما أولى منه بذلك ، لرجع عما يدّعيه صاغراً ، وترك الفخار ناقوّة والمطش .

(١) العوز : الحاجة

(٢) الوفور : الكثرة

(٣) قلب له الدهر ظهر المجن : تغير عليه أو أساء إليه . والمجن : الترس .

وهذا مثل يضرب لمن ساءت حاله بعد الإصلاح

(٤) ينأ : يبعد . دانيّاً : قريباً

(٥) الدّثار : الثوب

(٦) أوتي : أعطي

(٧) يطولون : ينالون . الجوزاء : برج في السماء

(٨) أروع : أعجب وافزع

وَيَخَالُ قَوْمٌ أَنَّ الشَّرَفَ فِي أَنْ يَشْفَى الْمَرَضَ بِمَرَضِ الْأُمَّةِ ، وَيَحْيَا
بِمَوْتِهَا ، وَيَقْوَى بِضَعْفِهَا ، وَيَرْتَفِعَ بِأَنْحِطَاطِهَا ، وَيَعِزَّ بِذُلِّهَا ،
وَيَسْجُدَ ^(١) بِسَفَالَتِهَا .

وَلَوْ فَكَّرُوا قَلِيلًا لَعَلِمُوا أَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ ، وَفِي غُرُورِهِمْ ^(٢)
يَعْمَهُونَ ^(٣) . فَالشَّرِيفُ إِنَّمَا يَشْرَفُ بِشَرَفِ الْأُمَّةِ ، وَيَحْيَا بِحَيَاتِهَا ،
فَإِنْ هَانَتْ هَانَ ، وَإِنْ مَاتَتْ مَاتَ .

إِنَّ الشَّرَفَ الصَّحِيحَ ، وَالتَّجَدُّدَ الرَّجِيحَ ^(٤) ، لَا يَكُونَانِ إِلَّا لِمَنْ
تَوَفَّرَتْ ^(٥) فِيهِ الْمُرُوءَةُ ^(٦) وَالشَّهَامَةُ ^(٧) وَطَهَارَةُ الْوُجْدَانِ ، وَغَالِ
قِسْطًا مِنَ الْعِلْمِ ، وَنَشْطًا الدَّاعِينَ إِلَيْهِ . فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ بِمَنْ طَابَتْ
سِرِّيَّتُهُمْ ^(٨) ، وَزَكَتْ بَيْنَ النَّاسِ سِرِّيَّتُهُمْ ^(٩) .

هَيِّاتَ ^(١٠) أَنْ يَكُونَ شَرِيفًا مَاجِدًا ، مَنْ كَانَ جَاهِلًا سَفِيهًا ،

(١) يسجد : يشرف

(٢) الغرور : الباطل ، وتربيع الخطأ بما يؤمن أنه صواب

(٣) يعمهُون : يتحجبون ويترددون في الضلال

(٤) الرجيع : الرزين

(٥) توفرت : كثرت وانسمت

(٦) المرء : النخوة ، وكمال الرجولية ، وهي مجموعة آداب نفسانية تحمل
مراءاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات

(٧) الشهامة : الحرص على مباشرة أمور عظيمة تستلزم الذكر الجميل

(٨) السريرة : ما يسره الإنسان وبكتمه خيراً كان أو شراً . وفلان طيب

السريرة : سليم القلب صافي النية . وألجمع سرائر

(٩) زكت : طابت وصلحت . السيرة : ما يسير عليه من الاعمال

(١٠) هيات : اسم فعل ماضٍ بمعنى بعد ، مبني على الفتح . ويجوز بناؤه

على الكسر ايضاً

يُذَرِّي الثُّبَاءَ ، وَلَا يُبَالِي الثُّقْلَاءَ ، وَلَا يَأْتِيهِ الْعُلَمَاءُ ^(١) ، وَيَسْكُرُهُ
لَأُمَّتِهِ الْأَرْتَقَاءُ .

ليس من الشَّرَفِ والوَجَاهَةِ في شيء من يَسْتَبِدُّ بِمَعْرَافِ ^(٢) الْأُمَّةِ ،
وَيَسْتَأْثِرُ بِمَنَافِعِهَا ^(٣) ، وَيَحْتَقِرُ ^(٤) مَجْمُوعَتَهَا ، وَيَهْدِمُ كِبْيَانَهَا ^(٥) .

الشَّرِيفُ مَنْ يَخْدُمُ الْوَطَنَ خِدْمَةً صَحِيحَةً تُعَلِّي شَأْنَهُ ،
وَتَرْفَعُ مِنْ مَكَانَتِهِ ، وَيَهْوُنُ ^(٦) فِي سَبِيلِ إِعْزَازِهِ ، وَيَمُوتُ
بُغْيَةً لِحَيَاتِهِ .

هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْحَقُّ ، مَعَشَرَ النَّارِشْتِينَ . فَأَعْتَصِمُوا ^(٧) بِحَبْلِهِ ،
فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ ، وَأَلْبِثُوا إِلَى رَحْمَتِهِ ، فَإِنَّهُ رَحْمَنُ اللَّهِ الْحَصِينِ .

إِنَّ الْوَطَنَ يَدْعُوكُمْ إِلَى خِدْمَتِهِ ، فَأَرِجِيئُوهُ ، وَالْأُمَّةَ بِاسْطِ
إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهَا ، فَدُدُّوا إِلَيْهَا أَسْبَابَ ^(٨) التُّهُؤُضِ ، وَأَرِجِيئُوهَا مِنْكُمْ
بِقُوَّةٍ ، فَتَحْيَ بِكُمْ حَيَاةً طَلِيَّةً ، وَتَرْقَى إِلَى أَعْلَى عَالَمِينَ ^(٩) .



(١) لَا يَأْتِيهِ : لَا يَكْتَرِثُ وَلَا يَبَالِي

(٢) الْمَعْرَافُ : الْمَنَافِعُ

(٣) يَسْتَأْثِرُ بِمَنَافِعِهَا : يَسْتَبِدُّ بِمَا وَجَحْصَ بِهَا نَفْسَهُ دُونَ غَيْرِهِ

(٤) يَحْتَقِرُ : يَحْتَقِرُ

(٥) كِبْيَانُ الْأَمْرِ : مَا يَكُونُ عَلَيْهِ

(٦) يَهْوُنُ : يَذُلُّ

(٧) اعْتَصِمُوا : تَمَسَّكُوا

(٨) الْأَسْبَابُ : الْوَسَائِلُ . وَأَصْلُ مَعْنَاهَا الْحَبَالُ . وَالْمَقْرَدُ سَبَبٌ

(٩) أَعْلَى عَالَمِينَ : أَعْلَى الْمَرَاتِبِ . وَعَالِمُونَ هُوَ اسْمٌ لِأَعْلَى الْجَنَّةِ

(١) السجدة والبقظة

الأمم ، كما للأفراد ، هجعات^(١) وبقظات^(٢) .

فتارة تتغلب عليها الأولى فتُخيلها ، وطوراً تهيجها^(٣) الثانية فتُشبهها . وقد كان هذان العاملان ، ولم يزالا ، في تنازع وخصام ، ولم يكن ، ولا يكون ، بينهما سكونية^(٤) وسلام ؛ ذلك لأنهما ضدّان . والصدّان لا يجتمعان .

وإنّ لهذه الغلبة أسباباً وعللاً ، ربّما اختلفت في الظاهر واكتنّها متفكّرة^(٥) من حيث الحقيقة ؛ إذ إنّها تُنتج نتيجة واحدة ، هي تنبئة الأمة أو إخمائها . ويختلف التنبؤ أو الحمول ، قوة وضعفاً ، باختلاف أسبابها المؤثرة في نفوس الأمم ، التي انتشرت فيها تلك العلل أو الأسباب .

أمّا الأسباب التي تجعل الأمة خاملة متفكّرة^(٦) ساقطة ، فهي كثيرة :

منها 'جمود' كثير من علماء الأديان ، ووقوفهم سداً منيعاً أمام تيار الأمة المندفعة إلى التقدّم ، لتكون من كبريات الأمم الحيّة .

(١) الهجمة : الغلبة . والبقظة التنبؤ

(٢) تهيجها : تحريكها .

(٣) متفكّرة : متأخرة راجعة إلى الخلف

وممنهم من يَتَّخِذُونَ الدِّينَ وسيلةً لِمَا رُبِّهِمْ ، وَشُرَكَاءَ^(١) يَصْطَادُونَ بِهِ
عُقُولَ الْعَامَّةِ ، لِيَرْجِعُوهُمْ عَنْ نُصْرَةِ الْمُصْلِحِينَ ، وَتَابِعَةِ عُلَمَاءِ الْكُفْرِ
وَالْأَجْتِنَاعِ ؛ فَيُكْفَرُونَ وَيُفْسِقُونَ ، وَيُعْلِلُونَ وَيُخَرِّمُونَ ، وَرُبَّمَا
دِمَاءُ الْأَبْرَارِ^(٢) يُبَيِّحُونَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا فِتْيَةٌ مِنْ نَتَائِجِ جَهْلِهِمْ
أَوْ عُرُورِهِمْ أَوْ ضَعْفِ أَخْلَاقِهِمْ ، أَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

ومنها أَسْتَبْدَادُ الرُّؤَسَاءِ وَأَرْبَابِ الثُّغُوفِ ، وَظُلْمُ الْحُكَّامِ
وَأَضْطِهَادُهُمْ^(٣) مِنْ يُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ بِالْأُمَّةِ مِنْ دَرَكَاتِ^(٤) السَّفَالَةِ
وَهُرَى^(٥) الْحَمَلِ وَأَخَادِيدِ^(٦) الْحُمُولِ ، إِلَى مُسْتَوًى^(٧) الْفَضِيلَةِ
وَالْعِلْمِ وَالنَّبِيَّةِ .

وَهُنَاكَ أَسْبَابُ الْخُرْ لا يَسَعُ السَّقَامُ ذِكْرَهَا . وَهِيَ ، مَعَ
مَا تَقْدَمُ مِنَ الْأَسْبَابِ ، تُخِيلُ الْأُمَّةَ ، وَتُسَوِّقُهَا إِلَى مَجَازِيرِ^(٨)
نَهْوَانِ وَالتَّأْخَرِ .

فَتِلْكَ هِيَ حَالَةُ الْأَمْرِ فِي هَجَمَاتِهَا ، وَهَذِهِ هِيَ الْأَسْبَابُ الَّتِي

(١) الشُّرَكَاءُ : الْمُصِيدَةُ

(٢) الْأَبْرَارُ : الْأَخْيَارُ الْمُحْسِنُونَ

(٣) الْأَضْطِهَادُ : الْقَهْرُ وَالْإِذَاءُ

(٤) الدَّرَكَاتُ : جَمْعُ دَرَكَةٍ ، وَهِيَ الْمَرَلَةُ السَّافِلَةُ ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ لِلنَّازِلِ
بِالدَّرَجَةِ لِلصَّاعِدِ

(٥) هُرَى : جَمْعُ هَوَاةٍ وَهِيَ الْخَفْرَةُ الْعَمِيقَةُ ، وَمَا بَيْنَ الْجِبَالَيْنِ

(٦) الْأَخَادِيدُ : جَمْعُ أَخْدُودٍ وَهِيَ الْخَفْرَةُ الْمُسْتَطِيلَةُ فِي الْأَرْضِ

(٧) الْمُسْتَوَى : الْمُسْتَقَرُّ

(٨) الْمَجَازِيرُ : جَمْعُ مَجْزَرٍ ، وَهُوَ مَكَانُ الْجُزْرِ أَيْ الذَّبْحِ

تجملها قيدَ سلطانها (١) .

وأما حالتها في يقظاتها ؛ فهي على غير ما تقدم ؛ لأنها تكون ،
إذ ذاك ، أمة رقيقة الشأن ، سامية المقام ، عزيزة الجانب ، منيعة
الحمى (٢) ، جمهورية الصوت (٣) ، مستدة السلطة .

ولا تكون على هذه الحالة إلا إذا تقدمتها أسباب توصلها
إلى الغاية التي ذكرناها .

وان هذه الأسباب كثيرة أيضاً :

منها نبوغ (٤) أفراد في الأمة ، يؤهلهم بقاء أمتهم في الحول
والحول والسقوط ؛ فيبشرون (٥) في الأمة روح الهمة والثورة ، مما
يضر بها ، ويوقدون فيها نار العزيمة والاستعداد لإعالي الأمور ؛ حتى
إذا تهيأ لهم ما يريدون حملوا الحكومة ورجال الاستبداد بالأمر ، من
الغطاء والرؤساء وارباب النفوذ ، على تغيير الحالة الاجتماعية الفاسدة ،

(١) القيد : حبل ونحوه يجعل في رجل الدابة يسكها . وفلان قيد فلان أي
هو في قبضته . السلطان : السلطة والتسلط

(٢) الحمى : ما يحميه الانسان من شيء .

(٣) جمهورية الصوت : مرتفعته ، نسبة الى الجورة . والجمهور : العالي
الصوت كالجمهوري

(٤) النبوغ : الخروج والظهور في عظمة وشأن . والنابع والنافذة : العظيم
لشأن

(٥) يبتون : يشرون . والبث النشر

وَأَسْتَبْدَالِ غَيْرِهَا بِهَا . وَبِذَلِكَ تُزَالُ الْبَرَازِخُ ^(١) الَّتِي تَحُولُ دُونَ تَرْقِي الْأُمَّةِ .

وَمَتَى تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ أَدْرَكُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَجْتَازُوا ^(٢) فِي سَبِيلِ الْإِصْلَاحِ عَقَبَةَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا سَيَعْتَرِضُهُمْ مِنَ الْعَقَبَاتِ ؛ لِأَنَّ إِزَالَתَ الظُّلْمِ وَالْأَسْتَبْدَادِ وَتَغْيِيرَ نِظَامِ الْجَمَاعَةِ لَا يَكْمِلَانِ لِرَفْعِ الْأُمَّةِ ، إِنْ بَقِيَتْ جَاهِلَةٌ حَامِلَةٌ ؛ فَإِنَّ جَهْلَ الْأُمَّةِ أَشَدُّ وَطْأَةً ^(٣) مِنْ ظُلْمِ الْحُكْمَةِ ، وَإِنْ تُنْخَوِلَهَا عَقَبَةُ كَوْنُودٍ ^(٤) فِي سَبِيلِ جَعْلِهَا أُمَّةً حَيَّةً يُشَارُ إِلَيْهَا بِالْبَنَانِ ^(٥) . وَهَذِهِ الْعَقَبَةُ أَشَدُّ أَعْتَرَاضًا مِنْ عَقَبَاتِ الْمُسْتَبْدِينَ ، وَرِجَالِ الدِّينِ الْجَامِدِينَ .

وَمَتَى أَدْرَكَ النَّابِغُونَ مِنَ الْأُمَّةِ ذَلِكَ فَكَّرُوا فِي الْوَسَائِلِ الَّتِي تُزِيلُ حِجَابَ الْحُمُولِ وَالْحَمَلِ عَنْهَا ، وَمَا هِيَ إِلَّا إِيْقَادُ فَيْدَانِ الثَّوْرَةِ الْإِدْبِيَّةِ ^(٦) ، الَّتِي تَأْتِيهِمْ ^(٧) أَخْلَاقُهَا الْعَاسِدَةُ ، وَعَادَاتُهَا الضَّارَّةُ . وَلَا دَوَاءَ أَنْجَعُ ^(٨) فِي هَذِهِ الثَّوْرَةِ مِنْ أَدْتِشَارِ الْحَرَائِدِ الْحُرَّةِ الصَّادِقَةِ ، الَّتِي لَا تَبِيعُ الشَّرْفَ وَالْوَحْدَانَ بِدُرِّيْهِمَا بِأَكْلِهَا أَصْحَابُهَا

(١) الْبَرَازِخُ : الْخَوَاحِزُ ، وَالْمُفْرَدُ بَرْدِخُ

(٢) أَجْتَازُوا : قَطَعُوا

(٣) الْوَطْأَةُ : الشَّدَّةُ ، وَالضَّعْفَةُ وَالِدُوسَةُ

(٤) الْكَوْنُودُ : الطَّرِيقُ فِي الْحَبْلِ وَالْعَقَبَةُ الْكَوْنُودُ : الشَّقَّةُ الصَّعْبَةُ الْمُرْتَفَعَةُ

(٥) الْبَنَانُ : الْأَصَابِعُ أَوْ أَطْرَافُهَا . وَالْمُفْرَدُ بَنَانَةٌ

(٦) أَقْرَأُ الْمِطْطَةَ الْإِتْيَاءُ

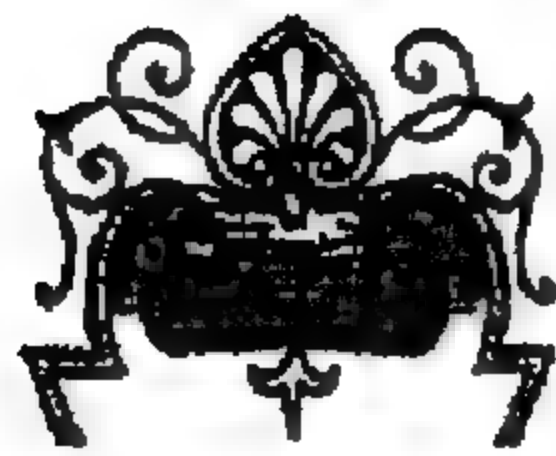
(٧) تَأْتِيهِمْ : تَبْتَاعُ

(٨) أَنْجَعُ : أَفْعُ

ظُلماً وُسْحَتاً^(١) . ومن ذلك أيضاً انتشار الكتب النافعة بين طَبَقَاتِ
الأمة . ورُبَّمَا كان لها في بعض الأَحْيَانِ تأثيرٌ عظيمٌ أشدُّ من تأثير
الجرائد .

فَعَلَى الْمُفَكِّرِينَ أَنْ يُكْتَرُوا مِنْ نُشْرِ الْكُتُبِ النّافِعَةِ ، الَّتِي تُوقِظُ
شُعُورَ الْأُمَّةِ ، وَتُذَكِّرُهُمْ مِنْ هِجَمَاتِهَا ؛ وَأَنْ يَعِضِدُوا الصَّحَائِفَ الْوَطَنِيَّةَ
الصَّادِقَةَ ، وَالْمَجَلَّاتِ الْمُفِيدَةَ النَّافِعَةَ ، وَذَلِكَ بِتَرْغِيبِ الْأُمَّةِ فِيهَا ،
وَالسَّعْيِ لِكَثْرَةِ سَوَادِ^(٢) مِنْ يَبْتَاعُهَا^(٣) ؛ لِتَسِيرَ الْأُمَّةُ فِي سَبِيلِ
الْمَجْدِ ، وَتَسْلُكَ طَرِيقَ السَّعَادَةِ

فَتَهْبُوا ، رَعَاكُمْ اللهُ مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْخَامِلِينَ ،
وَأَقْرءُوا مِنَ الصُّحُفِ أَشَدَّهَا وَطَنِيَّةً ، وَمِنْ الْكُتُبِ أَسْمَاها مَوْضِعاً
وَأَسْلُوباً ، تَكُونُوا مِنَ السَّعْدَاءِ .



(١) السحت : الحرام أو ما حُبِّثَ وَقَبِحَ مِنَ الْمَكْسَبِ فَلَمْ يَنْبَغِ لَهُ الْعَارُ كَالِدِي
يُوْحِذُ رَشْوَةً أَوْ حِدَاءً أَوْ مَحْوَةً

(٢) السواد : الجُءاء ، وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ

(٣) يَبْتَاعُهَا : يَشْتَرِيهَا

التورة الفكرية

الأُمة في حال مرضها الاجتماعي تكون حاجتها الى إصلاح ما فسَدَ فيها من الأخلاق ، وتقويم ما أعوج من فُرُوع الاجتماع ، أكثر من حاجة المريض الى الدواء .

يَسْرَعُ إنسانٌ فيلجأُ أهله وذُرُوه الى طبيبٍ يثقون به ؛ فيَصِفُ له من الأدوية ما يراه مُفيداً له

وتَمْرَضُ الأمةُ جَمْعاً ، إلا مَنْ رَحِمَ ربُّك ، فلا تلجأُ الى طبيبِ الاجتماعِ إيدائي أمراضها ؛ ويَحْقِفُ أوصابها ^(١) ، ويُخْلِصُها مما أصابها

وذلك ناشئٌ من أحد أمرين : أولاً سَهاها بدائها ؛ فتَظُنُّ — وهي على وشك الموت — يفتكُ فيها من الداء — أنَّها سليمةٌ من الأمراض ، نقيَّةٌ من الأوصاب ؛ وإِلاًَّ أنَّها قد رِي كلَّ الدِّرايةِ ما فيها من الآلام ، وما يَشْرُرُها ^(٢) من الأدوية ^(٣) ؛ غيرَ أنَّها لا يَثِقُ لها بما يُحِيطُ بها من الأطباءِ ؛ أو أنَّها اعتراها ^(٤) ما مَنَعَهَا التَّفَكُّرَ في طَلَبِ الطبيبِ

(١) الأوصاب : الأمراض . والمرد وصب ، بفتح الواو والمصاد

(٢) يشورها : يقرل بجا مرة بعد أخرى

(٣) الادواء : جمع داء

(٤) اعتراها : أصابها

وَتُرْسَلُ الْأُمَّةُ كَثِيرًا مِنْ أبنائها إلى مدارس الطب ، لِيَطْبُؤا ^(١) ،
بعدَ تعلُّمهم ، أجسامها . ولا تَبْعَثُ بِأحَدٍ منهم ، إِلَّا القليلَ النَّادر ، إلى
مدارس الأخلاق والاجتماع ، لِيُداووا ، بعدَ تربيتهم ، أخلاقها ، وَيَهْدُوا
نظامَ اجتماعها . وما ذاكَ إِلَّا من فساد النفوس التي تُقَدِّمُ المادَّياتِ
على الادبيَّاتِ .

الأمةُ في حاجةٍ إلى القسمين من هؤلاء المُتعلِّمين ؛ ولكن حاجتها
إلى أطباء الاجتماع ، وحُكَّماء الأخلاق ، أكثرُ من حاجتها إلى مَنْ
يُداوي أجسامها .

إِنْ مَرِضَتِ الْأُمَّةُ مَرَضًا وَبِئْسَ فَتَاكًا ، فذلك لا يَنْقِضِي إِلَّا على
حياةٍ عَشْرَةٍ في الألفِ من مجموعها ؛ ثُمَّ يَكُونُ الدَّاءُ دَوَاءً . وَإِنْ
مَرِضَتْ مَرَضًا أَجْتِمَاعِيًّا قَضَى مَرَضُهَا على تسعةٍ وتسعين في المئة . وَأَنْتُمْ
تَرَوْنَ ، مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ، أَنَّ القِضَاءَ على حياة الأفراد أَسْهَلُ مِنَ القِضَاءِ
على حياة المجموع .

وبعدُ ، فلا يُسَمِّحُ شِعْراً من الذُّعُوبِ أَنْ يَنْهَضَ إِلَّا إِذَا كَانَ بَيْنَ
ظَهْرَانِيهِ ^(٢) مِنْ يُداوي أخلاقه ؛ وَيُدْفَعُهُ إِلَى التَّرْفِي ، وَيَهْيِجُ مِنْهُ
عَاطِفَةَ التَّنْذِيرِ ؛ وَيُبْشِرُ فِيهِ كَامِنَ ^(٣) المَعَالِي .

وَبَقْدَرُ مَا لَدَيْهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الدُّدَاوِينَ يَكُونُ . قَدَارُ قَدْبِهِ أَوْ نُخُولِهِ .
الْأُمُّ لَا تَنْهَضُ إِلَّا بِتَرْقِيَةِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، وَاسْتِثْصَالِ ^(٤) كُلِّ
خَاقٍ فَاسِدٍ مِنْ نَفُوسِهَا ، وَتَهْذِيبِ نِظَامِ أَجْتِمَاعِهَا . وَهِيَ تَمَّ لَهَا ذَلِكَ

(١) ليطبوا : ليداووا . يقال : طبه يطبه إذا داواه

(٢) بين ظهرايه : في وسطه

(٣) جيج وبشير : بحرك كامن : مخفي

(٤) الاستئصال : قلع الشيء من أصله

هنا عليها كل شيء بعده : كتغيير أخطائها ^(١) السياسية والاقتصادية ^(٢) والعمرانية

ولا يمكنها تنمية الأخلاق ^(٣) العالية ، وإصلاح ما اختل من قواعد الاجتماع ، إلا بثورة الأدبية ، التي يهيجها في نفوس الأمة أولئك المصلحون من أطباء الاجتماع والاحلاق رويداً رويداً ، حتى تستأصل شائعات ^(٤) الأخلاق الفاسدة ، فيحل محلها صالح العادات .

اثورة الأدبية : قيام أفراد من الأمة - حسنت أخلاقهم ، وصفت سرائرهم ، وزكت أعراقهم ^(٥) - يغيروا فيها حالتها الاجتماعية والحقيقية . فيهيئون ^(٦) بها رتقاً ، ويثيرونها رتقاً ما ألفت من العادات الضارة والأخلاق المخطئة . ولا يزالون يهيئون ويتعمقون ، ويسعون وينصون ^(٧) ، حتى ينالوا ما يريدون

واشترط كل الشرط ، أن تكون البداية ^(٨) بذلك حسب مقتضى الحال . حتى إذا استعدت الأمة لما هو أرقى وأرفع ما لديهم من نجيبات الأفكار الصحيحة ، وكلمات ^(٩) الآراء الصائبة . وإلا كانت إثارتها شراً من بقائها على حالتها القديمة

(١) الخطة جمع نظام ، ويجمع أبعداً إلى أاطم وظم « يضم النون والطاء »

(٢) السياسة : علم تدبير أمور الدولة والرفعة . والاقتصاد : علم تنمية الثروة

(٣) تنمية الاحلاق : تربيتها لتتطور نمواً حسناً

(٤) الشائعات : لاصول . والمفرد شائعة

(٥) زكت : طابت . الاعراق : الاصول . والمفرد عرق

(٦) يهيئون بها : يصرحون بها ويذرحوها

(٧) ينصون : يتبعون

(٨) البداية : الانتداء

(٩) الكلمة والكثرة : الوعاء واصحابها : الوعاء الذي تكون فيه السهام

وإيكن إقدامهم على العمل كالإقدام الطبيب على مُداواة المريض :
لا يَصِفُ له الطعام ، إلاَّ بعدَ أن يَنالَ من الصِّحة مَنالاً يُسَكِّنُهُ من
تَناوله . حتَّى إذا بَلَغَ أشَدَّهُ من الصِّحة جَعَلَهُ حُرّاً في تَناولِ مالا
يَضُرُّ بالأَصْغَاء . فَلْيَتَنَبَّهُ إلى ذلك المُرشدون المُضِلُّون .

الامةُ في حاجة شديدة الى الثورة الأدبيَّة ، لإصلاح حالها ، والنُّهوض
بها من رَهْدَةٍ ^(١) الأخطاط . وأنتم ، معشَرَ النَّاشِئِينَ ، أوائلُك الأطباءِ
الاجتماعيُّون . وسيكون بيدكم أمرُ الامة . وستُوكَلُ إِيَّاكم إثارةُ
أفكارِها ، وَبَثُّ ^(٢) الأخلاقِ الصَّحيحة فيها .

فكونوا ، مُنْذُ الآنَ ، رجالاً حازمين . وَضَعُوا نَصَبَ ^(٣) عِيُونِكُمْ
أنكم ستكونون أطباءَها النَّاصِحِينَ ، وُمرشديها المُخَاصِينَ ، ووعاظَها
العاملين ، فَكُنْ ألكم من الشَّاكِرِينَ .



(١) الوهدة : الخفرة

(٢) البث : النشر

(٣) نصب أعينكم : أمامها . والنصب : الشيء المنصوب . وهذا الشيء

نصب عيني أي قائم في نظري

ولأنَّ الحكومة هي صورةُ الأُمّةِ ومِرآةُها . فإن كانت الأُمّةُ سالحةً فهي سالحةٌ ، والعكسُ بالعكس . فلو فرّطنا صلاحَ الحكومةِ وفسادَ الأُمّةِ ، لأقلّبتُ الحكومةُ أن تُفسدَ . وإن كانت الأُمّةُ سالحةً والحكومةُ فاسدةً ، فلا تمكثُ ههنا أن تصالحَ وتتبعَ الأُمّةَ في سيرها .

وخلاصةُ القول أن الحكومةَ تابعةٌ للأُمّةِ رُقيّاً وانحطاطاً ، وعِلماً وجهلاً ، وصلاحاً وفساداً . فعليّنا أن لا نعتدّ إلاّ على أنفسنا ، ولا نأملَ إلاّ ما ندرُهُ من الخلدِ واليُمّةِ . هذا إذا أردنا أن نكون قوماً صالحين ، نكونَ لنا حكومةً سالحةً .

فإليكُم بُسطُ يدِ الرّجاء ، أيّها النّاشِثون ، ان تجعلوا هدّ فُكُم^(١) خدمةَ الأُمّةِ خدمةً صادقةً ، والسّعيَ في إنجاحها وترقيتها ، حتّى يعودَ إليها مجدّها الدّائر^(٢) ، وشرفها الغابر^(٣) . فتكونَ حكومةً تُناسِبُها رُقيّاً اجتماعياً وعلمياً واقتصادياً وعمرانياً وبذلك تكونونَ وطنيينَ حقاً .
حقّ اللهُ فيكمُ الرّجاء . وحاطكمُ ببعضتهِ وتوفيقه . إنّه سميعٌ الدّعاء .



(١) الهدف : العرض الذي يوضع ليرمى اليه

(٢) الدائر : الباقي الممحو

(٣) الغابر : الماضي

(١)

الغرور

ضعافُ النفوسِ يَرَوْنَ في أنفُسِهِم مالا يَرَاهُ غَيْرُهُمْ فيها :
يَرَوْنَ أَنَّهُمْ عُظَمَاءُ ؛ وليس لهم من أسبابها ^(٢) تَقِيرٌ ولا قَطْمِيرٌ ^(٣)
وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ عُلَمَاءُ ؛ والجهلُ قد خَيَّم على نفوسهم ، كالضباب في
يومٍ داجنٍ ^(٤) ، ألبس الأرضَ وأقطارَ السماءِ أَرْدِيَةَ العِماءِ ^(٥)
وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَنَايِسِيُّ ؛ والمَلَكَاتُ ^(٦) الحيوانيةُ قد مَلَكَتْ
أَعْيُنَهُ ^(٧) نفوسهم ، وأخذت بأزِمَّةِ أفئدتهم ^(٨) ، وسيطرت على
طباعهم ، وتركت سباعَ شهواتهم تفتقرسُ عقولهم ، وتترقُ رِداءَ
إنسانيتهم . فهم في الضلالِ يَهيمون ^(٩) ؛ وفي ظلماتِ الفسوقِ والعِصيانِ
يَتَسَكَّمون ^(١٠) .

وما ذلك كله إلا من غرورِ النفسِ وطمعِها بالباطل . وهو خُلقٌ

- (١) الغرور . ان يرى الانسان في نفسه من المضائل ما ليس فيها
(٢) الضمير في اسبابها يعود الى العظمة المفهومة من العظمة
(٣) التقير : النقرة في ظهر بذرة التمر ونحوه . والقطمير : الفشرة الرقيقة
بين البذرة والتمرة . ليس له تقير ولا قطمير : ليس له شيء
(٤) الضباب : السحاب يغطي الارض كال دخان . يوم داجن : كثير الغمام
(٥) أقطار السماء : نواحيها وحواليها . الاردية : جمع رداء . العماء : السحاب
الكثيف
(٦) الملكات : جمع ملكة وهي الصفة الراسخة في النفس
(٧) الاعنة : جمع عنان وهو سير اللجام الذي تنسك به الدابة
(٨) الازمة . جمع زمام وهو المنان . والافئدة : القلوب ، ومفردا فؤاد
(٩) يهيمون : يذهبون لا يدرون أين يتوجهون
(١٠) يتسكَّمون : يتخبطون لا يجدون لوجههم

سافل ، يُودي بما في النفوس من دماء ^(١) الفضيلة ، ويقضي على ما فيها من أمل التعمدة ، وينمحو ما لأصحابها من بقية الاحترام في نفوس العقلاء .

وَمِمَّا يُؤْتِرُ فِي النَّفْسِ تَأْثِيراً عِيراً صَالِحاً ، أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الشُّبَّانِ ، الَّذِينَ هُمْ عِمَادُ الْأُمَّةِ ، وَدِعَامَةُ حَيَاتِهَا الْقَائِلَةِ ، وَرُكْنُ سَعَادَتِهَا فِي الْآتِي ، قَدْ أَصَابَهُمْ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ هَذَا الْخُلُقِ - خُلُقِ الْفُرُورِ ^(٢) - ، وَتَرَنُّوا ^(٣) عَلَى هَذِهِ الْعَادَةِ ، حَتَّى صَارَتْ لَهُمْ طَبِيعَةً يَضَعُ اسْتِصْالُهَا ؛ لِأَنَّهَا اسْتَأْصَلَتْ ^(٤) فِي نَفْسِهِمْ ، وَتَمَكَّنَتْ جَذُورُهَا ^(٥) مِنْ قُلُوبِهِمْ . فَتَفَرَّتْ مِنْهُمْ - نَسَبَ ذَلِكَ - الْأُمَّةُ ، وَجَفَّاهُمْ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ قَرِيباً ، وَاجْتَوَاهُمْ مَنْ كَانَ لَهُمْ صَدِيقاً حَبِيباً ^(٦) .

يَدْرُسُ أَحَدُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَسَائِلَ قَلِيلَةٍ لَمْ يُثْقِنْ دَرَسَهَا ، وَلَمْ يُحْكَمْ فَهْمُهَا ، وَيُرِيثُ أَنَّهُ عَلَامَةُ الزَّمَانِ وَهَيْلُ رُفُوفِ الْوَقْتِ .

وَيَقْرَأُ قَلِيلاً مِنَ الْأَدَبِ أَوْ التَّارِيخِ ، فَيَضَعُ نَفْسَهُ مَوْضِعَ كِبَارِ الْأَدْبَاءِ . وَيَنْظُمُ كَلَاماً عَلَى وَرْدَانِ النُّحُودِ الْمَعْلُومَةِ ، أَوْ يَكْتُبُ سَطُوراً يَشْرُهَا فِي أَحْرَاءِ ، وَيَسْ فِي نَظْمِهِ شَيْءٌ مِنَ الشِّعْرِ ، وَلَا فِي كِتَابَتِهِ عُمَرُ بْنُ قَتَادَةَ ^(٧) . لِيَهِيَ النَّفْسُ وَأَكْثَرُ مَا يُسَمِّيهِ شِعْراً أَوْ إِنْشَاءً يَفِيضُ

(١) يودي : يهلكه ويذمه . الدماء : بقية الروح

(٢) الفرور : مع العيب : ما يمر بالإنسان ويذمه إلى الباطل

(٣) مرو : اعتادوا

(٤) استصالتها : استأصلت : نبتت أصولها وتمكنت

(٥) جذورها : أصولها

(٦) اجتواهم : كرههم : الصديق كل الصديق

(٧) عمر بن قتيبة : من

(٨) تصو : تبين

خطأً معنوياً أو لفظياً ، أو يكون منبوءاً منها معاً ؛ وهو - مع هذا - يدعى ، غير خجل ، أنه أكتب كتاب العصر ، وأشعر شعراء الزمان ، لا يطاوله ^(١) في ذلك مطاول ، ولا يُنازله منازل ويتصدّر قوم في المجالس العامة والندوات ^(٢) الخاصة ، فيتكلمون في كل موضوع ، ويهيمنون في كل وادٍ . فتارة تراهم مُعلّقين في السماء ، وطوراً عاثين في بطون الأرض ، وآوذةً يبعثون في تاريخ الأمم ، مامضى منها وما حضر ؛ ثمّ ينتقلون من ذلك الى علوم الأدب وتاريخها ، ثمّ الى علوم الدين وتفاريعها ، ثمّ الى الفلسفة بأقسامها ، فيخبطون في كل ذلك حبط عشواء ^(٣) ، في ليلة عمية ، ليقول الناس إنهم علماء . وترى شرذمة من الأنايين ^(٤) ، قدّمها في الماء ، وأنفها في السماء ، وهي حثالة ^(٥) السفهاء ، تحتال ^(٦) اختيال الحبايرة ، وتبشّط تبشّط القساورة ^(٧) ، وتجلس حلسة الأكاسرة ^(٨) ، وتمشي مشية القياصرة ^(٩) . وهي لا في العير ولا في النفير ^(١٠) .

(١) لا يطاوله : لا يفاحره

(٢) الندوات : جمع ندوة وهي المجلس

(٣) حبط حبط عشواء : مثل حرب لمن يتصرف في الامور على غير بصيرة .

والعشواء : الناقة لا تصر لبلأ

(٤) الانائي : الذي لا يرى غير نفسه ، فهو يقول : انا انا

(٥) الحثالة : سفلة الناس . وأصل معناها : ما يخرج من قشر الشجر ويحوه

(٦) تحتال : تمشي مشية الخيلاء والمحب والكبر

(٧) القساورة : الاسود . والمفرد قسورة

(٨) الاكامرة : جمع كسرى ، وهو لقب لكل من ملك الفرس

(٩) القياصرة جمع قيصر . وهو لقب لكل من ملك الروم

(١٠) العير القافلة من الدواب تحمل الميرة . والنفير : القيام العام لقتال العدو .

وقولهم : « هو لا في العير ولا في النفير » مثل يضرب لمن يحط أمره ويصفر قدره

ولا يصلح لهم

وإن سألت أحداً هؤلاء الأتانيين عن سبب هذه الكبرياء ، أجابك :
 إن هذا من الإباء ^(١) . وما الإباء ، لو يعلم ، إلا تطهير النفس من
 الأدناس ^(٢) ، وتزيتها عن الأرجاس ^(٣) ، وحذفها على معالي الأمور
 لتأبي الخسب ^(٤) ؛ فلا تقيم على الحسف ^(٥) ، ولا ترضى بالذل ، ولا
 تبيل إلى شائن الأفعال . بل تأخذ بزمام صالح الأعمال ، وتسير في
 منهاج ^(٦) قاضل الأخلاق .

إن عمل تلك الشريعة لهم من صغر النفوس ، ولوم الطباع ،
 وبنية الأحلام ^(٧) ، ودعاة التربية ، والتسك بالأوهام .
 فأعنيك ، أيها النسيء الصالح ، من الغرور ، وإثته يسوق إلى
 هذه الأمور ، ويؤثث لك تلك الأعمال الدنيئة ، ويعملك على
 مركب الهوان .

اعرف حدك ، وأسع إلتا هو فوقه ، ربنا قنذله من الجدة
 والعمل واكتساب الفضائل . فرحم الله امرءاً عرف حده
 فوقه عنده .

أخذ الله يديك ، وأزاح عن قلبك الغشاوة ^(٨) ، وهذاك أقوم طريق ،

(١) الإباء : الامتناع عما يتبين

(٢) الأدناس : الأوساخ . والمفرد دس ، يفتح الدال والنون

(٣) الأرجاس : الأحماس ، والمفرد رجس ، بكسر الراء وسكون الحيم

(٤) الخسب : القهر والظلم والذل

(٥) الحسف : تحمل ما يكره ، والنيصة ، والذل

(٦) منهاج : جمع منهج وهو الطريق الواضح

(٧) الأحلام : العقول ومفرد لها حلم

(٨) الغشاوة : الغطاء

التجرد

التَّجَدُّدُ هو الحياة . وهو سُنة^(١) عامة في كل حي .

الأجسامُ الحيَّةُ تَتَجَدَّدُ في كل مُدَّةٍ معلومة . فتتقنى ذراتها ، التي لم تبقَ صالحة للبقاء ، وينشأ غيرها مِنّا هو قابل للحياة . ولولا هذا التَّجَدُّدُ لَمَّا أمكنها أن تعيش أكثر من عشر سنين . ثم تُكْتَسَبُ بعدها في سفر^(٢) القناء .

إنَّ الموت هو طاريء على الأجسام يَنْتَعُ تجددُها . فهو قد يكون ضعيفاً ، فيعمل على منع التَّجَدُّدِ قَدْرِيحاً . حتَّى إذا استحكمت جراثيمُهُ^(٣) بلغت ما تُريد . وقد يكون قوياً ، فيكون منه الموتُ الفجائيُّ ، الذي يَقْضِي على نَسَمَاتِ^(٤) التَّجَدُّدِ قِطْعاً سريعاً

وهذا هو الشَّأْنُ في النّات ايضاً ، فَإِنَّهُ من الأجسام ذوات الحياة . فالْبُسْتَانُ الذي يَتَعَهَّدُ . مخراثُ الحارث^(٥) ، وتعملُ فيه يدُ الباحث ، فتقلبُ أرضُهُ ، وتَسْقِي أعراسُهُ ، وتُشَدِّبُ^(٦) أعصانه ،

(١) السنة . الطبيعة

(٢) السفر : الكتاب . والجمع أسفار

(٣) استحكمت : تكثرت . الجراثيم : الاصول . وتطلق اليوم على ما يسمى المكروب

(٤) النسمات : الالاس ، جمع نسمة وهي نفس الروح

(٥) يتعهده : يتفقد . المخراث : السكة التي تحرت مما الارض أي شق

مما . الحارث : الرارع . والجمع حرات

(٦) تشذب اعصانه : تصالحها بقطع تذجا وهو ما تفرق من عيدانها مما لم

يكن صالحاً

وَنَنْقِي قُرْبَتَهُ مِنَ الْحَشَرَاتِ الضَّارَّةِ وَالنَّبَاتَاتِ الْفَاسِدَةِ ، تَسْرِي فِيهِ رُوحُ
التَّجَدُّدِ ، فَيُورِثُنِي أُكْلَهُ مَوْفُورًا ^(١) ، وَيُفِيضُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ
أَشْهَابًا ، وَمِنَ الْفَارِكَةِ أَطْيَبًا .

وَالْبُسْتَانُ الَّذِي يُهْمِلُهُ الْبُسْتَانِيُّ — فَلَا يَفْلَحُهُ ، وَلَا يَسْقِيهِ ، وَلَا
يَتَعَهَّدُهُ بِالْحَيْطَةِ ^(٢) ، وَلَا يَنْفِي عَنْهُ مَا يَضُرُّ بِهِ مِنْ حَشَرَاتٍ وَنَبَاتٍ ،
وَلَا يَمُدُّ إِلَيْهِ مِنْجَلَ التَّطْهِيرِ — تَسْرَحُ قُرْبَتُهُ ، فَلَا تَقْوَى عَلَى الْإِنْبَاتِ ،
وَتَضَعُفُ أَشْجَارُهُ ، فَلَا تَسْتَطِيعُ الثَّبَاتُ ، وَتَذُبُّ أَعْصَانُهُ ، فَلَا
تَجُودُ بِالشَّجَرَاتِ .

وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِفَقْدِ أَسْبَابِ التَّجَدُّدِ . وَالتَّجَدُّدُ سِرُّ الْمَقَادِرِ .

الْأُمَّةُ هِيَ الْأَشْجَارُ فِي بُسْتَانِ الْحَيَاةِ ، وَرُشْدُهَا هُمُ الْخُرَافَاتُ .
وَإِنْ أَهْمَلُوا شَأْنَ قُرْبَتِهَا — فَتَرَكَوْا أَمْرَ تَعْلِيمِهَا ، وَلَمْ يُرْثَوْا عَقُولَهَا ، وَلَمْ
يَهْذَمُوا أَخْلَاقَهَا ، وَلَمْ يَنْفُتُوا عَنْهَا مَا يَطْرَأُ عَلَيْهَا مِنْ فَاَسِدِ الْعَادَاتِ وَضَارِّ
الْأَخْلَاقِ ، وَلَمْ يَتَعَهَّدُوا بِمَا يَجْدُبُ مِنْ جَدِيدِ الْمَحَارِثِ ، وَحَدِيثِ
الرِّسَالِ الدُّخِّيَّةِ ، وَلَمْ يُهَيِّبُوا ^(٣) بِهَا لَتْنَهُضَ وَتَحْيَا حَيَاةً سَعِيدَةً — كَانَتْ
عَاقِبَتُهَا الْخُذُولُ ، فَالذُّبُولُ ، فَالْيُسُ ، فَالْإِسْتِصَالُ ^(٤) مِنْ بُسْتَانِ
الْحَيَاةِ

١ مَوْفُورًا : تَامًا

٢ الْحَيْطَةُ : الْخَفْطُ وَالْتَفَقُّدُ

٣ أَهَبَ بِهِ جَوَّابٌ : صَرَحَ بِهِ وَزَجَرَهُ

٤ الْإِسْتِصَالُ : الْقَلْعُ وَالِذَرَعُ

التَّجَدُّدُ يَكُونُ فِي الْمَعْمُولَاتِ ، كَمَا يَكُونُ فِي الْمَحْسُوسَاتِ

فَإِذَا كَانَتِ الْأَجْسَامُ الْحَيَّةُ مُحْتَاجَةً إِلَى التَّجَدُّدِ - تُحَافِظُ عَلَى حَيَاتِهَا -
وَكَذَلِكَ مَعْنَوِيَّاتُ الْأُمَّةِ ، يَجِبُ أَنْ تَتَجَدَّدَ بِتَجَدُّدِ حَاجَاتِهَا .

وَأِنْ كَانَ الْبُسْتَانُ - وَإِنْ بَالِغُ الْبُسْتَانِيِّ بِتَعَهُدِهِ وَتَجْوِيدِهِ - لَا بُدَّ أَنْ
يُظَاهَرَ بَيْنَ زَيَادَةِ الطَّيِّبِ نَبَاتٍ فَاسِدٍ وَحَشَرَاتٍ ضَارَّةٍ ، فَكَذَلِكَ
الْأَحْلَاقُ وَالْعَادَاتُ ، لَا قَلْبَتْ أَنْ يَنْدَسَ ^(١) فِيهَا مِنَ الْأَوْضَارِ
مَا يَشُوهُ ^(٢) مُحَاسِنَهَا ، وَيُقْسِدُ صَالِحَهَا .

فَالْبُسْتَانِيُّ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُهْمِلَ ذَلِكَ النَّبَاتَ الْفَاسِدَ ، وَلَا تِلْكَ الْحَشَرَ
الْحَبِيشَةَ ، كَمَا لَا تُقْسِدُ النَّبَاتُ كُلُّهُ .

وَالْأَمَّةُ يَجِبُ أَنْ تَتَنَبَّهُ لِكُلِّ خَلْقٍ خَلِيقٍ ^(٣) بِالرَّفْضِ ، وَكُلِّ
عَادَةٍ حَدِيدَةٍ بِالطَّرْحِ ، فَتَعْمَلَ عَلَى مَخَوِّهَا ، حَتَّى لَا يَتَعَدَّى ضَرَرُهَا إِلَى
فَاضِلِ الْأَحْلَاقِ وَحَسَنِ الْعَادَاتِ .

التَّجَدُّدُ سُنَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ إِلَهِيَّةٌ ، لِذَلِكَ كَانَ اللَّهُ سُعْمَانَهُ يُرْسِلُ
الرُّسُلَ ، الْوَاحِدَ إِثْرَ الْوَاحِدِ ، حَتَّى يُجَدِّدَ الْأَرْحَاقَ مَعَالِمَ ^(٤) مَا جَاءَ بِهِ
السَّابِقُ ، مَعَ زِيَادَاتٍ تَقْتَضِيهَا الْحَالُ ، وَقَدْ دُعِيَ إِلَيْهَا الْحَاجَةُ . وَإِلَى ذَلِكَ

(١) يندس : يدخل ويندفن

(٢) الاوصار : الاوساخ . والمراد بها الاحلاق الفاسدة . والمفرد وضار

« بفتح الواو والضاد » . يشوه : يفسد

(٣) خَلِيق : جدير

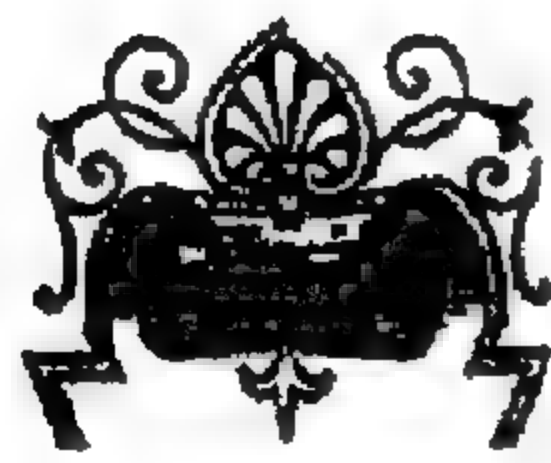
(٤) المعالم : الآثار . والمفرد معلم

الإشارة في الحديث : « يَبْعَثُ اللهُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِثْقَلِ عَامٍ مِنْ يُجَدِّدُ
لهذه الأمة أَمْرَ دِينِهَا » .

مَتَى سَرَتْ رُوحُ التَّجَدُّدِ فِي الْأُمَّةِ ، تَشُرُّ ^(١) عَلَى مَا فَسَدَ مِنْ
أَخْلَاقِهَا ، وَتَهْبِجُ عَلَى مَا اخْتَلَّ مِنْ أَنْظِمَتِهَا ^(٢) ، وَتَقْضِي عَلَى مَا شَاخَ ^(٣)
مِنْ عَادَاتِهَا ، حَتَّى تُرْجِعَ ذَلِكَ كُلَّهُ يَتَهَادَى فِي مَطَارِفِ ^(٤) الشَّابِ ،
وَيَخْطِرُ فِي حُلُلِ الْكَمَالِ .

إِنَّ الْأُمَّةَ ، أَثِيهَا النَّشْءُ الصَّالِحُ ، فِي الْحَاجَةِ الْقُصْوَى إِلَى التَّجَدُّدِ .
فَقَدْ اشْتَعَلَتْ رُءُوسُ عَادَاتِهَا وَأَخْلَاقِهَا وَأَنْظِمَتِهَا وَلَقَبَتِهَا وَسَائِرُ
مَقَرِّمَاتِهَا شَيْبًا .

فَاتَّهَضَ ، رَعَاكَ اللهُ وَحَاطَكَ بِمَعْرُوفَتِهِ ، بِأُمَّتِكَ ، يَا تَبَشُّهُ فِيهَا
مِنْ رُوحِ التَّجَدُّدِ ، فَإِنَّ التَّجَدُّدَ سِرُّ الْحَيَاةِ



(١) تَتَوَرَّعُ : تَهْبِجُ وَتَتَحَرَّكُ

(٢) الْأَنْظِمَةُ : الْقَوَائِنُ الَّتِي تَوْضَعُ لِنَسِيرِ الْأُمَّةِ فِي سَبِيلِهَا ، وَالْمُفْرَدُ نِظَامٌ .
وَالنِّظَامُ : قَوَامُ الْأَمْرِ الَّذِي بِهِ يَقُومُ . وَأَصْلُهُ الْحَبِطُ الَّذِي يَنْظُمُ فِيهِ الْمَوَلُودُ

(٣) شَاخَ : هَرَمَ وَبَلَى

(٤) يَتَهَادَى : يَتَجَحَّرُ . الْمَطَارِفُ : ثِيَابٌ مِنَ الْحَرِيرِ مُرَمَّعَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ .
وَالْمُفْرَدُ مَطَرَفٌ

(١) التَّرف

ما وجدَ التَّرفُ سبيلاً الى نُفوسِ أمةٍ إلا أفسدها ، وجعلَ عاليَ
سعادَتِها سافلها ، وبَدَّدَ ^(٢) ما لَدَيها من ثروة ، وأسقطَ مالها من رفعة ،
ودَمَّرَ ^(٣) ما عِنْدَها من عُمران .

المُتَرَفُونَ ^(٤) في كل أمةٍ تَفْسِدُ أخلاقهم ، بما يَكْثُرُ لَدَيْهم من
دواعي التَّنعم ، وما يُحِيطُ بهم من أسبابِ الفُسوقِ ^(٥) عن سُنَنِ الله .

التَّرفُ يَسُوقُ الى السَّرَفِ . والسَّرَفُ دَاعِيَةُ التَّأَنُّبِ . فَالْمُتَرَفُونَ ضَعَفَاءُ
الْعُقُولِ ، ضَعَفَاءُ الْحُصُونِ ، ضَعَفَاءُ الْإِرَادَةِ ، خَامِلُوا الْأَذْهَانَ ، لَا يَعْرِفُونَ
لِلْحَيَاةِ مَعْنَى سِوَى مَا تَسْوِقُهُم اليه الشَّهَوَاتُ الْحَيَوَانِيَّةُ ، وَتَدْفَعُهُم اليه
الذَّاتُ الْهَيْمِيَّةُ . فَلَا يَسْعَوْنَ إِلَّا يُفِيدُ الْأُمَّةَ ، وَلَا يُفَكِّرُونَ فِيمَا يَغْتَرُّ
الْبِلَادُ . فَاَلْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ مَنكُورٌ . وَالْمَنكُورُ مَشْهُورٌ . وَالْخَيْرُ مَقْبُورٌ .
وَالشَّرُّ مَنشُورٌ . فَإِنْ دَعَوْتُهُمْ لِتَخْفِيفِ مُصَابِ الْأَشْقِيَاءِ ^(٦) ، وَتَجْفِيفِ
شَمْعَةِ الْفُقَرَاءِ ، وَبَذْلِ الْمَالِ لِتَعْلِيمِ الْهَلَاءِ ، غَضَّتْ حُلُوقَهُمْ ، وَشَرِقُوا

(١) الترف التوسع في التمتع . يقال : أترفته النعمة ، أي اطقته وأطرتة

(٢) بدد : اذهب وافرغ

(٣) دمر : قوض وهدم

(٤) المترفون : المتنعمون

(٥) الفسوق : الخروج والعدول عن الامر ، والعمل المنكر

(٦) الاشقياء : جمع شقي وهو الناس المحتاج

يريقهم ، وأمالوا أعناقهم ، ولووا رؤوسهم ^(١) . وإن طلبوا لنذل
الأموال في سافل الأعمال ، هرعوا ملتين ، وأقدوا مسرعين ، وأجابوا
الداعين ، كأَنَّهُمُ السَّهْمُ الْمُرْسَل ، أو القضاء المنزل .

ما من فساد يَتَشَرُّ في الأمة ، إلاَّ كان هولاء المشرِّعون منشأه
وما من بليَّةٍ تَحُلُّ بها ، إلاَّ كانوا جراثيمَ أوبائها ^(٢) . وما من فسوق
إلاَّ كانوا عمادَهُ وذُرْوَةَ سَنَامِهِ ^(٣) .

إنَّ النفوسَ اتَّضَرَّتْ بالشَّهَوَاتِ ^(٤) حتى قَسَّخَوْذَ عَلَيْهَا ^(٥) ، ولا تترك
فيها مَنَقِذاً إلاَّ وَاجَبَتْ ^(٦) ، ولا مُتَسَعّاً إلاَّ مَلَأَتْهُ . وما ذلك إلا من
التَّرفِ ؛ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى التَّبَسُّطِ ^(٧) في المِلذَّاتِ ، وإعطاء النفسِ الأَمارةَ
هَوَاهَا ، وإجابةَ مُيُولِهَا . ومَتَى نَهَتْ الأُمَّةُ بِأَهْوَائِهَا ^(٨) ، واشتغلت
بِشَهَوَاتِهَا ، وَهَيَّئَتْ ^(٩) بِمِرَافِقِهَا ، وَغَفَلَتْ عَنْ مُقَوِّمَاتِ حَيَاتِهَا ، أَسْرَعَ
إِلَيْهَا الْفَسَادُ ، وَغَمَّهَا الْمَلَاءُ ، وَحَاطَتْهَا الْأَرْزَاءُ ^(١٠) .

(١) لووا رؤوسهم : أمالوها وأداروها

(٢) الأوباء : الأمراض والمفرد وأ . وأما الوباء فيجمله أوبئة

(٣) ذروة كل شيء : علاه . السنام في الأصل : ما ارتفع من ظهر الحمار .
والجمع أسنة

(٤) تضرى بالشهوات : تولع بها حتى تنادها

(٥) قسَّخوذَ عليها : تسولي عليها

(٦) واجبت : دخلته

(٧) التبسط : الاجترأ وترك الاحتشام

(٨) أهواها : جمع هوى النفس

(٩) هيَّئت : مزأت واستحضت ولعت . المرافق : المنافع والمصالح

(١٠) لارزاء : المصائب . والمفرد رزاء

عَجَّ بِطَرَفِكَ^(١) نَحْوَ الْأُمَمِ الْحَالِيَةِ ، تَجِدُ أَنَّ التَّرَفَ قَدْ قَضَى عَلَيْهَا ، حَتَّى جَعَلَهَا عِبْرَةً لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهَا .

هَذِهِ الْأُمَمُ الرُّومَانِيَّةُ ، وَالْأُمَمُ الْفَارِسِيَّةُ ، وَالْأُمَمُ الْعَرَبِيَّةُ ؛ وَإِذَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي ذُرَى الْمَجْدِ وَالسَّعَادَةِ ، قَدْ هَوَى بِهَا التَّرَفُ إِلَى مَكَانٍ سَحِيقٍ^(٢) ، وَتَوَلَّى بِهَا التَّبَسُّطُ فِي هَوَى النِّفْسِ إِلَى الْخَضِيضِ^(٣) وَرُبَّمَا كَانَ هَذَا السَّبَبُ مُنْزُوجاً بغيره مِنْ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَدْعُو إِلَى الْأَنْخِلَالِ ؛ وَلَكِنَّهُ السَّبَبُ الْأَوَّلُ الَّذِي يَجْرُ وَرَاءَهُ غَيْرُهُ مِنْ الْأَسْبَابِ

وَقَسَّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَمِ غَيْرَهَا مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ؛ وَابْتَغَتْ تَجِدُ أَنَّ هَذِهِ الْعِلَّةَ هِيَ جُرْثُومَةُ الْجُرْتِيمِ وَعِلَّةُ الْعِلَلِ

قَارِنْ الْيَوْمَ بَيْنَ أَخْلَاقِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، وَأَخْلَاقِ سُكَّانِ الْحَوَاضِرِ ؛ وَقَايِسْ بَيْنَ جُسُومِ هَؤُلَاءِ وَجُسُومِ أُولَئِكَ ؛ ثُمَّ أَنْظُرْ إِلَى مَا عِنْدَ الْبَادِيَةِ^(٤) مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ وَالْوَفَاءِ وَالْعِفَّةِ وَالْكَرَمِ وَالشَّعَاعَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، وَإِلَى مَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ التَّشَدُّدِينَ مِنْ أَضْدَادِهَا ؛ وَاحْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَا يَجْرُهُ التَّرَفُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الْأَمْرَاضِ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَجْسَامِ .

لَحْنٌ لَا تَدْعُو إِلَى الْبِدَاوَةِ . وَلَكِنْ تَدْعُو إِلَى التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ

(١) عَجَّ بِطَرَفِكَ : أَعْطَفَهُ وَأَدْرَهُ

(٢) سَحِيقٌ : بَعِيدٌ

(٣) الْخَضِيضُ : الْأَرْضُ ، وَأَسْفَلُ الْحَبْلِ

(٤) الْبَادِيَةُ : مَنْ يَسْكُنُ الْبَادِيَةَ

أهلها ؛ ونُهيْبُ^(١) يَمْنُ يُسَيِّي نَفْسَهُ إِسَاقًا أَنْ يُثْلَعَ عَنْ سَافِلِ الْعَادَاتِ ،
وَيَتَجَنَّبَ سَفِيهَ الْأَخْلَاقِ ، وَيَبْتَغِدَ عَنِ الثَّرَفِ ؛ فَهُوَ يَجْرُفُ الْفَضَائِلَ ،
وَيَبْقِي عَلَى الرِّذَائِلِ ؛ وَأَنْ يَكُونَ بَيْنَ ذَلِكَ وَسَطًا ؛ كَيْلَا يَكُونَ
أَمْرُهُ فُرْطًا^(٢) .

فَتَنَّهُوا ، أَثِيهَا النَّاشْتُونَ ، إِلَى مَا يُعْبِطُ بِكُمْ مِنْ إِسَاعِ الْحَلَدَاتِ ،
وَمَا يَحْرُطُكُمْ مِنْ ضَوَارِي^(٣) الشَّهَوَاتِ . وَلَا تَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ الشَّرَفِينَ .
وَلَا تَسِيرُوا سِيرَ الْعَادِي^(٤) ؛ كَيْلَا تُكْثِرُوا فِي الذَّاهِبِينَ . وَفِي هَذَا
بَصَائِرُ^(٥) لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُبْصِرِينَ .

(١) نهيب : نادى وصرح

(٢) امره فرط : تجاوز الحد

(٣) الضواري : الحيوانات المفترسة كالذئب والاسد ونحوهما

(٤) العادي المجاوز الحد في أعماله

(٥) البصائر : العبر والشواهد والمنرد بصيرة

الدين

حقّ العلاء ^(١) لأنفسٍ طهرت عنها قنأى الفحش والقذ ^(٢)
 ليست دناء العالم ، رادّعت ^(٣) بالدين ، فهو امجدها عمده
 فالدين ، لولاه لَمَا انشعلت عن عقل هذا العالم العقد
 وأما استقام لأمرهم روج وأما أقيم لئيلهم أود ^(٤)
 ولا نجدوا يعلمهم عطش ولا تهوا يجهلهم الرش ^(٥)

الدين الصحيح نبراس ^(٦) المدنية والعمل به رائد ^(٧) الانسانية .
 الدين وضع إلهي . وحاش لله أن يأمر عباده بما يُشعدّهم عن
 العمل الصالح ، ويصدفهم ^(٨) عن العيشة الراضية .

و مدنية الصحيحة هي الدين الصحيح . فإن لم يكن كل منها
 حين الآخر ، فهما شقيقتان ؛ أبوهما الحق ، وأُمهما الحقيقة .

-
- (١) حق : ثقت . العلاء : الشرف وارفة
 (٢) الفحش : المنطق العاصد العبيح . القذ الكذب ، والظلم ، وكفر العمة
 (٣) الدثر : التوب ادرعت بالدين : اتخذته درءاً لها
 (٤) الأود : الأعوجاج
 (٥) امجدوا : اتوا بحدا . العطش : الظلام . اتحموا : حاءوا قحامة .
 ونجد وقحامة من بلاد العرب . فنجد اراضيها مرتفعة ، وقحامة اراضيها منخفضة .
 والمراد بالانحداد والاتهام هنا : السير على اختلاف انواعه
 (٦) النبراس . المصباح يستضاء به
 (٧) رائد . مرشد
 (٨) يصدفهم : يصرفهم ويصدفهم

ما أسعدَ النَّاسَ إِلَّا الدِّينُ ؛ وما أشقاهم إِلَّا تَرْكُهُ ، أو التَّمَسُّكُ
بِقُشُورِهِ وإِهْمَالُ لُبَابِهِ .

الدِّينُ سيفٌ ذو حَدَّينِ . فإن أحسنَ المُنْتَسِبُ إليه أَسْتَعْمَلَهُ
كان له عَوْنًا في الشَّدَائِدِ ، ومرشدًا في الْفَلَوَاتِ ^(١) وَمَصَادِحًا في الظُّلُمَاتِ .
وإن أساءَ انْتِزَاعُهُ ^(٢) ضَرَّ بِهِ وبغيرِهِ . وإنَّ ما نَزَّاهُ من شَقَاءٍ
كثيرٍ من المُنْتَدِينَ ، إنَّ هُوَ نَاشِيٌّ إِلَّا من جهلهم بالدِّينِ ، وبُعْدِهِم
عن جَوْهَرِهِ النَّقِيِّ ، الْحَالِي عن الشَّرَائِبِ ^(٣) ، الْمُنْتَزِعِ عَمَّا دَسَّهُ ^(٤)
فيه الدَّسَّاسُونَ ؛ وعن أعمالٍ من لا يعرفون منه إِلَّا الْأَسْمَ وبعضَ
الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ ؛ وعن أغراضِ الذين اتَّخَذُوهُ مَلْعَبًا لِأَهْوَائِهِمْ ،
وَمَرْكَبًا لِسَافِلِ مَقاصِدِهِمْ .

الدِّينُ اليومَ شَحَّحٌ لَا رُوحَ لَهُ ، وَالْقَاطِئُ أَضَاعَ النَّاسَ مَعْنَاهَا .
وقد اتَّخَذَهُ الْمُتَعَاتِلُونَ بِهِ حِبَالَةً ^(٥) لَأَصْطِيَادِ عُقُولِ الْعَامَّةِ ، وَوَسِيلَةً
لِتَعْظِيمِهَا إِيَّاهُمْ وَإِتْرَاعِ حَقَائِبِهِمْ ^(٦) من أموالها . وَهُمْ أَيْسَرُوا مِنَ الدِّينِ
في شيءٍ . بل هُنَاكَ جَهْلٌ مُطَبَّقٌ ، وَأَحْلَاقٌ وَرَضِيعَةٌ ، وَنَفُوسٌ ضَعِيفَةٌ ،
وَنُفُورٌ من صالحِ الْأَعْمَالِ ، وَبُعْدٌ عن هَدَفِ ^(٧) الْحَقِيقَةِ . واكْثَرُهُمْ

(١) الْفَلَوَاتُ : جمع فلاة ، وهي القفر والصحراء الواسعة

(٢) انْتِزَاعُ السِّيفِ : تجريده من قرابه

(٣) الشَّرَائِبُ : الميوب ، والادناس ، والاخلاط

(٤) دَسَّهُ : ادخله

(٥) الْحِبَالَةُ : شبكة الصيد

(٦) الْإِتْرَاعُ : الاملاء ، الخفائب : جمع حقبة وهي خريطة يملكها المسافر في
أرحل للزاد ونحوه

(٧) الْهَدَفُ : الغرض الذي يوضع ليرمى إليه

هَبْدَةٌ أَوْهَامٌ ، وَسَدَنَةٌ ^(١) تَقَالِيدٌ ، وَأَجْرَاءُ أَهْوَاءُ .

إِنَّ الْعَامَّةَ غَيْرُ مَلُومَةٍ إِنْ أَعْتَقَدَتْ مَا لَا أَصْلَ لَهُ فِي الدِّينِ . وَإِنَّمَا
الْمَأْمُومُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ خَاصَّةً ؛ وَهُمْ يَدُشُّونَ فِي نُفُوسِ
الْعَامَّةِ مَا لَا يَتَّفِقُ مَعَ الشَّرْعِ ؛ وَيَنْشُرُونَ فِيهِمْ مِنَ الْإِفْكَ ^(٢)
مَا يُسَمِّونَ بِهِ الْعُقُولَ ، وَيُوسِّعُ مَسَامَةَ الْخُلَفَاءِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْوَطَنِ الْوَاحِدِ .
ضَرَرُ الدِّينِ مِنْ رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ

ظَنَّ دِينَ اللَّهِ فِي تَرْكِ الدُّنْيَا ^(٣) وَرَأَى الْإِعْرَاضَ عَنْهَا أَنْفَعًا
وَهُوَ لَوْ جَاءَتْهُ مِنْهَا بَدْرَةٌ ^(٤) طَلَّقَ التَّقْوَى وَعَافَ الْوَرَعَ ^(٥)
فَهُوَ لَا زُهْدًا بِهَا عَنْهَا نَأَى ^(٦) لَكِنْ الْجِدُّ يُذِيبُ الْأَضْمَا
حَافٍ أَنْ يَنْسَى فَيُذِمِّي رَجُلَهُ فَرَأَى الرَّاحَةَ فِيهَا صَنْعًا
أَيْسَرَ بِالزَّاهِدِ فِي الدُّنْيَا أَمْرُوهُ ^(٧) يَلْبَسُ الصُّوفَ وَيَهْوَى الرُّقْعَا ^(٨)
إِنَّمَا الرَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا أَمْرُوهُ عَفَى نَفْسًا ، فَأَلَى أَنْ يَخْنَعَا ^(٩)
وَرَجُلٍ يَدْعُو إِلَى نَاطِلٍ بِأَسَمِهِ ؛ وَيُسَكِّفُ سَوَاهُ أَوْ يُبَدِّعُهُ
أَوْ يُفْسِقُهُ ^(١٠) ، لَيَظُنَّ الْعَامَّةُ أَنَّهُ مُتَدِينٌ ، وَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الدِّينِ بَعْدَ
السَّمَاءِ عَنِ الْأَرْضِ .

(١) السندة : جمع سادن وهو خادم العنم

(٢) الافك : أشد الكذب

(٣) الدار جمع الدنيا ، وإنما جمعت مع انها واحدة لاعتبار اقسامها ومظاهرها

(٤) البدره : عشرة آلاف درهم ، والجمع بدر «بكسر الباء وفتح الدال»

(٥) الورع : الابتعاد عن الشبهات خشية الوقوع في المحرمات

(٦) الزهد : الاعراض عن الشيء احتقاراً ، نأى : بعد

(٧) الرقع : جمع رقعة ، وهي ما يرقع به الثوب

(٨) يخنع : يذل ويهون ويحيط من نفسه ومروءته

(٩) يبدهه ويفسقه : ينسبه الى البدعة والفسق

فَاَحْذَرُ ، اَتِيهَا النَّشْرُ الصَّالِحُ ، هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ؛ فَهُمَا آفَةٌ ^(١) الدِّينِ .
الدِّينِ نُورٌ ، وَعَمَلُ هَذَيْنِ ظُلْمَةٌ . الدِّينُ حَقٌّ . وَعَمَلُهُمَا باطلٌ .
الدِّينُ عُثْرَانٌ . وَمَا يَدْعُوَانِ اِلَيْهِ خَرَابٌ .

لَا تَظُنَّ الدِّينَ مَا يُنْطَلِ الْهَوَى لَيْسَ دِينُ اللَّهِ تِلْكَ الْبِدْعَا ^(٢)
إِنَّمَا الدِّينُ ضِيَاءٌ لَمَعَا فَأَسْتَنَارَ الْكَوْنُ لَمَّا سَطَعَا
قَبَسَتْ مِنْهُ السَّمَاءُ شُعْلَةً صَدَعَتْ قَلْبَ الدُّجَا ^(٣) فَأَقْصَدَا

تَحَسَّكُوا ، مَعَشَرَ النَّاشِئِينَ ، بِدِينِكُمْ . وَلَا تَدْعُوا لِلْمُنْتَسِبِينَ اِلَيْهِ ،
وَهُوَ بَرَاءٌ مِنْهُمْ ، سَبِيلًا ؛ تَفُوزُوا بِالسَّعَادَتَيْنِ ؛ وَقَتَالُوا الْخُسَائِيَيْنِ ^(٤) .

(١) آفة الشيء : عاهته وضرره وفسده

(٢) البدع : جمع بدعة وهي ما ينسب الى الدين وليس منه

(٣) صدعت : شقت ، الدجاء : الظلام

(٤) ان ما ورد من الشعر في هذه المظة هو لصاحب المظان

المدنية

المدنية الحق سيرة تكسب المتمدن صحة في جسمه وعقله ،
وقلبه حلة تزيته في أهله وعشيرته وبيته ^(١) ، وتجعله سعيداً في
دنياه وآخرته .

فمن تردى بردائها ، وسعى لها سعيها ، كان مُشددّاً . ومن
فهمها على غير وجهها - فليس لها رداء غير رداؤها - كان بمن طمس
على قلوبهم ؛ وضرب بينهم وبين السعادة بأسوار لا تقوى على اختراقها
مدافع الآمال ، بل تعيا ^(٢) عن بلوغ أعلاها نُشورُ الأماني ؛ ويكل
دون ذراها طرف ^(٣) الرجاء .

ما المدنية إلا أخلاق فاضلة ، تُشِرُّ اتِّتلافَ الأفراد ، واتِّحادَ
الحماة ؛ وسعي ومعمل ، يلدان عمران البلاد ، وارتقاء الحالة
الاجتماعية ؛ وإقدام على تطهير النفس من الرذائل ، لاكتساب الفضائل ؛
وإحجام ^(٤) عن الضرر بالناس ؛ وابتعاد عن منكر الأخلاق ؛ وبذل
لتخفيف ويلات البائس ^(٥) ، وتشيد صروح ^(٦) المدارس .

(١) البيئة : المنزل . والبلد أو القطر الذي تعيش فيه

(٢) تعيا : تعب وتجز

(٣) الذرا : جمع ذروة وهي أعلى كل شيء . الطرف : العين

(٤) الاحجام : التأخر والامتناع والكف

(٥) البائس : الشديد الحاجة

(٦) شيد البناء تشييداً : رفعه . الصروح : القصور . والمفرد صرح

كانت الأممُ الشرقيَّةُ ؛ وكان لها في المدنيَّةِ صولة ^(١) ، وفي تثبيت أركانها دولة . ثمَّ دارت عليها الدائرة . فطراً عليها ما طراً ، ممَّا خرب عمرانها ؛ وبدد ^(٢) قُدُّنها . سنَّةَ اللهِ فيمن لم يعمل بقانون الاجتماع ، ولم يظَلْ سائراً في سبيل الحضارة ^(٣) الصحيحة . فانتقلت علومُها ومدنيَّتها الى قوم عرَّفوا فضلها ؛ فأحلُّوها المقامَ الأرفع . وشعروا لها صدورهم . وزادوا فيها ما اقتضتهُ سنَّةُ التَّرقِي ؛ ودعت اليها حاجة . فبلغوا من الكمال في الحضارة مبالغاً جسيماً . وسادوا أشراطاً ^(٤) عظيمةً . فملكوا نواصي ^(٥) الأممِ الحاملة ؛ وأحكَّوا الشكائم ^(٦) في أفواهِها .

غيرَ أنَّ مدنيَّتهم لم تخلُ من شوائب ^(٧) تخالطُ كلَّ قومٍ استبحر ^(٨) عمرانهم ؛ ونمت حضارتهم . على أنَّهم أيسُّوا راضين عمَّا دهمهم ^(٩) من الأشواك . بل تراهم ساعين نحو تشذيب ^(١٠) شوائبهم ، وتهذيب مدنيَّتهم .

(١) الصولة : السطوة

(٢) بدد : فرق وأذهب

(٣) الحضارة : المدنيَّة ، وهي خلاف البداوة

(٤) الأشواط : جمع شوط ، وهو الحري مرة الى الغاية . وهو أيضاً الغاية نفسها يجري مجراها

(٥) النواصي : جمع ناصية وهي مقدم الرأس

(٦) الشكائم : جمع شكبة وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس

(٧) الشوائب : الاخلاط ، والعيوب والادناس

(٨) استبحر : انبسط واتسع

(٩) دهمهم : جاءهم على حين غفلة

(١٠) التشذيب : الاصلاح والتهذيب

وقد أفاق الشرقُ اليومَ من غفلته ؛ وتنبهَ من سِنته ^(١) . وطلق
يُقَلِّدُ مدنيَّةَ الغربِ ؛ كما قلَّدَ الغربُ مدنيَّةَ من قبلُ . غيرَ أنَّ السَّيرَ
ضعيفٌ ، والسَّعيَ بَطِيءٌ . وأكثرُ المُقلِّدينَ لم يَتَمَسَّكْ إِلَّا بِقُشُورِ
السَّمَدِ ، تاركاً لبابَهُ . فما يَدْرُسُونَهُ إِنَّمَا هُوَ نَظَرِيَّاتٌ لا تُسَمِّنُ ولا
تُغْنِي من جُوعٍ . والعلمُ إِنَّمَا هُوَ العَمَلُ . وهوَّاءٌ لا يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ .
وفائدةُ العُلومِ الكَوْنِيَّةِ (أو العَصْرِيَّةِ) هُوَ الوصولُ الى ما وصل اليه
الغربيُّونَ ، من إنشاءِ المعاملِ ودُورِ الصِّناعاتِ ، التي تُدِرُّ على البلادِ غِنًى
وثرَةً ، وتُجَنِّحُ ^(٢) منها الفقَرَ ، وتَقْضِي على البُؤْسِ ^(٣) .

وهناك قومٌ مِمَّنْ يَدَّعُونَ تَقْلِيدَ بَنِي الغربِ ، لم يُقَلِّدُوا هِمَّ في علمٍ ، فهدوا
عَمَلَهُ نَافِعٌ . وإِنَّمَا قَلَّدُوا فُسَّاقَهُمْ وفاسدي الأخلاقِ منهم . فلا يعرفون
من المدنيَّةِ إِلَّا اتِّبَاعَ الهَوَى ، والعَمَلَ بِالْمُنَاكَرِ ، والتَّفَنُّنَ في الأَزْيَاءِ ^(٤) ،
والتَّمَسُّكَ بِسَافِلِ العَادَاتِ ، وتَبْذِيرَ الأموالِ في سَفِيهِ الأَفْعَالِ .

فأَحْذَرُ ، أَنِهَا النَّاشِيءُ ، أنْ تَفْهَمَ المدنيَّةَ فَهْمًا لا يَنْطَبِقُ على
حَقِيقَتِهَا ؛ فَتُخْشَرَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ ؛ وَتُجْتَذِبَ الى جَسَمِكَ الأَمْرَاضُ ،
والى عَقْلِكَ الفَسَادُ .

واعْلَمْ أَنَّ المدنيَّةَ الصَّحِيحَةَ هِيَ مَا شَرَحْتُ لَكَ . فَتَمَسَّكْ
بِعُرَاهَا ^(٥) ، وَاَعْمَلْ بِمُقْتَضَاهَا ؛ فَتَلْ نَفْسُكَ الْعَاقِلَةَ مُنَاهَا ، وَتَقْزُ
بِمُسْتَهْأَاهَا .

(١) السنة : الغفلة ، والنوم

(٢) تجتاح : تستأصل وتغزو

(٣) البؤس : الشدة والشقاء

(٤) الأزياء : جمع زِي ، بكسر الزاي ، وهو الهيئة ، والمراد به هيئة الملابس ونحوه

(٥) العرى : جمع عروة هي ما يوثق به ويمول عليه ، وهي في الأصل : مقبض

الدلو والكوز ونحوهما ؛ وما يدخل فيه الزر من القميص ونحوه

الوطنية

ما عَجِبْتُ لأَحدٍ قَطُّ ، عَجَبِي رَحْمَنُ يَدْعِي الْوِطَنِيَّةَ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ
يُفْدِي الْوِطْنَ بِدَمِهِ وَمَالِهِ ؛ ثُمَّ تَرَاهُ شَدِيداً فِي تَحْرِيبِ صِيَاصِيهِ ^(١) ، بَمَا
يَأْتِيهِ مِنْ ضُرُوبِ النِّكَايَةِ فِيهِ ^(٢) .

ليس كُلُّ مَنْ يُنَادِي بِالْوَطَنِيَّةِ وَطَنِيًّا ؛ حَتَّى تَرَاهُ عَامِلاً لِلْوَطَنِ بَمَا
يُحْيِيهِ ، بِأَذْلًا مَا عَزَّ وَهَانَ فِي سَبِيلِ تَرْقِيهِ ؛ يَسْعَى مَعَ السَّاعِينَ فِي إِعْلَالِ
شَأْنِهِ ، وَيَنْصَبُ ^(٣) مَعَ النَّاصِبِينَ فِي حِفْظِ كَيَانِهِ .

أَمَّا مَنْ يَسْعَى فِيمَا يُفْتُ فِي عَضُدِهِ ، وَيَكْسِرُ فِي سَاعِدِهِ ^(٤) ، فَقَدْ
بَعُدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَطَنِيَّةِ ، وَلَوْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ ^(٥) ، وَمَلَأَ الْأَقْطَارَ
صُرَاخًا ، وَغَادَى فِي الْأُمَّةِ : أَنْ يَنْبِي مِنَ الْوَطَنِيِّينَ الْمُخْلِصِينَ

الْوَطَنِيَّةُ الْحَقُّ هِيَ حُبُّ إِصْلَاحِ الْوَطَنِ ، وَالسَّعْيُ فِي رِخْدَتِهِ .
وَالْوَطَنِيُّ كُلُّ الْوَطَنِيِّ مَنْ يَمُوتُ إِنْجِيَا وَطَنُهُ ، وَيَمْرَضُ لِتَصِحِّحِ أُمَمِهِ .

أَلَا إِنَّ لِلْوَطَنِ عَلَى أَبْنَائِهِ حَقُّوْقًا ؛ فَكَمَا لَا يَكُونُ الْإِبْنُ أَبًا حَقِيقِيًّا
حَتَّى يَقُومَ بِوَاجِبِ الْأَبُوَّةِ ، فَكَذَلِكَ ابْنُ الْوَطَنِ ، لَا يَكُونُ ابْنًا بَارًّا

(١) الصياصي : الحصون ، وكل ما امتنع به . والمفرد صيصة وصيصية

(٢) النكاية : الفهر . يقال نكاه ونكى فيه ، أي قهره وظلمه

(٣) ينصب : يتعب

(٤) العضد : هو من المرفق إلى الكتف ، وقت الصد وكسر الساعده كناية

عن اضماع القوة وتفريق الاعوان

(٥) العقيرة : الصوت

حقّ يَنْهَضَ بأعباء^(١) خدمته ؛ ويدفع عن رحاء المؤذنين ، ويدُود^(٢)
عن حياضه المدّلسين^(٣) .

ومن هذه الحقوقِ كثيرٌ سوادِ المتعلّمين ، المتخلّقين بصحيح
الأخلاق ، المعروفين في قلوبهم تلك الحكمة المشهورة : « حُبُّ
الوطن من الإيمان » . وذلك لا يكون إلاّ ببذل المال في سبيل الصّالح
العامة ، وإفراغ الوُسْع في تشييد المدارس ، التي تنفُث في رُوع الثّابتة^(٤)
رُوحَ الوطنيّة ؛ وتُنبت في نفوسهم غراس الفضيلة والعمل الصّالح ،
وتُهيّب^(٥) بهم لينهضوا - متى بلغوا مبلغَ الرجوليّة - إلى خدمة هذا
الوطن السّعيد ، الذي خسرّه أبنائه ، أكثرَ ممّا خسرّه به أعداؤه .

ومن هؤلاء الثّابتين تصدُرُ مقومات الحياة لهذه الأُمّة التي كادت
- بسببِ خمولها وجهودها - تُكْتَبُ في أسفار^(٦) الأُممِ المُندرسة^(٧)

مَتى نشأ هؤلاء التّلاميذ - الذين يربّون تلك التّربية الصحيحة ،
ودخلوا مُعتركَ الحياة الاجتماعيّة - كان منهم مالا عينٌ رأت ، ولا أُدُنٌ
سَمِعَتْ ، ولا حطَرٌ على قلبِ بشر .

(١) الأعباء : الأثقال الثقيلة . والمفرد عبء .

(٢) يدود : يدفع ويمنع .

(٣) التدليس : أن يظهر المرء الشيء على خلاف ما هو عليه . وأصل معناه :

كتم عيب السلعة عن المشتري .

(٤) تنفث : تلفي . الروح : القلب . الثّابتة : الثّرة .

(٥) تهيّب جم : تنادبهم .

(٦) الأسفار : الكتب . والمفرد سفر .

(٧) المندرس : المنقرضة التي انطمس ذكرها ومجدها .

التربية الحق روح الحياة ، والعلم دم الوطن . ولا تُمكننا الحياة
السعيدة إلا بهما . فالتربية تدفع الى السعي والعمل . والعلم يُرشد الى
طريق السعادة .

نحن في حاجة الى المصانع الوطنية ، والتجارة الوطنية ، لتتأل البلاد
الاستقلال الاقتصادي ، وتُتخلص من نير الحاجة الى الأجانب . فمن
سعى نحو استقلال الوطن وتخليصه من ممد يدٍ الى غيره ، كان الرجل
الوطني ، الذي تُنحني أمامه الرؤوس إجلالاً .

إن أكل نتيجة مُقدّمات . ومُقدّمات الاستقلال تربية الناشئين
وتعليمهم ، ليكونوا يد الوطن العاملة ، وروحهُ المُقرّمة ، ودَمهُ
الجاري في عُروقه . فعملوا الأولاد ، تسعد البلاد .

حُبُّ الوطن ملكة ^(١) من مَلَكات النفس ، لا يُنكرها إلا
الفاكون ^(٢) أو الواهمون وإثماً يَصْدِفُ ^(٣) النفس عن هذا الحُب
فساد في التربية ، أو خلل في الدماغ ، أو عرق كان أجنبياً ، فهو يدفع
الدخيل الى مُعاداة وطن فيه وُلد ، وفي أرضه نشأ ، ووليدانه ^(٤) تُغذّى به
ويبعده يجن الى أرض لم يعرفها ، سوى أنّها كانت منشأ أبيه أو آباءه
من قبل ، ويُشوّقه الى قوم لم يعرف عاداتهم ، ولا يفهم لغتهم ، ولا
تُحتم بهم جامعة ، سوى أنّه كان منهم . وبإيّايت من كان مثله يكتفى
بدمه الحنين ، فلا يسعى لانتقاص وطن آواه وفصره ، بعد أن

(١) ملكة : صفة راسخة

(٢) الفاكون : الكاذبون أشد الكذب

(٣) يصدف : يصرف

(٤) وليدانه : لرضاع

لَفَظَتْ آبَاءَهُ بِإِلَادِهِمْ كَلَفَظَ النَّوَاةُ ^(١) ؛ وَلَا يَعْمَلُ لِإِحْبَاطِ ^(٢) كُلِّ
مَسْعَى يُسَعَى لِإِنْهَاضِهِ .

وَإِلَيْكَ ، أَيُّهَا النَّشْءُ الْكَرِيمُ ، تُبَسِّطُ يَدُ الرَّجَاءِ . فَأَنْهَضُ ، رَعَاكَ
اللَّهُ ، لِلْعِلْمِ ، وَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِ أَسْلَافِكَ ؛ فَإِنَّ الْوَطَنَ يُنَادِيكَ : إِيَّاكَ
مِنَ الْمُنتَظِرِينَ .

وَأَحْذَرِ أَوَانِكَ الدَّسَائِينَ ^(٣) ؛ وَتَيَقَّظْ لِجَبَائِلِهِمْ ^(٤) ؛ وَتَنْبِهْ
إِشْرُورِهِمْ . فَهُمْ دَاءٌ وَطَنِكَ الْعُضَالُ ^(٥) ، وَالسُّمُّ الْقَتَالُ . وَمَا نَهَكَ ^(٦)
الْوَطَنَ مِنْ قَبْلُ ، وَمَا يَعْمَلُ عَلَى إِضْعَافِهِ مِنْ بَعْدُ ، إِلَّا هَؤُلَاءِ الْمَجْرُمُونَ .
فَإِنَّهُمْ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ ، وَأَدْوَى الْأَدْوَاءِ ^(٧) . فَكُنْ عَلَيْهِمُ الْخُطْبَ
النَّازِلَ ، وَالِدَاءَ الْقَاتِلَ ، وَالْمَوْتَ الزُّوَامَ ^(٨) ، وَالْعَيْنَ الَّتِي لَا تَنَامُ . وَإِيَّاكَ
أَنْ يَطْيِبَ لَكَ الْمَقَامُ ، قَبْلَ أَنْ تَرِيشَ السِّهَامَ ^(٩) ، وَتَقِفَ بِالْمِرْصَادِ ،
لَأَهْلِ الْفَسَادِ .

فَحَقِّقِ الْأَمَلَ ، يُحْيِي بِكَ الْوَطَنَ .

(١) لَفَظَتْ : طَرَحَتْ . وَاللَفَظُ : الطَّرْحُ . النَّوَاةُ : بَزْرَةُ النَّعْمِ وَخَوْدُهُ

(٢) احْبَاطُ : ابْطَالُ

(٣) الدَّسَائِسُ : الْمَرَائِي بِمَعْنَى بِنْدَسٍ أَيْ يَدْخُلُ مَعَ الْإِخْيَارِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ .
وَالدَّسَائِسُ : حَيَاةٌ حَبِيثَةٌ تَنْدَسُ هَادِثَةٌ حَتَّى إِذَا امْكُنْهَا السَّمْعُ لَسَمَتْ

(٤) الْجَبَائِلُ : الْمَكَائِدُ . وَأَصْلُ مَعْنَاهَا : الْمَصَابِدُ

(٥) الْعُضَالُ : الشَّدِيدُ الْغَالِبُ

(٦) نَهَكَ : أَضْعَفَ وَاضْنَى وَأَتَمَبَ

(٧) أَدْوَى الْأَدْوَاءِ : أَشَدُّهَا . وَالْأَدْوَاءُ : جَمْعُ دَاءٍ

(٨) الزُّوَامُ : السَّرِيعُ الْكَرِجَةُ

(٩) تَرِيشُ السِّهَامِ : نَلْزُقُ عَلَيْهَا الرِّيشَ . وَرِيشُ السِّهَامِ : كُنَايَةُ عَنِ التَّهَيُّؤِ

الرَّمِي السِّهَامِ : النَّبْلُ

الحرية

إِنَّ لِلْأُمَمِ آجَالاً^(١) . وَأَجَلُ كُلِّ أُمَّةٍ يَوْمَ تَفْقَدُ حُرِّيَّتَهَا .
الْحُرِّيَّةُ هِبَةٌ مِنَ الْخَالِقِ لِلْمَخْلُوقِ ، يُصَرِّفُهَا فِيمَا يَعُودُ عَلَى نَفْسِهِ
وَعَلَى غَيْرِهِ بِالسَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ .

وَتَدُلُّ فِي اللَّغَةِ عَلَى مَعْنَى الْخُلُوصِ ؛ فَالْحُرُّ خِلَافُ الْعَبْدِ ، الْخُلُوصُ
مِنَ الرِّقِّ . وَحُرُّ كُلِّ شَيْءٍ خِيَاوُهُ . وَالْحُرُّ مِنَ الطَّيْنِ وَالرَّمْلِ هُوَ
الطَّيِّبُ مِنْهُمَا . وَرَمَلُهُ "حَرَّةٌ" ، أَيُ صَالِحَةُ الْإِنْبِيَاءِ . وَحُرُّ كُلِّ
أَرْضٍ أَطْيَبُهَا .

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذِهِ الْمَادَّةَ تَدُلُّ عَلَى الطَّهَارَةِ وَالْجُودَةِ^(٢) وَخُلُوصِ
الشَّيْءِ . نَحْنُ نَكْذَرُ صَفَاءَهُ وَجُودَتَهُ .

وَالْحُرُّ - بِالْمَعْنَى الْمَدْنِيَّةِ الصَّحِيحَةِ - مَنْ كَانَ خَالِصَ التَّوْبِيَةِ ، نَقِيَّ
النَّفْسِ ، مُتَمَسِّكاً بِالْفَضَائِلِ ، نَافِراً مِنَ الرَّذَائِلِ ، كَاسِراً عَنْهُ قِيُودَ
الْعُبُودِيَّةِ ، عَامِلاً بِمَا يَطْلُبُهُ مِنْهُ الْوَاجِبُ .

بَنَ الْإِنْسَانُ لَمْ يُخْلَقْ لِيَكُونَ عَبْدَ غَيْرِهِ ، وَلَا لِيَكُونَ كُرَّةً^(٣)

(١) الآجال : جمع أجل ، وهو مدة الشيء ووقته الذي يحل فيه وينتهي إليه

(٢) الجودة بضم الجيم : الصلاح

(٣) الكرة : كل جسم مستدير . والمراد بها هنا الكرة المعروفة التي يلعب بها

تَتَقَاذِفُهَا الْأَهْوَاءُ ^(١) ، وَتَعْمَلُ عَلَى تَحْرِيكِهَا أَيْدِي الزُّعْمَاءِ ^(٢) ، وَتُصَرِّفُهَا
حَسَبَ رَغَائِبِهَا ^(٣) نَفُوسُ الْكِبَرَاءِ ؛ بَلْ خُلِقَ لِيعْمَلَ مُنْفَرِداً وَاجْتِمَاعاً
بِمُقْتَضَى السُّنَّةِ الْإِلَهِيَّةِ الْعَامَّةِ ، وَهِيَ الْحُرِّيَّةُ .

وَلَمْ تُسَلَبْ هَذِهِ النِّعْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ الْكُبْرَى مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِسَبَبِ
مَا أَفْسَدَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ نَفُوسِهِمْ ؛ فَلَمْ يَدْعُوا إِلَى تَنْوِيرِ أَذْهَانِهِمْ بِالْعِلْمِ
سَبِيلاً ؛ لِأَنَّ الظَّالِمِينَ يَعْلَمُونَ يَقِيناً أَنَّ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ يَهْدِي إِلَى مَعْرِفَةِ
الْحَقِّقِ ؛ فَهِيَ الشَّرَارَةُ الَّتِي تُوقِدُ فِي النَّفُوسِ الْهَيْمَ ؛ وَتَرْبَأُ ^(٤) بِالْعَاقِلِ
أَنْ يَكُونَ آلَةً تُدِيرُهَا الْمَحَرِّكَاتُ الْأَسْتَبْدَادِيَّةُ .

وَقَدْ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ إِعْتَمِرُ بْنُ الْعَاصِ ، يَوْمَ خُضْرَبَ وَلَدُهُ
الْقَبْطِيُّ : « مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ ، وَقَدْ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَاراً » .

أَلَا إِنَّ الْحُرَّ لَا يَكُونُ حُرّاً إِلَّا إِذَا تَهَذَّبَتْ نَفْسُهُ ، وَنَمَتْ فِيهَا
مَلَكَةُ الْإِرَادَةِ ، وَحَظِيَ مِنَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ بِعَظَمَةٍ غَيْرِ قَلِيلٍ ؛ ثُمَّ أَقْدَمَ
عَلَى تَحْرِيرِ نَفْسِهِ مِنْ رَبْقِ ^(٥) مَنْ يَمْلِكُهَا بِالْقُوَّةِ وَالْجَبَرُوتِ . فَمَنْ لَمْ
يَكُنْ كَذَلِكَ فَقَدْ شَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُرِّيَّةِ الْمَسَاوِفُ ^(٦) ؛ وَكَانَ

(١) الْأَهْوَاءُ : الْأَغْرَاضُ الْمَخْتَلِفَةُ ، وَهِيَ جَمْعُ هَوَى النَّفْسِ

(٢) الزُّعْمَاءُ الرُّوْعَاءُ ، وَالْمُفْرَدُ زَعِيمٌ

(٣) الرِّغَائِبُ : الْمَشْتَهَاتُ . وَهِيَ جَمْعُ رَغِيْبَةٍ ، وَهِيَ الْأَمْرُ الْمُرْغُوبُ فِيهِ

(٤) تَرْبَأُ بِالْعَاقِلِ : تَرْفَعُهُ . رَبَأَ بِهِ عَنْ كَذَا : رَفَعَهُ عَنْهُ فَلَمْ يَرْضَهُ لَهُ

(٥) الرِّبْقُ : جَمْعُ رِبْقَةٍ وَهِيَ الْمُرُوءَةُ مِنْ حَبْلِ فِيهِ عِدَّةُ عُرَى تُشَدُّ بِهِ الْبَهَائِمُ

(٦) شَعَتْ : بَعُدَتْ . الْمَسَاوِفُ : جَمْعُ مَسَافَةٍ

بَيْنَهُمَا مَفَاوِزُ جَمَّةُ الْخَافِ (١) .

ليس بالحر من اتَّخَذَ الحُرِّيَّةَ عُنواناً للَرَّذَائِلِ ، وطريقاً للْمُفَاسِدِ ،
وسيفاً يَجْتَابُ به أُرْدِيَّةُ (٢) العِقَّةِ ، ورُحاً يَطْعُنُ به الفَضِيلَةُ ، وَسَهْمًا
يُمَزِّقُ أَعْوَاضَ النَّاسِ

وليس من الحُرِّيَّةِ أَنْ يَفْعَلَ الْإِنْسَانُ مَا يَضُرُّ بِهِ وَبَغْيُهُ : من إِسْرَافٍ
في الْأَمْوَالِ ، وإِضَاعَةٍ لِلْإِنْسَانِيَّةِ ، وإِباحَةٍ لِلْمُنْكَرَاتِ ، وَسَعْيٍ في إِسْآدِ
الْحَيَاةِ الْأَجْتَمَاعِيَّةِ ، بِمَا يَأْتِيهِ مِنْ ضُرُوبِ الْإِيْذَاءِ وَالنَّعِيمَةِ وَالنَّعِيمَةِ (٣)
وَالْعُدْوَانِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نَقَائِصِ الْأَخْلَاقِ .

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَدْعِي الحُرِّيَّةَ ، وَقَدْ آبَسَ أَلْبُوسُ (٤) الْعُرْدِيَّةِ .
فَهُوَ أَرْسِيرٌ لِشَهَوَاتِهِ ، عَبْدٌ لِزُعْمَائِهِ وَأَصْرَائِهِ ، مَمْلُوكٌ لِنَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ ،
تَدْفَعُهُ إِلَى السُّوْبِقَاتِ (٥) فَيُجِيبُ ، وَتَحْفِزُهُ إِلَى السَّعَايَةِ بِغَيْرِهِ (٦) وَالضَّرَرَ
بِهِ ، فَيَهْرَعُ إِلَى تَلْيِيسِهَا (٧) وَإِنْ دَعَاهُ دَاعِي الْعَقْلِ إِلَى مَا يُخَيِّمُهُ ،
وَأَهَابَ بِهِ حَادِي (٨) الْوَجْدَانِ إِلَى مَا يُعْلِيهِ ، وَنَادَاهُ مُنَادِي الشَّهَاةِ إِلَى

(١) المفاوز : الأماكن المملوكة ، والمفرد معازة . حمدة : كثيرة

(٢) يجتاب : يقطع . الأردية : جمع رداء ، وهو الثوب

(٣) الصروب : الأنواع . النعيمة : نقل أحاديث الناس لا يفاع المفسد .
العيبة : أن تذكر الناس بما يكرهون

(٤) اللبوس : ما يلبس

(٥) المواقف : المعاصي المملكات

(٦) تحفزه : تسوقه وتدفعه . السعاية : الوشاية

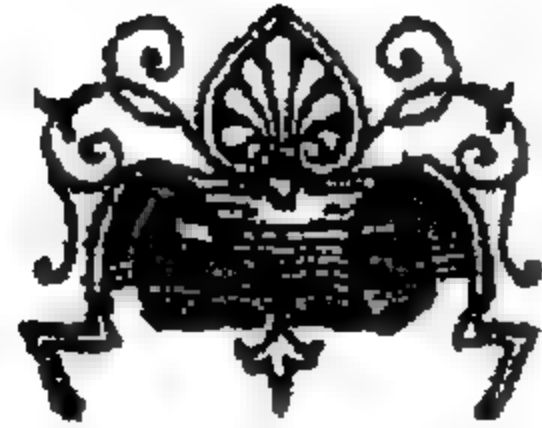
(٧) يهرع : يسرع . التلييس : الاحانة

(٨) اهأب به : ناداه وزجره وصرخ به . الحادي في الأصل : من يحدد
الآل أي يسوقها ويبي لها لتقوى على السير

ما يَنْهَضُ بِشَعْبِهِ وَيُقَوِّيهِ ، أَصَامٌ ^(١) عَنِ التَّدَاءِ ، أَوْ سَلَكَ طَرِيقَ
الْمِرَاءِ ^(٢) . ثُمَّ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ يَدْعِي أَنَّهُ إِنْسَانٌ حُرٌّ . وَمَا الْإِنْسَانِيَّةُ
وَالْحُرِّيَّةُ إِلَّا عَامِلَانِ لِلْعُمُرَانِ ، وَرُكْنَانِ لِلْأَجْتِمَاعِ .

أَيُّهُ أُمَّةٌ أَرَادَتْ أَنْ تَكُونَ فِي ذُرُوقٍ مِنَ الْحَضَارَةِ ^(٣) سَامِيَةً ، وَمَكَانَةً
مِنَ السَّعَادَةِ عَالِيَةً ، فَعَلَيْهَا أَنْ تُرَبِّيَ أَفْرَادَهَا عَلَى الْحُرِّيَّةِ الصَّحِيحَةِ ،
وَتُعْزِّيَ أَبْنَاءَهَا بِدَرِّهَا ^(٤) الطَّهُّورِ الْخَالِصِ .

فَأَنْهَضُوا ، أَيُّهَا النَّائِشُونَ ، إِلَى الْحُرِّيَّةِ الْخَالِصَةِ ، الْحَالِيَةِ مِنْ تَشَوِّبِ
الْمُدَّلسِينَ ^(٥) ، فَإِنَّهَا سَبِيلُ النِّجَاحِ ، وَهِيَ الْحَيَاةُ السَّعِيدَةُ .



(١) أَصَامٌ : أَظْهَرَ الصَّحْمَ ، أَيِ الطَّرَشِ وَابْسَ فِيهِ

(٢) الْمِرَاءُ : الْخُدَالُ وَالْمَنَازَعَةُ وَاللِّحَاجُ

(٣) الدَّرُوقَةُ : أَعْلَى كُلِّ شَيْءٍ . الْحَضَارَةُ : الْمَدِينَةُ

(٤) الدَّرُ : اللَّذَنُ

(٥) الشَّوَّابِبُ : الْإِخْلَاطُ وَالْعُبُوبُ ، وَالْإِدَاسُ ، الْمَدْلَسُ : مَنْ يَظْهَرُ الشَّيْءَ

عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَأَصْلُ التَّدْلِيسِ : كَتَمَ عَيْبَ السَّلْعَةِ عَنِ الْمُشْتَرِي

انواع الحرية

إنَّ للحرِّية أنواعاً : منها 'حرية الفرد' ، و'حرية الجماعة' ، والحرِّية الاقتصادية ، والحرِّية السياسية . ولا تُقَرَّمُ رِشْعُ قَائِمُهُ إِلَّا بِهِدِهِ الحُرِّيَّات الأربعة .

فحرِّية الفرد - وقد تُسمَّى الحرِّية الشخصية - أمرٌ عظيمُ الخطر^(١) ، وعليه تَتَوَقَّبُ حرِّية الجماعة ؛ لأنَّ الجماعةَ تتألفُ من الأفراد فحرِّيتها لا تكونُ إِلَّا بِحرِّية أفرادها . فلي الأئمة - التي تَوَدُّ أَنْ تكونَ 'حرَّة' - أن تَدْعَى لتربية أفرادها تربية 'حرَّة' ؛ لِئَتَسْكُنَ منها مجموعٌ 'حرٌّ' .

و'حرِّية الفرد' تشملُ حرية القول والكتابة والطِّبَاعَة ونَشْرَ الفِكرِ ؛ من غيرِ رَقِيبٍ ولا مُؤَاخَذٍ ؛ على شَرْطِ أَنْ لَا يُخِلَّ ذَلِكَ بِحرِّية غيره .

وهو 'حرٌّ' أَنْ يَعْتَقِدَ مَا يَشَاءُ : من العقائد الدينية والعِلْمِية والسياسية والاجتماعية ؛ وَأَنْ يُعَاهِرَ بِذَلِكَ ، إِلَّا إِنْ دَعَتْ مُجَاهَرَتُهُ إِلَى انْقِصَامِ^(٢) عُرْوَةِ مَنْ عَرَى الاجتماع ؛ وَأَنْ يَتَصَرَّفَ عَمَّا يَمْلِكُ : من نقدِ

(١) الخطر : الشرف وارتفاع الدر

(٢) الانقصاص : الانقطاع . البروة : ما يوثق به ويعول عليه . وأصلها

مدخل الرر

وَعَقَارٌ ^(١) وَغَيْرُهُمَا ؛ إِلَّا إِنْ أَدَّى عَمَلُهُ إِلَى السَّفَه ^(٢) ؛ فَلَهُ حَيْثُ دَرَّ حُكْمُ الْمَحْجُورِ عَلَيْهِ ^(٣) .

وَصَفْرَةُ الْقَوْلِ فِي حُرِّيَّةِ الْفَرْدِ ، أَنَّهَا أَمْرٌ يَنْتَهِي حَيْثُ تَبْتَدِي حُرِّيَّةُ سِوَاهُ . فَالْوَاجِبُ عَلَى الْفَرْدِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى حُرِّيَّةِ غَيْرِهِ ، كَمَا يُحَافِظُ عَلَى حُرِّيَّةِ نَفْسِهِ .

وَحُرِّيَّةُ الْجَمَاعَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا حَقُّ الْاجْتِمَاعِ أَيْنَ شَاءَتْ ، وَهِيَ شَاءَتْ ؛ إِلَّا إِنْ كَانَتْ مُسْلِحَةً فَتَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ . لِأَنَّ عَمَلَهَا هَذَا رُبَّمَا أَدَّاهَا إِلَى مَا يَنْفِي الْحُرِّيَّةَ الصَّحِيحَةَ ؛ وَأَنْ يَكُونَ لَهَا الْحَقُّ فِي تَأْلِيفِ الْجَمْعِيَّاتِ عَلَى اخْتِلَافِ مَشَارِكِهَا مِنْ عَامِيَّةٍ وَأَدْبِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ وَصِنَاعِيَّةٍ وَخَيْرِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ ؛ عَلَى شَرْطِ أَنْ تُطَابِقَ أَنْظِمَتُهَا ^(٤) مَا يَسْتُنُهُ مَجْلِسُ الْأُمَمِ مِنَ الْقَوَانِينِ الدِّسْتُورِيَّةِ . لِذَلِكَ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ رِجَالُ هَذَا الْمَجْلِسِ مَعْنَى عُرْفُوا بِالْحُرِّيَّةِ وَالْعِلْمِ وَالصِّدْقِ وَصِحَّةِ الْوَجْدَانِ وَالْعَقْلِ وَالرَّوْيَةِ ؛ كَيْلَا يَسْتُنُوا لِلْأُمَّةِ مَا يُقَيِّدُ حُرِّيَّتَهَا ، وَيُنْهِي مَصْلَحَتَهَا .

وَالْحُرِّيَّةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ ، هِيَ حَيَاةُ الْأُمَّةِ الْمَادِيَّةِ . فَإِنْ لَمْ تُطَاقْ لَهَا حُرِّيَّةُ التِّجَارَةِ وَالزَّرَاعَةِ وَإِشَادِ الْمَصَانِعِ وَاسْتِخْرَاجِ الْمَعَادِنِ ، لِلْاِئْتِفَاعِ بِمَا تُكْنِيهِ ^(٥) الْأَرْضُ مِنْ مَوَارِدِ الرِّزْقِ ، كَانَتْ حَيَاتُهَا كَأَمْرِيٍّ تُشَدُّ

(١) النِّقْدُ : الدَّرْهَمُ وَالشَّعْرُ نَفُودٌ . الْعَقَارُ : بَيْتُ الْعَيْشِ . الدَّارُ وَالْأَرْضُ وَغَيْرُهُمَا

(٢) السَّفَهُ : حِمَاةُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ وَالطُّبَرِ

(٣) الْمَحْجُورُ عَلَيْهِ : الْمَنْعُوعُ مِنَ التَّنَصُّفِ بِمَا لَهُ نَسَبُ الْمَوْتِ وَالْمَيُتِّ

(٤) الْأَنْظِمَةُ : الْقَرَابِيبُ

(٥) تَكْنِيهِ : تَحْفِيهِ

وَنَاقَةُ ^(١) وَوَضَعَ الْحَبْلُ فِي عُنُقِهِ ، وَقَدْ مَسَكَ بِطَرَفِيهِ رَجُلَانِ ذَوَا
بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فِيهِمَا يُهَدِّدَانِهِ بِالْحَقِّقِ ، وَيَتَوَعَّدَانِهِ بِالْمَوْتِ ، وَهُوَ
يَتَرَقَّبُ ^(٢) أَنْ تَفِيضَ رَوْحُهُ مِنْ سَاعَةِ إِلَى أُخْرَى .

إِنَّ أَوْرَبَّةَ لَمْ تَقْبِضْ عَلَى نَاصِيَةِ ^(٣) الثَّرْوَةِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَطْلَقَتْ
الْحُرِّيَّةَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ مِنْ قُبُودِهَا ، مَعَ مَا أَطْلَقَتْهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْحُرِّيَّةِ . فَبِئْسَ
يَدِهَا الْيَوْمَ أَرْوَاحُ الْمَشَارِقَةِ ؛ فَإِنْ شَاءَتْ قَتَلَتْهُمْ مَنَعَتْ عَنْهُمْ أَمْوَالَهَا ؛
وَرَدَّتْ إِلَيْهَا مَا فِي بِلَادِهِمْ مِنْ ذَهَبِهَا .

إِنَّ بِلَادَنَا عَنِيَّةٌ بِشُرْبَتِهَا وَمَعَادِنِهَا ؛ وَاسْكَنْتِهَا فَتِيرَةٌ بِرَجَالِهَا :
يَأْتِي الْأَجْنِبِيُّ بِلَادَنَا ؛ فَيَسْتَبَاعُ ^(٤) أَرْضَنَا ، وَيَنْتَفِعُ بِخَيْرَاتِهَا ، أَوْ
يَبَالُ فِيهَا « أَمْتِيَاراً » فَيَسْتَشِيرُ مَوَاضِعَ مِنْهَا ؛ وَيَسْتَخْرِجُ مَا فِي بُطُونِهَا
مِنْ أَرْجَنَةٍ ^(٥) الْمَعَادِنِ ، الَّتِي تُدْرُ عَلَيْهَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ؛ وَبِحَنْ عَنْ ذَلِكَ
لَا هُونُ ، وَبِأَهْوَانِهَا ^(٦) مُشْتَغِلُونَ ، وَعَلَى فَضْمِ عُرَى الْوَاحِدَةِ عَاكِفُونَ .

وَالْحُرِّيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ أَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ مُسْتَقِلَّةً اِسْتِقْلَالاً تَاماً بِكُلِّ
شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِهَا ؛ غَيْرَ مُقْبِدةٍ بِسَلْسَلِ أُمَّةٍ غَيْرِهَا . فَهِيَ الَّتِي تَضَعُ
أَنْظَمَتَهَا ، آتِي تِلَاثِمِ مِزَاجِهَا ؛ وَتُقْضِي الْعُمُودَ مَعَ مَنْ شَاءَتْ مِنَ الْأُمَمِ ؛
وَتَضْرِبُ الضَّرَائِبَ عَلَى مَا يَرِدُ إِلَيْهَا مِنْ سِلَاحِ الدِّيَارِ الْأَخْنِيَّةِ . وَتُنْزِلُ

(١) الوثاق : بفتح الواو : ما يشده لاسير من حبل وقيد ويحوها

(٢) يترقب : ينتظر

(٣) الناصية : مقدم الرأس

(٤) يستباع : يشتري

(٥) الاجنة : جمع جنين وهو المستور من كل شيء ، ولذلك يسمى الولد

ما دام في طن أمه جنيناً

(٦) الأهواء جمع هوى ، وهو ميل النفس الداسد

الوُسْعَ لِنَشِيْطِ الأَعْمَالِ الزَّوَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَدَوْرِ الصِّنَاعَاتِ
الوَطَنِيَّةِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُسَيِّرَاتِ الأُمَمِ الْمُسْتَقْبَلَةِ .

وَلَا تَتِمُّ هَذِهِ الْحُرِّيَّةُ إِلَّا إِذَا وَفَّقَتِ الأُمَّةُ لِنَشِيْطِ أَرْكَانِ الْحُرِّيَّاتِ
الثَّلَاثِ الَّتِي تَقْدِّمُ ذِكْرُهَا . فَإِنْ لَمْ تَكُنِ الأُمَّةُ كَذَلِكَ كَانَ سَيْرُهَا
نَحْوَ التَّرَقِّيِّ بَطِيْئًا ، وَأَتَى لِلظَّالِمِ أَنْ يُدْرِكَ شَأْرَ الضَّالِّعِ (١)

يَجِبُ عَلَى الأُمَّةِ - إِنْ أَرَادَتْ الْحَيَاةَ - أَنْ تَسْعَى لِإِبْثَانِ أَنْوَاعِ
الْحُرِّيَّةِ الأَرْبَعَةِ فِي نُفُوسِ أِبْنَائِهَا . فَإِنَّ الأُمَّةَ إِنْ فَقَدَتْ حُرِّيَّتَهَا
- الَّتِي هِيَ رِقَامُ حَيَاتِهَا - كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الْإِخْلَالِ وَالزَّوَالِ ،
مِنْهَا إِلَى الْبَقَاءِ .

فَتَشَدَّدْ ، أَيُّهَا النَّشِيطُ الْكَرِيمُ ، وَتَدَلَّمْ دُرُوسَ الْحُرِّيَّةِ الصَّحِيحَةِ ،
وَاحْذَرْ أَنْ تَظُنَّ الْحُرِّيَّةَ مَا يَظُنُّهُ مِنْ لَأْخِلَاقٍ لَهُمْ . ثُمَّ أَسْعَ لِنَشْرِهَا
فِي أُمَّتِكَ . وَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِي تَحْرِيرِ بِلَادِكَ مِنْ رِقِّ الْعَادَاتِ السَّافِلَةِ ،
وَالْأَخْلَاقِ الْفَاسِدَةِ . وَاقْبَلْ لِنَكْسِيرِ عَنْهَا أَعْلَالَ الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي تَنُوءُ
بِهَا (٢) ، فَعَسَى أَنْ تَنْشِطَ مِنْ عِقَالِهَا (٣) ، وَتَطْرَحَ عَنْهَا قُبُودَهَا ،
فَتَكُونَ بِذَلِكَ أُمَّةً حُرَّةً ، تَسْتَطِيعُ الْقِيَادَةَ أَمَامَ تِيَارِ مَدَنِيَّةِ الأُمَمِ .
وَإِنَّ لِلْأُمَمِ آجَالًا . وَأَجَلُ كُلِّ أُمَّةٍ يَوْمَ تَفْقِدُ حُرِّيَّتَهَا .

(١) الظَّالِمُ : مَنْ يَحْمِزُ فِي مَشْيِهِ لَشَبَهٍ عَرِجٍ فِيهِ ، الشَّأْوُ : الْغَايَةُ . الضَّالِّعُ : الْغَوِيُّ
الشَّدِيدُ الْاضْلَاعِ . وَالْمَعْنَى لَا يَصِلُ الضَّعِيفُ إِلَى مَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْغَوِيُّ

(٢) الْأَعْلَالُ : الْقُبُودُ . تَنُوءُ : حَمَلَتْ . نَشَقَّهَا

(٣) تَنْشِطُ مِنْ عِقَالِهَا تَحَلُّ مِنْهُ . وَالْمَقَالُ : حَبْلٌ يَبْقَلُ بِهِ الْبَعِيرُ فِي وَسْطِ ذِرَاعِهِ

الإرادة

ما رأيتُ أحداً جَزَمَ ^(١) إرادته على أمرٍ إلا كان ، ولا عَزَمَ ^(٢) شيئاً إلا وصل إليه .

ذلك ، أن الإرادة رغبة في الأمر يتسببها سعي إليه ، وبذلُ جهدٍ لتحقيقه ، وتهيئة الأسباب المُناسبة لإيجاده ، ثم إقدام على عمله . ولا شك أن الأمر كائن متى اجتمع له كل هذه الدواعي ^(٣) .

وقد عثر الصوفية عن ذلك بقولهم : « إنَّ اللهَ عباداً إذا أرادوا أراداً » فكأنهم جعلوا إرادة الله تابعة لإرادة المرید من عباده . وهم لم يفتوا بذلك إلا ما شرَحناه . فإنَّ المُسببات مرهونةٌ لأسبابها . وقد جعل الله حصول المراتب مُتَوَقِّعاً على جزم الإرادة .

وقد ورد في الحديث : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » . ولا ريب ^(٤) أن من صدق العزيمة ، وأحسن النية ، ووجه الإرادة ، وأقدم على ما يروع فيه بطلب مرید ، نال ما يَتَمَنَّاهُ ، وفازَ بِمُشْتَهَاهُ ، لأنَّ المُسَبِّبَ - وهو المُرَاد - كائنٌ عند وجود السبب - وهو الإرادة -

(١) جزم الأمر : قطع به قطعاً لا عودة فيه .

(٢) عزم الشيء وعزم عليه : عقد ضميره على فعله وقطع عليه وامضاء من غير تردد فيه .

(٣) الدواعي : الأسباب .

(٤) لا ريب : لا شك ولا شبهة .

الإرادة تربية النفس على الحزم والإقدام على الأعمال الممكنة ، حتى
تصير ملكة^(١) من ملكاتها . وهي سعادة^(٢) لمن تخلق بها ما وراها
سعادة^(٣) . فبها يعمل الإنسان ؛ وبها يترقى ؛ وبها يترك ما أُلِفَ من
العادات الضارة والأخلاق الشائنة^(٤) ؛ وبها يكون أميراً على نفسه ،
سلطاناً على ملكاته ؛ وبها يكون إنساناً كلَّ الإنسان . فإنَّ الإنسان
الكامل من لا يصدُّه عن مراده الممكن صادق ؛ ولا تقبُّ شهواته
وعاداته عقبة^(٥) في سبيل المراد .

إنَّ الأنبياء والفلاسفة وعُظماء الرجال ، لم يستطيعوا أن يبشروا
ما توحوه^(٦) من العقائد والتعاليم ، ولم يصلوا إلى ما أرادوه من الأعمال
— التي كُتبت بالتور على جبين الدهور — إلا بالإرادة . فإنَّ من
مقتضياتها الحزم والثبات على العمل حتى يكون ؛ ولو أصابهم في هذه
السبيل من المصائب ما يدرك^(٧) الجمال ، ونابهم من النوائب ما يقل
الحديد^(٨) .

وإنَّ ما نراه من فشل أعمال كثير من العاملين ، ناتج من إهمال
تربية الإرادة فيهم . فهم لا يستطيعون الثبات على ما يقومون به ؛ بل

(١) ملكة : صفة راسخة

(٢) الشائنة : العائبة

(٣) العقبة : المرتقى الصعب

(٤) يبشروا : ينشروا . توحوه : قصده

(٥) يدرك : يهدم

(٦) نابهم : أصابهم . النوائب : المصائب . يقل : يكسر

يُوثَنُونَ الْأَدْبَارَ ^(١) عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ تَصْدِرُ مِنْهُمْ . وَإِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ
الصَّدْمَةِ الْأُولَى .

الإرادة تُوجِبُ الصَّبْرَ ، وَعَدَمُ التَّرَدُّدِ فِي الْأُمُورِ ، وَاحْتِقَارُ
الصُّعُوبَاتِ الَّتِي تَعْتَوِرُ ^(٢) الْمَشْرُوعَاتِ الْمَفِيدَةِ . وَذَلِكَ يَوْجِبُ التَّجَاحُ فِي
الْأَعْمَالِ بَيِّنَةً ^(٣) .

مَتَى رَسَخَتْ الْإِرَادَةُ فِي النَّفْسِ تَعَكَّمَتِ الْعُقُلُ ، وَسَقَطَ هَوَى النَّفْسِ
الْأَثْمَارُ ؛ فَكَانَ الْإِنْسَانُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ . لِأَنَّ مَلَكَتِ الْإِرَادَةِ
تَقَطَّعَ فِي النَّفْسِ الْفُضِيلَةَ ، حَتَّى تَكُونَ صَالِحَةً مُهَذَّبَةً سَعِيدَةً .

وَمَتَى كَثُرَ فِي الْأُمَّةِ عَدَدُ الَّذِينَ رَسَخَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْمَلَكَاتُ ، سَارَتْ
فِي الْعُمُرَانِ وَالْثَّرَاقِي وَالْمَدَنِيَّةِ أَشْوَاطًا ^(٤) عَظِيمَةً وَكُلُّ أُمَّةٍ تَنْهَارُ
دُعَائِمُ ^(٥) مَجْدِهَا ، وَتَتَقَرَّضُ أَرْكَائُهَا ^(٦) عَزَّهَا ، يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ
قَحْطِ ^(٧) الرِّجَالِ - رِجَالِ الْإِرَادَةِ - فِيهَا .

أَلَا ، إِنَّ مَنْ ضَعُفَتْ إِرَادَتُهُ كَانَ صَغِيرَ النَّفْسِ ، وَرِضِيعَ الْمَنْزِلَةِ ؛
تَلْعَبُ بِهِ الْأَهْوَاءُ ^(٨) ، وَتَعْبَثُ ^(٩) بِهِ إِرَادَاتُ الصَّبْيَانِ ، بَلَّةَ ^(١٠) الرِّجَالِ .

(١) يُولُونِ الْإِدْبَارَ : يَنْزِمُونَ

(٢) تَعْتَوِرُ : تَأْتِي مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى

(٣) بَيِّنَةٌ : قِطْعَةً . نَتِ الْأَمْرِ : إِضَافَةٌ بِلا تَرَدُّدٍ

(٤) الْأَشْوَاطُ : جَمْعُ تَبَوُّطٍ وَهُوَ الْحَرَى مَرَّةً إِلَى الْغَايَةِ . وَالسَّاقُ قَدْ يَكُونُ

نَشُوطًا أَوْ أَكْثَرَ

(٥) تَنْهَارُ : تَسْقُطُ . الدُّعَائِمُ : جَمْعُ دُعَايَةٍ وَهِيَ هِمَادُ الْبَيْتِ وَمَحْوُهُ

(٦) تَتَقَرَّضُ : تَتَهَدَّمُ . الْأَرْكَائُ : جَمْعُ أَرْكَانٍ

(٧) قَحْطُ أَرْجَالٍ : فَقْدَانُهُمْ أَوْ قُلَّتُهُمْ

(٨) الْأَهْوَاءُ : الْمَيُولُ الْفَاسِدَةُ . وَهِيَ جَمْعُ هَوَى النَّفْسِ

(٩) تَعْبَثُ : تَلْعَبُ

(١٠) بَلَّةٌ : اسْمُ فِعْلِ أَمْرٍ بِمَعْنَى دَعٍ وَاتَرَعَ

فَيَكُونُ كُرَّةً تَتَقَاذُفُهَا الْأَغْرَاضُ ، وَهَدَفًا تُرَاشُ ^(١) لَهُ السِّهَامُ . فَإِنْ أَتَاهُ آتٍ بِأَمْرٍ ، فَحَمَلَهُ عَلَى الْإِعْتِرَافِ بِأَفْضَلِيَّتِهِ ، أَجَابَ . ثُمَّ إِنْ جَاءَهُ آخَرُ ، فَدَعَاهُ إِلَى الْقَوْلِ بِأَرْذَلِيَّتِهِ ، أَبَى . فَهُوَ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالِهِ ؛ بَلْ تَتَنَازَعُ إِرَادَاتُ الرِّجَالِ ، وَتَعْتَوِرُهُ دَوَاعِي الْأَهْوَاءِ . إِذَا لَيْسَ لَهُ عَامِلٌ مِنْ نَفْسِهِ يَدْفَعُ الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ ، وَلَا قَلْبٌ ذَكِيٌّ يُفَرِّقُ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ . وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَحْرَبَهُ ^(٢) إِلَّا يَكُونُ إِنْسَانًا كَامِلًا .

فَعَلَى الْأُمَّةِ ، الَّتِي تَوَدُّ حَيَاةً طَيِّبَةً وَعَيْشَةً رَاضِيَةً ، أَنْ تُرَتِّبِي مَلَكَهَ الْإِرَادَةِ فِي نُفُوسِ أَطْفَالِهَا . فَإِنَّ الْإِرَادَةَ سَبِيلُ السَّعَادَةِ .

يَا مَعْشَرَ النَّاسِينَ ، أَنْتُمْ عِمَادُ الْأُمَّةِ . أَنْتُمْ دِعَامَةُ مَجْدِهَا . أَنْتُمْ رِجَالُهَا فِي الْآتِي . فَتَعَوَّدُوا أَنْ تَكُونُوا مُرِيدِينَ . وَلَا تَعْبَثُوا بِمَا يَحُولُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا تُرِيدُونَ . فَخَلِّقُوا الْإِرَادَةَ رَأْسَ الْأَخْلَاقِ ؛ وَهُوَ مَعِينُهَا الْمُبْهِمَةُ ، وَقَلَمُهَا الْمُفَكِّرُ .

جَرِّدُوا الْإِرَادَةَ يَسْهَلِ الْمُرَادُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عِبَادًا إِذَا أَرَادُوا أَرَادَ .



(١) الهدف : ما ينصب ليرمي اليه . تواتر : بارق عليها الرنث . وريث : السهام : كناية عن التهبوء للرمي
(٢) احرب به : اجدر به

الزعامة^(١) والرئاسة

قَضَتِ السُّنَّةُ الْإِلَهِيَّةُ^(٢) أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ رَئِيسٌ
وَصَرِيحٌ ، وَسَائِسٌ^(٣) وَمَسُوسٌ^(٤) ؛ كَيْلَا تَتَفَرَّقَ الْآرَاءُ ،
وَتَتَشَعَّبَ^(٥) الْأَهْوَاءُ ؛ فَيَكُونَ مِنْ ذَلِكَ تَشْتُّ الشُّمُلُ ، وَتَوَهْنُ^(٦)
الْحَبْلُ ، وَتَفْتَرِقَ الْجَمَاعَةُ ، وَتَشُقَّ عَصَا الْأُلُفَةِ .

وَكُلُّ قَوْمٍ لَا رَئِيسَ لَهُمْ يَجْعَلُونَ إِلَيْهِ فِي الْمَشْكَلَاتِ ، وَيَضْعُدُونَ
إِلَيْهِ فِي الْمَعْضَلَاتِ^(٧) ، يُضْحُونَ وَقَدْ رَكِبُوا مُتُونِ الشَّوَامِسِ^(٨) ،
وَيَبِيتُونَ فِي لَيْلٍ مِنَ الْخَيْرَةِ دَامِسٍ^(٩) .

إِذَا كَانَتْ الرُّوحُ قِوَامَ الْحَسَمِ ، فَالرُّؤُسَاءُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ هُمْ رُوحُ
أَجْمَاعِهَا . فَإِنْ فَسَدُوا فَسَدَتْ ، وَإِنْ صَلَحُوا صَلَحَتْ ؛ لِأَنَّ الْأُمَّةَ
لَا تَقْرُمُ لَهَا قَائِمَةٌ إِلَّا إِذَا قَامَ فِيهَا زُعَمَاءُ يَنْهَضُونَ بِهَا إِنْ عَثَرَتْ ، وَيُقَرِّبُونَهَا

-
- (١) الزعامة ، افتح الرأي : الرئاسة والشرف
(٢) السنة الإلهية : النظام الإلهي أو الشريعة الإلهية التي اختطها الله لعباده
(٣) السائس : مدير أمور الدولة والرعية
(٤) المسوس : الرعية التي يدبر أمورها السائس
(٥) تشعب : تفرق
(٦) التوهن : الضعف ، وتوهن الحبل : كناية عن ضعف القوة
(٧) يصدون : ياجنون ويقصدون . المعضلات : الأمور المشككة
(٨) المتون : الظهور ، والمفرد متن . الشوامس : الدواب التي لا تمكن
الراكب من ظهرها لسوء خلفها ، والمفرد شامس وشامسة . وشاموس - بفتح
الشين - كاشاس
(٩) دامس : شديد الظلمة

إِنْ أَعُوْجَتْ ، وَيَأْخُذُونَ بِيَدِهَا إِنْ سَقَطَتْ ، وَيُؤْشِدُونَهَا إِنْ كُضِّتْ .

وَلَا يَكُونُ الرَّئِيسُ رَئِيسًا حَقًّا ، حَتَّى تَتَوَقَّرَ فِيهِ شُرُوطُ الرَّئِيسَةِ
مِنَ الْعَقْلِ ، وَالْعِلْمِ ، وَصِحَّةِ الْوَجْدَانِ ، وَالْحُرُوءَةِ ، وَالشَّهَامَةِ ، وَطَهَارَةِ
السَّرِيرَةِ ، وَحُسْنِ السَّيَرَةِ ، وَالْكَرَمِ ، وَالدَّلِّ الْحَمِّ فِي بَيْلِ إِحْيَاءِ
الْأُمَّةِ وَنَشْرِ الْعِلْمِ فِي رُبُوعِهَا . فَمَنْ تَهَجَّ هَذَا الْمَتَهَجُ ^(١) ، وَقَامَ بِهِذِهِ
الْأَعْيَاءُ ^(٢) ، كَانَ عَيْنًا مِنَ الْأَعْيَانِ ، وَرَئِيسًا مِنَ الرُّؤَسَاءِ ، وَزَعِيمًا مِنَ
الزُّعَمَاءِ . وَإِلَّا فَهُوَ عَلَى الْوَجَاهَةِ وَالرَّئِيسَةِ وَالرَّءَامَةِ وَالشَّرَفِ
طُفَيْلِيٌّ ^(٣) دَخِيلٌ .

يَتَهَافَتُ ^(٤) كَثِيرٌ مِنَ ضُعَفَاءِ الْعُقُولِ عَلَى الرَّئِيسَةِ ، وَائِسَ لَهُمْ مِنْ
شُرُوطِهَا حَبَّةُ خَرْدَلٍ ، وَقَدْ نَسُوا أَنَّ رَئِيسَ الْقَوْمِ إِسَانُهُمُ النَّاطِقُ ،
وَقَلْبُهُمُ الْمُفَكِّرُ ، وَصَدْرُهُمْ ^(٥) فِي الشَّدَائِدِ ، وَحِصْنُهُمْ عِنْدَ النَّوَائِبِ ،
وَمَوْئِلُهُمْ ^(٦) إِنْ عَصَّيَهُمُ الدَّهْرُ ، وَسَنْدُهُمْ فِي كُلِّ جَلِيلٍ مِنَ الْأَمْرِ .
كَانَ لِلْأُمَّةِ عُصْرٌ لَمْ يَكُنْ بِرَأْسِهَا ^(٧) فِيهَا إِلَّا السَّادَةُ الْمُخْلِصُونَ ،

(١) خج : سلك المتهج : الطريق الواضح

(٢) الأعماء : الاحمال الثقيلة

(٣) الطفيلي : من يدخل في امر لم يدع اليه : وهو نسبة الى طفيل : رحل من
أهل الكوفة كان يأتي الولائم من غير ان يدعى اليها . ويسمون من يفعل ذلك
بالوارش ايضاً ، كما يسمون من يدخل على القوم في مرجع فيشرب معهم من غير
ان يدعى بالواغل

(٤) يتهافت : ينساقط . واصله التساقط شيئاً بعد شيء .

(٥) الصد : من يصمد اليه الناس ، اي يقصدونه لما يحتاجهم

(٦) المويث : الملحق

(٧) رأسهم برأسهم : صار رئيساً عليهم

والبررة^(١) المصلحون . ثم هوت بها كفة الميزان ، فأسها الفسقة
الأدنياء ، دعاة الجهل والعصيان ، والطغاة السفهاء ، أولياء الشيطان .

ألا ، إن الزمان قد استدار . فقد تنبّهت الأمة من رقدتها^(٢) ،
وأستيقظت من غفلتها . فهي لا ترضى أن تبقى في أسر من يعمل على
هلاكها ، ويرغب في استعبادها . ولا تُقرُّ بالزعامة والرئاسة إلا
للمصلحين الصالحين ، الذين يرغبون في الموت لتحيي الأمة ، ويؤثرون^(٣)
للمناصب حبا لراحتها ، ويؤثرون بالشقاء رغبة في سعادتها .

فتقدّم ، أيها الناسي ، الى العلم الكامل ، وتتمسك بالخلق
الفاضل ، وأقدم على العمل الصالح ، مسترشداً بالعقل الراجح ، لتكون
زعيم^(٤) قوبك ورئيس عشيرتك .

وإياك أن تجد نفسك نفسك بالزعامة ، أو يغرّك رونق الرئاسة ،
وأنت أنت أهما بأهل ، فتجأب الى قومك الويل ، والى نفسك الذل .

لا يصح القوم فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهأ لهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا له عمدة ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
من تجتمع أوتاد وأعمدة يوماً ، فقد بلغوا الأمر الذي كادوا^(٥)

(١) البررة : الاخيار

(٢) رقدتها : نومها

(٣) يؤثرون : يقدمون ويفضلون

(٤) الزعيم : سيد القوم ورئيسهم

(٥) كادوا : ارادوا ومنه قوله تعالى : « ان الساعة آتية أكاد أخفيها »

اي اريد اخفائها . وقول الشاعر : « كادت وكدت وثلك خير ارادة » اي
ارادت وارادت . وليست بمعنى قرب لاحا ليست هنا من افعال المقاربة

عشاق الرئاسة

إذا كانت الأمة ، التي لا زعيم لها يُؤشدها ، تسير في مهمة من الفوضى ، تشابه الأعلام ^(١) ، تُخوف المسالك ، بعيدة أرجاؤه ^(٢) ، كأن لون أرضه سماؤه ، فإن الأمة ، التي يكثر عشاق الرئاسة فيها ، ينمو عددُ حبيبي الرئاسة في مجموعها ، أكثرُ منها فوضى ، وأشدُّ حيرةً ، وأعظمُ ويلاتاً .

حبُ الرئاسة داء هذا الشرق الويل ^(٣) . والتهاوتُ على الرئاسة عرَضُ المزمين . وما من زعيم يقوم فيه ، إلا خفقت القبرة في قلوب قومه ، واحتدم ^(٤) الحسد في نفوسهم ؛ فتداهم يعملون على السعاية ^(٥) به ، ويبدلون ما لديهم من قوة لإسقاطه ، ويتناصبونه العداوة ^(٦) ، ويصارحونه بالأذى . فإن كان زعيماً حقاً فهو لا يأتبه المناوئتهم ^(٧) ، ولا يعبأ بمصادمتهم ؛ بل يثبتُ على ما يؤيده قومه من الخير ثبات الرجال ، لا يبالى الأهوال ، ولا يكثرُثُ للصعوبات ، ولا يحفلُ بالخوفات . وإن تمزع لأوّل صدمة ، كان ضعيف الإرادة ، بليد

(١) المهمة : الفلاة المتفرة المهلكة . الاعلام : الجبال . والمفرد علم

(٢) الأرجاء الاطراف والنواحي . والمورد رجاً

(٣) الويل : الشديد

(٤) احتدم : اشتعل

(٥) السعاية : الوشاية

(٦) يتناصبونه العداوة : يظهرونها له . ويقال : ناصبه متناصبه أي قومه وعاداه

(٧) لا يأتبه : لا يلتفت ولا يبالى . والمناوأة : المعاداة والمعارضة

النفس . وأحدهما يمتن كان كذلك أن لا يكون رئيساً للقوم !

ما رأيتُ أحداً لم يُخَدِّثْهُ نَفْسُهُ بِإِزْعَامَةِ ! وأهلُ الزَّعَامَةِ قليلٌ .
فهل الزَّعَامَةُ مَتَاعٌ يُشْرَى ؟ ! أو ثَوْبٌ مَتَى لِبَسُهُ الْإِنْسَانُ صَارَ زَعِيماً ؟ !

إن الزَّعِيمَ هُوَ رُوحُ الْأَمَّةِ . وهل تَرْضَى أُمَّةٌ أَنْ يَكُونَ زَعِيمُهَا
هَمِيَّ بْنُ بَنِي^(١) ، أو الْخَلَّالَ بْنَ فَهْلٍ^(٢) ، أو الْحَمَلَ بْنَ الْقَبَاةِ ، أو
الْقُسُوقَ بْنَ الْعِضْيَانِ !

كلُّ قَوْمٍ رَأْسُهُمْ أَوْشَابُهُمْ^(٣) ، وَتَحْكُمُ فِيهِمْ جُهْلَانُهُمْ ، وَكَانَ
زُعَمَاءُهُمْ أَتْدَانُهُمْ ، كَانَ الْخَرَابُ عَارِقَتَهُمْ ، وَالْدَّمَارُ^(٤) مُنْتَهَاهُمْ .

ليسَ الرَّئِيسُ مِنْ يَبْذُلُ الْمَالَ ، وَيُبْثُّ الرِّجَالَ ، أَوْ يَغِيبُ النَّاسَ فِي
رِئَاسَتِهِ ، وَالْإِتِّفَافِ حَوْلَ عِلْمِ زَعَامَتِهِ . وَإِنَّمَا الرَّئِيسُ مَنْ كَانَتْ
الرِّئَاسَةُ خُلُقاً مِنْ أَخْلَاقِهِ . وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي رَجُلٍ مَعْرُوفٍ
الْفَضِيلَةِ ، آتِي^(٥) الرَّذِيلَةِ ، ذَكِيٍّ الْوَجْدَانِ ، ثَابِتِ الْجَنَانِ^(٦) ، عَالِي
الِهَمَّةِ ، نَقِيٍّ الذِّمَّةِ ، ذَكِيٍّ الْفُؤَادِ ، رَفِيعِ الْعِمَادِ^(٧) ، تُرَابِيٍّ النَّفْسِ ،

(١) هَمِيَّ بْنُ بَنِي ، وَهِيَّانُ بْنُ بِيَانٍ : كَمَا يَذْهَبُ عَنْ لَا يَمُورُ وَلَا يَمُورُ أَبُوهُ

(٢) فَهْلٌ : اسْمٌ لِلْبَاطِلِ ، وَهُوَ غَيْرُ مَنْصَرَفٍ لِلْعِلْمِيَّةِ وَوِزْنُ الْفِعْلِ اعْتِمَادُ

إِلَهُ عَلَى وَزْنِ حَلِيبٍ

(٣) الْاَوْشَابُ : الْإِحْلَاطُ مِنَ النَّاسِ كَالْاَوْبَاشِ . وَالْمَعْرُودُ وَتَبْ ، يَفْتَحْتَبِ

وَمَعْرُودُ الْاَوْبَاشِ وَتَبْ ، يَفْتَحْتَبِ إِصْبَاحاً

(٤) الدَّمَارُ : الْهَلَاكُ وَالْخَرَابُ

(٥) آتِي الرَّذِيلَةِ : مَمْتَنِعٌ مِنْهَا

(٦) ذَكِيُّ الْوَجْدَانِ : صَالِحُهُ وَطَيِّبُهُ . الْجَنَانُ : الْقَلْبُ

(٧) ذَكِيُّ الْفُؤَادِ : مُتَوَقِّدُهُ وَفَطِينُهُ . رَفِيعُ الْعِمَادِ : سَيِّدُ شَرِيفٍ

عَصَامِيَّتِهَا ^(١) ، واضح الأخلاق ، طاهر الأعراق ^(٢) ، عالم بما تحتاجُ إليه
الأمّة ، ساعٍ نحو ما يُفيدُها ويُعلي شأنها . ومن كان كذلك سادَ النَّاسَ
وزَعَمَ عليهم ^(٣) ؛ وكانت له الكلمةُ النَّافذةُ فيهم ، والمقامُ الأرفعُ
بينهم .

عَجِبْتُ وَاللَّهِ - وَحَقٌّ لِيَ الْعَجَبُ ^(٤) - لَرَهْطٍ لَيْسُوا فِي الْعِيْرِ وَلَا
فِي النَّفِيرِ ، يَسْعَوْنَ التَّعْبِي الْحَثِيثَ ^(٥) لثِقَرِ الْأُمَّةِ لَهُم بِالزَّعَامَةِ ؛ وَهُمْ
أَهْرُونَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ هَيْئٍ ، وَلَا مِيزَةَ لَهُمْ تَرْفَعُهُمْ إِلَى التَّقَامِ الَّذِي يَسْعَوْنَ
إِلَيْهِ . وَقَدْ اتَّخَذُوا الْوَقِيمَةَ ^(٦) فِي أَفْضَلِ الْأُمَّةِ ، وَأَسْكَنَ لُحُومَهُمْ ،
وَتَلَطَّيَخَ أَمْرَاضَهُمْ ، سَبِيلًا إِلَى مَا يَقْصِدُونَ إِلَيْهِ ؛ لِيَخْلَوْ لَهُمُ الْخَوْ ،
فِيَكُونُوا هُمُ الرُّؤَسَاءُ وَالزُّعَمَاءُ . وَلَمْ يَذَرُوا أَثْمَهُمْ بِمَعْلَمِهِمْ هَذَا يَنْكَشِفُ
عَوَارِثُهُمْ ^(٧) ، وَيَفْتَضِّحُ أَمْرَهُمْ ؛ فَتَزْدَادُ الْأُمَّةُ مِنْهُمْ نَفُورًا ، وَتُوسِّدُهُمْ
أَحْتِقَارًا وَبُغْضًا .

وَهُمَاكَ رَهْطٌ ، مَتَى أَخْنَقَ فِي سَعْيِهِ ، وَلَمْ يَنْتَلِ مِنَ الزَّعَامَةِ مَا يُرِيدُ ،
قَامَ بِأَسْمِ الدِّينِ ، وَهُوَ أَحَدُ الْجَاهِلِينَ ، فَانْسَبَ إِلَى غَيْرِهِ الْكُفْرَ

(١) العصامي : من يفتخر بعمل نفسه . وعكسه العظامي وهو من يفتخر
آبائاً . وهو نسبة إلى عصام بن تهمرة الذي قال فيه الشاعر : « نفس عصام سودت
عصاماً » . وفي المثل : « كن عصامياً ولا تكن عظامياً » أي اشرف نفسك كمصام
لابآئائك الدين صاروا عظاما

(٢) الأعراق : الأصول

(٣) زعم عليهم : تأمر عليهم وسادهم

(٤) حق لي العجب ، بصفة المحمول : أي وحب علي

(٥) الحثيث : الشديد السريع

(٦) الوقيمة : السب والشت

(٧) العوار فتع العين وضعا : العيب . وأصله العيب في السلة

والإلحاد^(١) ، والضلال والفساد ، وأتخذ لأهوائه الضالة سافل الوسائل ،
 ليصدف^(٢) الأمة عن ذلك الزعيم العامل ، ويصرف ووجوهها عنه اليه ،
 ويجعل أمرها بين يديه ، وربما صدقه بعض السذج^(٣) من العامة ،
 لأنه يضرب على وتر الدين . ولكن المجموع لا يلتفت إليه ، ولا
 يعول عليه ، ولا يعاب بشرهاته^(٤) ، ولا يجنح^(٥) إلى مقترياته
 فأعيدكم بالله ، معشر الناسخين ، أن تتخذوا للزعامة أمثال هذه
 الأسباب ، فتقطع بكم الأسباب^(٦) ، وتغير منكم الأمة ويبعد
 ما بينكم وبين الفضيلة .

أياكم وحب الرئاسة ، إلا إذا أتنكم منقادة تجرر أذيالها ، عا
 لكم عند الأمة من جميل الصنع ، وطريف الفضائل وتالدها^(٧) .
 وأحذروا ، إن قام فيكم زعيم هو أهل للزعامة ، وكانت قلوبكم
 مطمئنة إليه ، أن يغركم الحسد ، فتتهضوا إلى إسقاطه ، وتعملوا على
 صرف وجوه الناس عنه . بل فساعدوه على ما قام به ، وأعينوه على
 مشروعه ، وكونوا له أيدياً تسعفه ، وأعضاءاً تدفعه^(٨) . فإن بعلم
 ذلك كنتم لأئمتكم من المحسنين

(١) الإلحاد : الدول عن دين الله والطمع فيه

(٢) يصدف : يصرف

(٣) السذج : الذين لا خبرة لهم : والمفرد ساذج وأصل معناه : ما لا نقش
 فيه فكان التجارب لم تنقش في قلوبهم

(٤) الترهات : الاناطيل

(٥) لا يجنح : لا يميل

(٦) الأسباب الأولى : الوسائل . والأسباب الثانية : الصلات والمودات
 وأصل معنى الشيب : الحبل

(٧) طريف الفضائل : جديدها . وتالدها : قديمها

(٨) الأعضاء : الاموان . والمفرد ضد : تدعجه : تسده وتقويه

الصدق والكذب

لستُ أعني بالصدق والكذب - في هذا المقام - ما هو معروف
أكل واحد ؛ فإنَّ هذا الأمر من البديهيات التي يعرفها الصبيان ، وإنما
أعني بهما صدق الفعل وكذبه ؛ فإنَّهما نتيجتان للقول في حالي
صدقه وكذبه .

لا ثقل لأحد : إنَّك صادق أو كاذب ، حتى ترى صدق عمله
أو كذبه . ولا تصف قولاً بصدق أو كذب ، حتى ترى أثره ؛
لأنَّ القول أعظم ربحته ، أو قصوره ، بنتيجته ، ولا يصدق القول
حتى يصدق العمل .

صدق الفعل نتيجة لازمة لأصحاب الإرادة ، الذين لا يدخل
بينهم وبين تحقيق ما يقوَّنون حائل

ترى كثيراً من الناس - حتى من لهم منارلُ عالية ، بسبب
ما يتقلَّدونه من الأعمال السامية - يقوَّنون ما لا يفعلون ؛ وإن طالبتهم
بإنجاز أقوالهم ، والوفاء بوعودهم ، غاصوا على أفعال الاعذار ،
واجتثوا إلى ما طيعوا عليه من الوفاء والتفاني ، واضاعوا الأوقات في
ترويض المذريات . وما ذلك إلا من ضعف الإرادة في نفوسهم ،
وعدم تموُّدِهِم صدق القول ليصدق الفعل

إن أجاب الإنسان بالسلب ، حين يُسأل إنفاذاً لأمر ، فلا يُلومهُ أحدٌ . بل يكون الردُّ خيراً من وعدٍ يشعُّ البطالُ والتَّسْويفُ ^(١) . وإِنَّما يُبْلَمُ أشدُّ اللوم من قال : أفعلُ ثمَّ نكصَ ^(٢) على عَقْبِيهِ ، ولم يُفِءْ وعدَ به . وما إخلافُ الوعدِ من دأب ^(٣) الرِّجالِ الكَمَلَةِ ، وبِما الكَدِبُ إلا من أخلاقِ السُّفَلَةِ ^(٤) .

يُحبُّ على التَّمرِّ قِلَّ أن يَعِدَ بأمر أن يَتَرَوَّى فيه حتَّى يَقْتُلَهُ خُبْرًا . فإن رأى أن في قدرته أن يَفِيَّ به وَعَدَ ، وإلا تَوَقَّفْ . أمَّا مَنْ يَعِدُ قَبْلَ التَّفَكُّرِ والتَّأَمُّلِ : أيُّ وُسْعِهِ الوَفاءُ بما وَعَدَ به أم لا ؟ فهو رَجُلٌ أَحَقُّ أَهْوَجُ ^(٥) وكثيراً ما يرمي الحَقُّ بِصاحبه في مَفارِجٍ مِنَ النَّدَمِ يَعِيدُ الأَرْجاءَ ^(٦) .

وبعدَ فإن تُعْجَبَ لأمر ، فأعْجَبْ لقرمٍ يَقْرَؤون وَيَعِدُّون ؛ وهم قد وَطَّروا أَنْفُسَهُمْ ^(٧) على عَدَمِ الوَفاء . وإِنَّما يَدْعُوهم إلى الكَدِبِ

(١) المَطْل : المَاطِطَةُ . التَّسْوِيفُ : أن تَعِدَ أَحَدًا مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ بقَوْلِكَ : سوفَ أُفِيءُ .

(٢) نَكَصَ عَلَى عَقْبِيهِ : رَجَعَ

٣ الدَّأْبُ : العَادَةُ

(٤) السُّفَلَةُ : مَنَحَ السَّيْبِ وَكَسَرَ الدَّاءَ ، وَكَسَرَ السَّيْبِ وَكَسَرَ الدَّاءَ : الأَسَافِلُ والعَوَاءُ والأَوَاشُ . وإِذَا السُّفَلَةُ ، فَتَحَ السَّيْبِ والدَّاءَ ، فَجَمَعَ سَافِلٌ مُدَامِي

(٥) الأَهْوَجُ : الطَّائِفُ الأَحْمَرُ ، والمَوْتُ هَرَجًا ، والْجَمْعُ هَوَجٌ بِصَمِّ الْوَاوِ

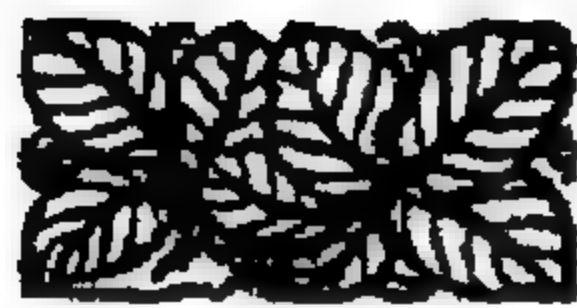
٦ المَفَارِجُ : المَوَاتِ المَآكِلَةُ ، والمَعْرَدُ مَفَازَةٌ . الأَرْجَاءُ : الأَطْرَافُ والنُّوْحِي

(٧) وَصَلَ سَبَبُهُ إِلَى الأَمْرِ . مَوَّاهَا وَذَالَهَا لِيَجْعَلَهَا عَلَى أَيْمَانِهِ

ما أشرَبَتْهُ نُفُوسُهُمْ مِنْ فسادِ التَّربِيَةِ . وَمِنْ أَعْتَادِ أَمْرٍ ، حَتَّى صَارَ خُلُقًا
لَهُ ، صَعِبَتْ إِزَالَتُهُ مِنْ نَفْسِهِ . فَهُوَ يُلَازِمُهُ حَتَّى يُدْرَجَ ^(١) فِي قَبْرِهِ .
وَإِنَّ الْحَرَّةَ مَتَى عُرفَ بِعَدَمِ الْوَفَاءِ وَكَذِبِ الْعَمَلِ ، نَفَرَ مِنْهُ النَّاسُ
حَتَّى اخْتَصَّاهُ ؛ فَلَا يَثِقُونَ بِهِ إِنْ قَالَ ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ إِنْ وَعَدَ . بَلْ
يَوَدُّونَهُ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ^(٢) ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ
يَجِدْهُ شَيْئًا .

ما اُنْتَشَرَتْ هَذِهِ الْحَصَلَةُ الشَّعَاءُ فِي أُمَّةٍ إِلَّا فَقِدَتْ الْثِقَّةُ مِنْ نُفُوسِ
أَبْنَائِهَا . وَفَقْدَانُ الثِّقَةِ فَقْدَانُ الْحَيَاةِ .

فَايُّكُمْ ، مَعْتَرِ النَّاشِئِينَ ، وَالْكَذِبَ ؛ فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى تَلَمُّ ^(٣)
تَاجِ الشَّرَفِ . وَاحْذَرُوا الْإِخْلَافَ بِالْعَهْدِ ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ تُغْوِي الْأُمَّةَ .
إِنْ كُنْتُمْ قَادِرِينَ عَلَى الْوَفَاءِ ، فَعِدُّوا ، أَوْ عَلَى الْفِعْلِ ، فَقُولُوا . وَإِلَّا
فَدَعُوا الْوَعْدَ وَالْقَوْلَ ؛ كَيْلَا تَكُونُوا مِنَ الْكَاذِبِينَ .



(١) يدرج : يدخل

(٢) السراب ما تراه نصف النهار من شدة الحر كأنه ماء ، القيمة : ارض
سهلة مطمئنة قد افرحت بها الخيال . الظمان : العطشان

(٣) التلم : الكسر والشق

الاعتدال

مَنْ نَشَدَ^(١) الْفَضِيلَةَ فَلْيَطْلُبْهَا فِي الْإِعْتِدَالِ :

فَالْإِعْتِدَالُ فِي الْفِكْرِ وَالتَّذَهُّبِ وَالتَّأْكُلِ وَالتَّشْرَبِ وَالتَّلَبُّسِ
وَالْبَذْلِ^(٢) وَكُلِّ أَمْرٍ حَسَنٍ أَوْ مَعْتُورٍ ، هُوَ الْفَضِيلَةُ .

وَمَنْ لَزِمَ قَصْدَ السَّبِيلِ^(٣) كَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ السَّلَامَةُ ، وَكُلُّ
طَرَفٍ فِي قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ .

الْإِعْتِدَالُ هُوَ التَّوَسُّطُ فِي كُلِّ شَيْءٍ :

الشَّجَاعَةُ فَضِيلَةٌ ؛ لِأَنَّهَا وَسْطٌ بَيْنَ نَقِصَتِي التَّهَوُّرِ وَالْحَنِّ .

وَالْجُودُ فَضِيلَةٌ ؛ لِأَنَّهُ قَصْدٌ بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ : الْإِسْرَافِ وَالْبُخْلِ .

وَهَكَذَا نَجِدُ كُلَّ فَضِيلَةٍ مِنَ الْفَضَائِلِ فِي الْإِعْتِدَالِ ، أَيْ التَّوَسُّطِ
بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ .

نَذَكَّا ، بَنَ زَادَ أَدَّى إِلَى اخْتَلَسَ فِي الْأَعْمَالِ ، وَحَمَلَ عَلَى أُمُورٍ
لَا تَلِيْقُ بِمَا قُلَّ . وَإِنْ نَقَصَ كَانَ يَنْقُصُهُ الدَّلَّةُ وَالْعِبَاوَةُ .

وَالْتَقَرُّ بِنَ جَاوَرَتْ حَدَّثَهَا كَانَ مِنْهَا الْوَسْوسَةُ ، الَّتِي تُؤَدِّي فِي
أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ إِلَى تَرْكِ الْعِبَادَةِ وَالْعُكُوفِ^(٤) عَلَى أَعْمَالِ الْفُسَّاقِ الْعَاصِينَ .

(١) نَشَدَ الْفَضِيلَةَ : سَلَبَهَا وَبَحَثَ عَنْهَا لِيَهْتَدِيَ إِلَيْهَا

(٢) الْبَذْلُ : الْعِطَاءُ .

(٣) الْقَصْدُ : اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ ، وَالتَّوَسُّطُ فِي الْأُمُورِ . وَقَصْدُ السَّبِيلِ : الطَّرِيقُ .

الْمُسْتَقِيمُ الْمَوْصُلُ إِلَى الْحَقِّ وَالْفَضِيلَةِ

(٤) الْعُكُوفُ عَلَى الشَّيْءِ : لِقَبَالٍ عَلَيْهِ وَلِزَامُهُ وَلِمُوَاطَاةٍ عَلَيْهِ

لذلك نهت الشرائع السماوية عن الغلو في الدين ، وأمرت بالتباعد المتصدد فيه . وقد ورد في الحديث : « إِنَّ الْمُنْتَبِتَ ^(١) لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى » .

والعلم ، متى اتسعت دائرته في الإنسان ، كانت عاقبته الجهل . وربما وصل من جاوز الحد في علمه الى جهل كثير . من حاجات نفسه . والقاعدة الشاملة أن كل شيء جاوز حده انقلب الى ضده . وهي قاعدة تعم الحيوان والنبات والحماة والمعقولات والحسيات والأجتماع والعنران

فالعاقل من ألزم نفسه التوسط في الأمور ، والاعتدال في أحواله المعاشية والاجتماعية والدينية . فإن الاعتدال هو السلامة . وما ضرر الأمة إلا ترك الاعتدال .

فاعتصم ^(٢) . أيها الناشئ ، بالاعتدال . ولا تدع لشيطانك طرقي الأمور سبيلاً اليك . وخير الأمور أوسطها ، لأن فيه الفضيلة . والفضيلة نعمة الرائد ^(٣) .

(١) المنتبت : المنتقطع . والمراد به : المنتقطع عن رفاقه في السفر ، الذي يحمل دابته على ما لا تطيقه من السير ، رغبة في الاسراع ، ليصل الى غايته ، فينقطع ظهرها تعباً ، فلا تقدر على مواصلة السير ، فينقطع هو في الطريق ، فيكون حينئذ ما قطع الارض التي يسير فيها ليبلغ ما يقصد اليه ، ولا انقضى ظهر دابته سالماً . فكذلك من يجهد نفسه وبتعبها في العبادة وينقطع فيها فلا يلبث ان يلقاها ويبغضها ، فلا هو بلغ المقصود من ارضاء الله ، ولا أبقي نفسه في الراحة .

(٢) اعتصم : تمسك

(٣) نعمة الرائد طلبة الطالبين . والنعمة : في الاصل : الكلاء والمرعى . والرائد : الرسول يرسله القوم ليرى لهم مكاناً صالحاً لدولهم ومرعى مواشيتهم

الجود

المال - كاقوة - خادم للإنسان عند ميسيس الحاجة .
إذا رأيت أحداً ، وقد همَّ بالبَطْش بك ، قدِّمُ عنك أذاً بما
لديك من قوَّة .

وإن رأيتَهُ ، وقد اعتدى على أحد الضعفاء ، دافعك الحماسة الى
مقاومته وردِّ مدوانه عن ذاك الضَّعيف ، صدقة عن قوتك .
وتكون حماستك أشدَّ ، إن رأيت الأعداء مُندفعة الى مُقاتلة الأُمة
وتحريض بلادها .

وكذا إن شعرت نفسك بِأُجاة الى أمر من الأمور التي تنبفعُ بها ،
فإنك تدفعُ هذه الحاجة بدفع جزء من مالك تبذلُ في سبيلها .
وإذا وجدتَ نائساً ، أو ضعيفاً لا حولَ له ولا قوَّة ، حرَّكتك
عاطفةُ الشُّرورة والحنان ، فبذلت ما تسمعُ به نفسك إسدَّ عوزِهِ (١)
ودفع حاجته .

وإن رأيت الأُمة كلها في حاجة الى البذل - وأنت قادرٌ على إصلاح
فاسدها وتمرَّ شعثها (٢) - كان اندفاعك الى الإحسان أشدَّ ، وشعورك
بالحاجة الى البذل أقوى .

وكما يَصْدِفُ (٣) الحينُ الإنسان عن ردِّ من أرادَ به أو بغيره

(١) العوز : الضيق والحاجة

(٢) لم الشعث : جمع المتفرق

(٣) يصدف : يصرف

السوء - فيكون عرضة للشوذين ، ومروءة^(١) للقارعين - فكذلك البخل يضره عن البذل فيما يحتاج اليه من الحاجات حتى الضرورية منها . ومن جبن عن دفع الأذى عن نفسه ، وبخل بما يسد به ثغور^(٢) حاجاته ، فأجدر به أن يجن في مأزق^(٣) الدفَاع عن غيره ، وبخل ولو بقليل من المال ينفع به سواء .

وكما يضيع الثور في أكثر الأحيان حياة من عشيوا الإقدام على المخوفات - من غير ترو ولا تفكر ، فلا ينتفعون بإقدامهم ولا ينتفعون - فكذلك الإسراف وتبذير الأموال فيما لا يفيد ، يكون داعياً لضيعها ، وأن يبيت صاحبها بعدها حزينا أسفاً .

وكل ذلك من نتائج عدم الاعتدال ، فلنأزم الاعتدال .
صاحب المال يثلف ماله الإسراف والإنفاق على ما لاخير فيه لنفسه ولا لأئمة ؛ فيصبح بعد حين في عداد الأوفاض^(٤) ، خالي الوفاض^(٥) ، هذر اليدين^(٦) ، فارغ الكفين .

والشح^(٧) يسوقه الى النصب^(٨) في كذب الذَّهَب ؛ ثمَّ يحول

(١) المرة : واحدة المرو ، وهي حجارة بيض رقاق برقة صلبة تنفذ منها النار ، وتعرف بالصوان . ويقال قرع الدهر مروءة ولان ، اي أتزل به البلاء .

(٢) الثغور : الشقوق وهي جمع ثغر . والثغر في الأصل : الشق بين الجبلين ، وموضع المخافة من البلد يخاف هجوم العدو منه .

(٣) المأزق : موضع الحرب ، والمضيق

(٤) الأوفاض : الفقراء الذين لا مال لهم . والأوفاض أيضاً : الفرق والاخلط

من الناس

(٥) الوفاض : جمع وقضة ، وهي خريطة يحمل فيها الراعي أدواته وزاده

(٦) هذر اليدين : فارغهما

(٧) الشح : البخل مع حرص

(٨) النصب : التعب

دُونَهُ وَدُونَ أَنْ يَحْيَا حَيَاةَ السَّعْدَاءِ . وَمَا الْمَالُ إِلَّا وَسِيلَةٌ لِلْعَيْشِ
الرَّغْدِ^(١) ، وَمَسَبِّبٌ لِتَخْفِيفِ الْفَاقَةِ^(٢) عَنِ الْفُقَرَاءِ ، وَمُدَاوَاةٌ لِلْأَمْرِ الْبَائِسِ
كَمَا لَا خَيْرَ فِي قُوَّةٍ بِلَا شَجَاعَةٍ - لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَكُونُ جَبَانًا أَوْ
مَشْهُورًا - فَلَا خَيْرَ فِي مَالٍ بِلَا جُودٍ ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَكُونُ بَخِيلًا
أَوْ مُسْرِفًا .

إِنْ كَانَ فِي الْإِسْرَافِ إِتْلَافٌ لِلْأَمْوَالِ ، فَفِي الْبُخْلِ بِهَا إِرْهَاقُ
النَّفْسِ عُسْرًا^(٣) . فَالْوَيْلُ فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ قَازِلٌ بِمَنْ تَخَلَّقَ بِهِمَا .
وَالْأَعْتِدَالُ - وَهُوَ الْجُودُ - دَاعِيَةُ السَّعَادَةِ بِالْمَالِ . قَالَ تَعَالَى :
« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً^(٤) إِلَى عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ؛
فَتَقْعَدَ مَآوِمًا مَحْسُورًا »

فَزُرُومُ الْقَضْرِ^(٥) ، وَأَرْتِبَاعُ وَنَظَرِ الْأَمْرِ ، هُوَ الْمُنْجِي مِنْ
الْوَيْلَاتِ^(٦) . فَلْيَتَفَقَّرِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ وَرِيعَالِهِ وَالْمَحْتَاجِينَ مِنَ النَّاسِ
وَعَلَى الْمَشْرُوعَاتِ النَّافِعَةِ مَا لَيْسَ بِإِسْرَافًا وَلَا بِجُبْنًا .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْجُودَ يُقَدَّرُ بِقَدْرِ الثَّرْوَةِ . فَزُرُومُ الْجُودِ يُعَدُّ بِجُبْنٍ فِي
جَانِبٍ آخَرَ ، وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ .

وَمَعْدُ ، فَإِنَّ فِي الْأُتَمَةِ قَوْمًا ، أَصْحَابَهُمُ اللَّهُ ، حَسِبُوا الْبُخْلَ سَبَبَ
الْخُلُودِ فِي الدُّنْيَا . فَإِنْ طَلَّتْ مِنْهُمْ أَنْ يَقُومُوا بِسَدِّ عَوْرِ بَعْضِ

١ - ارغد بفتح اراء وسكون القين وفتح الدال : الواسع الطيب

٢ - لفاقة : الفقر واحاجة

٣ - ارهقه عسراً : كلفه إياه . والارهاق : تكاليفه لا يستطاع ولا يطاق

٤ - مغلول : مشدودة في العنق وهو القيد . وعن اليد إلى العنق كناية

عن الحب

٥ - زورم : انزوت في الأمور

٦ - ويلات : مصائب

الْفُقَرَاءَ ، وَإِعَانَةَ بَعْضِ الْمَشْرُوعَاتِ الْحَيَوِيَّةِ ، ظَنُّوا أَنَّكَ تَدْعُوهُمْ إِلَى
إِشْرَاعِ الرِّمَاحِ ^(١) ، وَتَجْرِيدِ الصِّفَاحِ ^(٢) ، وَبَذْلِ الْأَرْوَاحِ ، فِي سَاحَةِ
الْكَفَاحِ ^(٣) . فَمِنْهُمْ مَنْ يَبْتَخُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ ؛ وَهُوَ شَرُّ الْفَرِيقَيْنِ .
وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْتَخُلُ عَلَى غَيْرِهِ وَيَجُودُ عَلَى نَفْسِهِ ؛ فَهُوَ مِنَ الْآثَانَيْنِ ^(٤) ،
الَّذِينَ خُصِفَ شُعُورُهُمْ ، وَمَرَضَ وَجَدَانُهُمْ ؛ فَهُمْ يَرَوْنَ الْحَيَاةَ فِي
مَوْتِ الْأُمَّةِ ، وَالسَّعَادَةَ فِي شَقَائِهَا .

وَهُنَاكَ قَوْمٌ مُبَذَّرُونَ مُسْرِفُونَ ؛ إِنْ رَأَوْا مُنْكَرًا أَقْبَلُوا عَلَيْهِ ، أَوْ
سَمِعُوا بِسَفَاةٍ طَارَتْ إِلَىهَا ، وَبَذَلُوا فِي تِلْكَ السَّبِيلِ الْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنْ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . وَإِنْ دُعُوا لِلْبَذْلِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ عَمُوا وَصَمُوا ^(٥) .
وَأُولَئِكَ هُمُ شَرُّ الثَّلَاثَةِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ^(٦) .

فَابْتَغِدْ ، أَيُّهَا التَّشَدُّ الصَّالِحُ ، عَنْ هَوْلَاءِ وَأُولَئِكَ . وَالْزَمْ سَبِيلَ
الْأَجْوَدِ الْكَرَامِ ؛ فَهِيَ السَّبِيلُ الْوَاضِعَةُ ، وَالْمَنْهَجُ الْأَسَدُ ^(٧) . فَإِنَّ
الْجُودَ هُوَ الْأَقْتِدَالُ ؛ وَهُوَ مَعْقَطُ الرِّجَالِ ^(٨) ، وَمَجْلَى الْأَمَالِ ،
وَمَيْدَانُ الرِّجَالِ .

فَبِهِ تَمَسِّكَ . وَإِلَى رَحْمَتِهِ أَلْتَجِي ، تَكُنْ أَثْمَلُكَ سَعِيدَةً بِكَ .

(١) إشرع الرماح : رفعها وتسديدها إلى وجه العدو

(٢) الصفايح : السيوف العراض . والمفرد صفيحة

(٣) الكفاح : الحرب مواجهة

(٤) الآثاني من لا يرى غير نفسه ، فهو يقول : أنا أنا

(٥) عموا : صاروا عمياناً . صموا : طرشوا

(٦) العادون : الظالمون الذين تجاوزوا الحد في الظلم

(٧) المنهج : الطريق الواضح . والاسد : الأكثر سداداً أي استقامة

(٨) الرجال : جمع رجل وهو ما يوضع على الجمل . وقلان محط الرجال :

نقصود بالخاحات

السعادة

ما اختلف الناس في تفسير أمر اختلافهم في تفسير السعادة .
ذلك ، لأنها من الأشياء النسبية ، والأمور الإضافية . فهي ليست
من الخير النجم عليه ، وإنما هي خيرٌ بالإضافة الى شخص رآها كذلك .

قد يستحسن زيدُ أمراً ، فيعُدُّه سعادةً ويحسبُ الواصلَ اليه
سعيداً . ويرى عمرو الأمر نفسه ، فيعُدُّه شقاءً ، ويظنُّ العاكفَ
عليه شقيّاً .

فالسعادةُ - كالجِمال - قد تباينت ^(١) فيها الفهومُ ، واختلفت في
تفسيرها السيول . ومرجعُ الأمرِ إلى الذوق ، وتضاربُ المنازعِ إنما
هو من تباين الأذواق .

فبينَ الناس من يرى السعادةَ في التبسط ^(٢) في المأكل والمشربِ
واللهو والملبسِ وتمضيةِ الرقت في المنازهِ ^(٣) والملهى . ومنهم من
يراهَا في كسبِ المالِ وحُبسه في الصناديق . ومنهم من يعدُّها في
المطامعة والنداسة والغوصِ على دُررِ العلوم والبحث عن مكشوفات
الآداب . ومنهم من يحسبُ أنَّها في انتخاها عن هذا العالمِ الفاني ،
والزهدِ فيما تحويه هذه البسيطة من متاعها . ومنهم من يراها في انتشاطِ

(١) تباينت . اختلفت

(٢) التبسط : التوسع

(٣) المنازهِ : جمع منزه . وهو المَكَر الذي تروح فيه النفوس كالجنان ونحوها .

وهو جمع بحذف الروايد . وقول الناس منزه . بتقديم الزون على التاء ، خطأ

والأثر^(١) وتذليل الناس ، ليكونوا عبيد أهوائه ، وأرقاء^(٢)
شهواته . ومنهم من يراها في غير ذلك من المنازع والمشارب .
والسعيد من نظر بعين العقل ، واختط لنفسه خطة وسطاً يسلكها ،
فالاعتدال في الأمر داعية السعادة فيه .
اشترط في التأكل والمشرب سبب لحفظ الصحة من طواري
الأمراض والأخلاق الفاسدة .
والاعتدال في التنزه والاهو داعية سرور النفس ونشاط الجسم .
وفي عدمهما أتعاباً ضرها . وفي الزيادة منهما تعويدها الكسل والخلول
والميل إلى الفساد .
والاقتصاد في كسب المال وبذله يهدي إلى رُحمة الخير في
كسبه ، وترك الشر^(٣) في جمعه من حله وغير حله . ويُرشدُه إلى
طرق الإنفاق القوية ؛ فلا يكون بخيلاً ولا مُسرفاً . بل يعيش عيشة
السعادة والرفاه^(٤) .
والقصد^(٥) في العُكوف على الدّرس والمطالعة يدنو إلى تزويج
النفس ، ويطرد عنها الملل والسآمة .
والأخذ بحظي الدنيا والدين ، والتمسك بما يُرَبِّي الجسم وينقّيه ،
ويَهْدِي العقل ويُقَوِّمُه ، سبب إتيان السعادتين في الحياتين .

(١) الأثر : الاستثثار ، وهو الاستعداد بالمنفعة

(٢) الأرقاء : العبيد

(٣) الشره : استعداد الحرص وغلبته

(٤) رُفاه والرفاهية : لبس العيش وسعته ورغده

(٥) القصد : الترام المتوسط

وَحَمْلُ النَّفْسِ عَلَى التَّرَفُّعِ عَنِ الصَّغَارِ ^(١) وَالتَّثَرُّمِ عَنِ الْكِبَرِيَاءِ هُوَ
الْإِبَاءُ ^(٢) الْمَحْمُودُ . وَهُوَ شَرَفٌ لِلنَّفْسِ عَظِيمٌ ؛ لِأَنَّهُ يَرْبِأُ بِالنَّفْسِ أَنْ
تَسْتَكْبِرَ لِلاَظْهِمِ ^(٣) ، وَيَقْصُرُهَا ^(٤) أَنْ تَعْبُدَ لِحَقِّقَارِ النَّاسِ ، أَوْ تَبِيلَ
إِلَى تَدْلِيلِهِمْ ، أَوْ تَجَنَّحَ لِلْأَسْتِثَارِ بِالْمُرَافِقِ ^(٥) وَالْمَنَافِعِ

وَفِيهَا تَقْدَمُ مِنْ مَحْمُوعِ هَذِهِ التَّوَسُّطَاتِ - وَغَيْرُهَا - تَقْيِسُ عَلَيْهَا -
سَعَادَةُ الْمُتَحَلِّقِ بِهَا تَجَمُّلُ حَيَاتِهِ فِي هَنَاءَةٍ ، وَعَيْشُهُ فِي رَعْدٍ ^(٦) .

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ سَعِيداً فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَصَحْبِهِ
وَكُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَطَلَّبَ السَّعَادَةَ فِي قَضْدِ السَّبِيلِ .
وَيَجْعَلَ دَلِيلَهُ إِلَى ذَلِكَ الْعَقْلَ وَالْوَجْدَانَ ؛ فَهُمَا خَيْرُ دَلِيلٍ

بِطَرِيقِ السَّعَادَةِ ، أُنْيَا النَّاشِيءِ الْكَرِيمِ ، أَمَامَكَ فَاطْلِبِهَا
فِي أَعْمَلِ وَأَعْمَلِ أَصَالِحٍ وَالْأَحْلَاقِ الْعَاضِلَةِ . وَكُنْ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَطاً ،
تَكُنْ سَعِيداً



الصور : الدل والصيه

(٣) الإ : : حلق : مع الاسان : ما يبيه

٣ بر : : مس : : برهما : : تستكبر : : تدن : : وتضع : : الصيه : : الفهر
والطه : : والد

٤ يقصمها : : ضم

٥ تجنح : : تبيل : : ابرافق : : المانفع والمصالح : : و : : دمرفق : : بورن : : بر
وعرس : : و : : وهو ما ارتفعت به اى انعمت

(٦) اعد : : منح : : العبي : : وتكبير : : السعة

القيام بالواجب

و قوم الناس بما وجب عليهم ، اكنأوا - وهم في الأرض -
في حمة الخلد .

على السر أن يعرف باديء بدء ما وجب عليه معرفة صحيحة ؛ ثم
عليه أن يقوم به حق القيام .

معرفة الواجب شيء عظيم ؛ والقيام به أمر أعظم .

إن كان هناك كثير من الناس لا يعرف الواجب ، فإن أكثرهم
يعرفه ولا يوعى ^(١) أنه عهداً . وملامة من يعرف الحق فيجيد عبده ،
أشد من ملامة من يجيد عنه لأنه لا تبه يعلمه .

عذت من بعض الناس . كيف يريد من عبده أن يقوم بما وجب
عليه نحوه ، ثم هو يهمل أشد الإهمال ما وجب عليه نحوه غيره

منشأ إهمال الواجب أحد شيئين : الأثرة ^(٢) ، وضعف الإرادة
والأثرة تدفعه إلى احتقار عبده والاستبداد بالحرافق ^(٣) دونه
يمثّل بذلك الواجب عليه نحوه الأفراد والجماعات : من القيام بخدمتها ،
والسعي وراء مآربها ، كما تخدمه وتسعى لحفته .

١ لا يوعى : لا يحصى

٢ الأثرة : الاستبداد ، المعاملة بالمراد بها

٣ الحرافق : المذموم

وَضَعْفُ الْإِرَادَةِ يَحُولُ^(١) بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَتَقَرَّبَ بِمَا وَجِبَ عَلَيْهِ . فَإِنْ
خَطَرَ لَهُ أَنْ يَعْمَلَ حَالَاتِ تَرْبِيَّتِهِ الْفَاسِدَةِ دُونَ الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ .

الْقِيَامُ بِالْوَاجِبِ مِنَ الْمَنَافِعِ الْمُشْتَرَكَةِ فِيهَا ، الَّتِي يَعُودُ نَفْعُهَا عَلَى الْقَائِمِ
بِهَا ، كَمَا يَعُودُ عَلَى غَيْرِهِ . لِأَنَّكَ إِنْ عَمِلْتَ ، وَوَجِبَ عَلَيْكَ نَحْوُ آمُرِي
مِنَ النَّاسِ فَإِنَّهُ يَبْذُلُ جُهْدَهُ إِيْقَابَكَ بِمِثْلِ عَمَلِكَ وَالْقِيَامُ بِمَا وَجِبَ عَلَيْهِ
نَحْوَكَ وَإِنْ قُمْتَ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ الْأُمَّةِ ، وَدَعَوْتَ غَيْرَكَ لِلْقِيَامِ بِهِ نَحْوَهَا ،
سُعِدْتَ . وَكَانَتْ سَعَادَتُهَا سَعَادَةً أَفْرَادِهَا ، الَّذِينَ أَنْتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ .
قُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ وَالِدَيْكَ ، يَتَّقُوا بِوَاجِبِهَا نَحْوَكَ . وَبِذَلِكَ تَدَالُ
مَا تَسْنَاهُ مِنَ السَّعَادَةِ .

وَقُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ أَسَاتِذَتِكَ - بِأَنْ تَكُونَ مُتَخَلِّقًا بِالْأَخْلَاقِ
الْفَاضِلَةِ ، مُكَيِّبًا عَلَى الدَّرْسِ ، بِإِذْلَالِ الْجُهْدِ فِي إِيفَاءِ الْوَاجِبَاتِ الْمَدْرَسِيَّةِ -
تَكُنْ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ .

وَقُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ أَصْدِقَائِكَ - بِأَنْ تَكُونَ لَهُمْ عَوْنًا فِي
الضَّرَاءِ^(٢) ، وَأَنْيَسًا فِي السَّرَّاءِ^(٣) ، وَأَنْ تَمُوتَ لِمَوْتِهِمْ ، وَتَحْيَا لِحَيَاتِهِمْ ،
وَأَنْ تَأْخُذَ بِأَيْدِيهِمْ إِنْ عَثَرُوا^(٤) ، وَتُسَاعِدَهُمْ إِنْ أَمَلَقُوا^(٥) - يَكُونُوا
لَكَ أَعْوَانًا فِي الشَّدَائِدِ ، وَأَعْضَادًا فِي التَّوَازِلِ^(٦) .

(١) يحول : يعترض ويمنع

(٢) الضراء : الشدة

(٣) السراء : الرخاء

(٤) عثروا : سقطوا وزلوا

(٥) أملقوا : افتقروا

(٦) الاعضاء : الاموان . التوازل : المصائب

وَقُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ أَهْلِكَ - بَأَنْ تُوَاسِيَ قُرَّاءَهُمْ^(١) ، وَقَدْ فَعَلَ الْحَاجَةَ
عَنِ مُحَاوِيهِمْ^(٢) - يَفْذُوكَ بِأَرَاخِهِمْ ، وَيَبْذُلُوا مَا عَزَّ وَهَانَ لِرَفْعِ شَأْنِكَ
وِإِعْلَادِ مَنْزِلَتِكَ .

وَقُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ أَوْلَادِكَ - بَأَنْ تُرَبِّيَهُمْ تَرْبِيَةً حَسَنَةً ، وَتُخَلِّقَهُمْ
بِالْأَخْلَاقِ الَّتِي تَعْمَلُهُمْ فِي دَرَجاتِ الرِّجَالِ - يَقُولُوا بِوَاجِبِكَ ، وَيَرْفَعُوا
مِنْ مَقَامِكَ ، وَيَكُونُوا لَكَ خَدَمًا فِي شَيْخُوخَتِكَ ، يَوْمَ لَا تَجِدُ مَنْ
يَخْدُوكَ بِسِوَى بِضَاعِكَ^(٣) الْهَذَّائِينَ ، الَّذِينَ قُتِلَتْ بِوَاجِبِهِمْ فِي
زَمَنِ نَشَأَتِهِمْ .

وَقُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ زَوْجِكَ - بَأَنْ تُعَايِلَهَا ، كَمَا أَمَرَكَ الشَّرِيعَةُ ،
بِالْإِيْنَسِ وَالْبَشَاشَةِ وَاللَّيْنِ ، وَأَنْ تَأْتِيَهَا بِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِلا إِسْرَافٍ وَلَا
تَقْتِيرٍ^(٤) ، وَأَنْ تُهْدِبَ أَخْلَاقَهَا ، وَتُعَلِّمَهَا مَا وَجِبَ عَلَيْهَا - فَتَكُنْ لَكَ
أَطْوَعُ مِنْ يَمِينِكَ ، وَتَقُمْ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهَا نَحْوَكَ ، وَتَعِشَ شَرِيكَتَكَ لَكَ
فِي السَّرَادِ وَالضَّرَادِ .

وَقُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ تِجَارَتِكَ وَصَنَاعَتِكَ وَسَائِرِ عَمَلِكَ - بَأَنْ لَا تَكُونَ
غَاشًا ، وَلَا خَادِعًا ، وَلَا مُرَوِّجًا لِفَاسِدٍ ، وَلَا مُجْتَذِرًا لِعَوَارِ^(٥) ، وَلَا
مَادِحًا لِمُعْيِبٍ - تَرَأْفَةً النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْكَ ، وَيُقْبِلُ الْقَوْمُ عَلَى مَالِكَ

(١) تَوَاسَى قُرَّاءَهُمْ : تَعَطَّفَ عَلَيْهِمْ وَتَشَرَّكَهُمْ فِيمَا أَنَعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ

(٢) الْمُحَاوِيَجُ : حَمَمٌ مَحْتَاجٌ

(٣) الْبِضَاعُ الْأَوْلَادُ . وَالْمَفْرُودُ بِضْعَةٌ تَفْتَحُ الْبَاءُ ، وَقَدْ تَكَسَّرَ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ :

الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ . وَاسْمُ الْوَلَدِ بِضْعَةٌ لِأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ أَبَوَيْهِ

(٤) التَّقْتِيرُ : التَّضْيِيقُ

(٥) الْعَوَارُ تَثْنِيَةُ الْعَيْنِ : الْعَيْبُ ، وَالْحَرْقُ فِي الثُّوبِ ، وَالْعَيْبُ فِي السَّامَةِ

من تجارة أو صناعة أو عمل . لأن الثقة أمر عظيم . ولا يوجد لها إلا
القيام بالواجب .

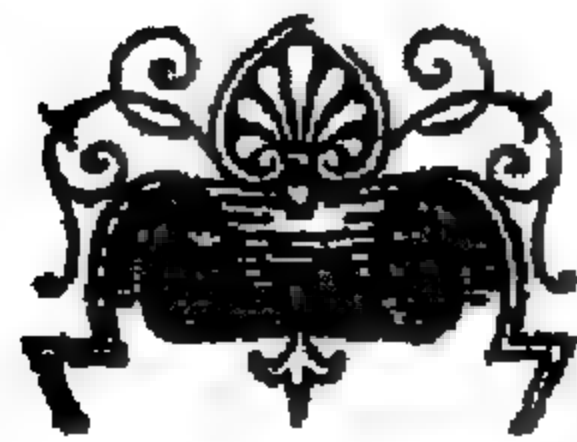
وعلى الحكومة أن تقوم بإجبتها نحو الشعب — بأن تحترم أغته ،
وآدابته ، وعاداته ، ومسيراته ، وحقوقه الأدبية والقانونية ، وسائر ما هو
حق له — فإن فعلت ذلك آتت الأمة لنصرتها وشدها (١) ،
وأقدمت على القيام بما وجب عليها نحوها .

وقيام كل من الحكومة والأمة بما يجب عليه نحو الآخر ، هو
السعادة ، التي ما وراءها سعادة في هذه الحياة .

فعلبك ، أثبها الناسي ، بالقيام بالواجب ، فإنه روح الروح ،
وسر العبران ، ورأس الأخلاق

أنصف الناس من نفسك ، ينصفوك من أنفسهم .

وقم بالواجب عليك نحو غيرك ، يقيم بالواجب عليه نحوك



(١) شد الازر : كناية عن التقوية . والازر : الطهر والقوة

(١) الثقة .

لو لا الثِّقَّةُ لَعَاشَ النَّاسُ دَهْرَهُمْ فِي الْقَلَقِ وَالْخَوْفِ .

وَفَقَدُ الثِّقَّةِ مَقْدَانُ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ .

فَهِيَ رُوحُ الْأَعْمَالِ ، وَرَبِّحَانُهُ ^(٢) الْأَمْالُ .

إِنْ ضَعُفَتِ الثِّقَّةُ فِي النَّفْسِ كَانَ الْإِنْسَانُ نَحْوَ أَخِيهِ الْإِنْسَانِ وَحَشًا ضَارِيًا ^(٣) ؛ يَتَكَبَّرُ لِرُؤْيَيْهِ ، وَيَتَعَفَّرُ ^(٤) لِمُقَاوَمَتِهِ . وَلَا يَأْتِيهِ عَلَى مَالٍ ، وَلَا يَرْكَنُ إِلَيْهِ فِي حَالٍ .

التِّجَارَةُ مَدَارُ الْحَرَكَةِ الْأَقْتَصَادِيَّةِ ، وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى تَبَادُلِ الثِّقَّةِ . وَلَوْلَاهَا لَتَكَمَدَتِ الْأَمْوَالُ ، وَوَقَفَ دَوْلَابُ الْأَعْمَالِ . وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ شَقَاءُ الْحَيَاةِ ، وَضِيقُ دَائِرَةِ الرَّجَاءِ ^(٥) . وَأَيُّ عَاقِلٍ يُقَدِّمُ عَلَى تَسْلِيمِ أَمْوَالِهِ إِلَى مَنْ لَا ثِقَّةَ لَهُ بِهِ إِنْ هَذَا الضَّرْبُ ^(٦) مِنَ الْجُنُونِ عَظِيمٌ !

وَكَمَا أَنَّ فَقْدَ الثِّقَّةِ فِي الْأُمُورِ الْمَادِيَّةِ دَاعِيَةٌ أَنْحِلَالُهَا وَفَسَادُهَا ، فَكَذَلِكَ هُوَ فِي الْأُمُورِ الْمَعْنَوِيَّةِ

إِذَا صَادَقْتَ إِنْسَانًا فَوَجَدْتَ أَنَّ لَا ثِقَّةَ لَكَ بِصِدْقَتِهِ - لِأَنَّهُ يَبِيدُكَ

(١) الثقة : الائتمان . وثق به يثق : أثمنه

(٢) الربحانة : واحدة الربحان وهو بنت طبيب الرائحة

(٣) ضارياً : معترساً

(٤) يتعففز : ينهياً لموثوب

(٥) الرجاء : الأمل

(٦) الضرب : النوع ، وجه ، صروب

بأسكلة أو ما هو أحقر منها ؛ أو يأكل لحمة^(١) مع من يراه ؛ يا كنه ؛
أو لا يدفع عنك يظهر الغيب ما يؤججه إليك من السوء ، بل يجن عن
القيام بنصرتك ؛ أو يذل الجهد في استنباط الحيل ليختلس أموالك ،
أو يطلع على أسرارك ، ثم يفشيها بين الناس - فإراك لا تقيم على
صداقته ، ولا تركن لحلب صخبته^(٢) . وإن بقيت محكما حبل
المودة فانت غر^(٣) جهول^(٤) ، أو حبان ضعيف الإرادة

الغاش في عمله يبعث ثقة الناس به . فلا يفعلون على تجارتهم ، ولا
يحفلون مصانعتهم ؛ ولا يأتهون^(٥) لعمل من أعماله .

المخادع والمرائي والمنايق والكاذب والطامع والخائن
والأناني ، كل أولئك منقور^(٦) منه ، منشي^(٧) عنه . وما ذلك إلا
لفقد الثقة به من النفوس

فالمخادع يريدك التكرره من حيث لا تعلم ؛ وهو يظهر
لك الحب وإرادة الخير . فمتي علمت بحقه^(٨) ومكره ففرت
منه إضعف الثقة به .

والمرائي يريدك خلاف ما هو عليه : يكون فاسقا سافلا ،
فيريك أنه صالح علي . ويكرن دينيا ساقط الهمة ؛ ويريك أنه

(١) يأكل لحمة : يفتاك

(٢) صخبه حلب : غرارة لا فائدة منها ، كما قالوا : برق حلب للدي
لا مطر وراءه

(٣) الغر : من لم يجرب الأمور

(٤) لا يفعلون : لا يشئون ولا يلتفتون . ومثله لا يأجرون

(٥) منشي عنه : ممود عنه

(٦) الختل : الخداع والمكر

شريف النفس ناهض العزيمه ويكون آكلًا أموال الناس بالباطل ؛
فإيريك أنه أمين على ما يُستودعُه من مال . ويكون ويكون ؛ فإيريك
أنه على خلاف ما يكون . ومثي عرفت ما هو منظور عليه من الأخلاق
السَّامِلة ، لفظُة لفظُة النِّوَاة ^(١) ؛ لأنَّك لا تتيقُّ به .

والشُّنَافِقُ كالمُرَائِي في أنَّ كلاً منهما يُبْطِنُ خلافَ ما يُظْهَرُ . إلَّا
أنَّ خاتمة أسفل ؛ لأنَّه لا يكون قاصراً على الشُّنَافِقِ والشُّنَافِقِ له .
فالمُرَائِي يُرِيك ما يُرِيك لِتَبْيِيلٍ إليه وتعتدُّ فيه الاستقامة . والشُّنَافِقُ
يُسْتَرُّ اعتقاده الدينيُّ أو الاجتماعيُّ أو السياسيُّ ؛ ثمَّ هو يُصَرِّحُ
لأصحاب المذاهب المختلفة والمشارب المتباينة ^(٢) أنَّه معهم ، وأنَّ
عقيدته كعقيدتهم . ورُبَّما كان لا يعتدُّ عقيدة أحدٍ منهم وقد يبيِّل
إلى شرب ، وهو يعلم أنَّ أهله في الضلال السَّين . فيطري ^(٣) أصوله
وفروعه ، ويجعلُ تبعيه في أعلى عليين ^(٤) . وما ذلك إلَّا لمنفعة مادية
تجعلُه مساوئ الحقيبة ^(٥) . ومثي عرفت أحد ما يفتاق طرحة الناس أرضاً ،
لفقدانهم ثقتهم به .

(١) لفظه : طرحته . والنوَاة : نزرة التمر ونحوه

(٢) المتباينة : المختلفة

(٣) بطري أصوله : يبالغ في مدحها . والاطراء : المبالغة في المدح ، أو الاتيان
بأقصى ما عند المادح منه ويقال : أطراه بطرته ايضاً

(٤) أعلى عليين : أعلى المراتب . وعليون في الاصل : اسم لأعلى الجنة

(٥) الحقيبة : خريطة يطلقها المسافر في الرحل للراد وغيره

والكاذب ، إما أن يكذبَ لحرف مكروه ، أو رجاء محبوب .
وفي كلتا الحالتين يكون كذبه داعياً لعدم الثقة بقوله ، وسبباً لاعتقاد
الكذب فيه ، وإن كان صادقاً

والطامع يسمى أن ينال فوق ما يستحق ، ويجهتد ليقتطع لنفسه
حق غيره . فهو غير مأمون على حق ، ولا مكره كون إليه في أمر . ومن
كان كذلك فأتى للناس أن تثق به !

وأما الخائن فقدَمُ الثقة به أمرٌ واضح . وهو فيه أكد منه في
غيره ، وأدعى للنفرة منه . لأنَّ الخيانة هي مجموع الخداع والرياء
والتفاق والكذب والطمع . هذه هي الخيانة الكبرى ، وهي المرادة
عند الإطلاق . وكل واحد من ذلك المجموع خيانة ، لأن من
خادعك أو راءاك أو تافق لك أو كذب عليك أو طمع في حقك ،
فقد خانك وأراك غير الحق .

والأناني - وهو من لا يرى غير نفسه - يدعوه غروره^(١)
إلى التكلم عن نفسه بأشياء لا تنطبق على الواقع وكل ذي غرور
معروف بالسبالة والحيثان^(٢) عن منهج^(٣) الصواب إذا قال عن نفسه
شيئاً . فهو لذلك يكون غير موثوق به ، ويكون كلاً غير واقع.
موقع القول .

ألا إن مدار الثقة على أفراد الأمة : وإن كان مبلغهم من الصدق

(١) الغرور : أن يرى الإنسان في نفسه من الفضائل ما ليس فيها

(٢) الحيثان : الميل والمدول . المنهج : الطريق الواضح

وشرف النفس عظيماً ، كانت الثقة فيما بينهم عظيمة . وإن ضُحِقت تلك
الإِخلال^(١) الفاضلة ضُحِقت الثقة ، والتَّوى^(٢) نظام الأعمال ، وكان من
وراء ذلك القضاء على الطمأنينة وسعادة الأمة .

الثقة المتبادلة 'عروة' تُعَلِّقُ اليها الروابط الاجتماعية والاقتصادية
والسياسية . فهي ، كما تكون بين الأفراد ، تكون بين الجماعات .
وكما تكون بين الجماعات تكون بين الأمم والدول^(٣) . وبإِخلالها
تتخلُّ تلك الروابط ، وتتخلُّ أُنظُم^(٤) الاجتماع .

تَعَوَّدُوا ، مشرِّ الناسنين ، صدق القول والعمل ، وألزموا
أنفسكم الإِباء^(٥) وإيفاء الوعد ، تُكُنْ الثقة بكم طَوْعَ يَسِينِكُمْ .
ومتى نلثم ثقة الناس بكم ، كنتم من المُنَجِّين . وإياكم أن تُضْمِرُوها ،
وإِنَّكُمْ ناشئة تعيشون .

(١) الإِخلال . الخصال . والمرد حلة ، فتع الخاء .

(٢) التوى : عسر وتعوج .

(٣) الدول : كسر الدال وفتح الواو : جمع دولة ، فتع فسكون . ومعناها
السياسي معروف . وأصلها دولة الحرب ، وهو أن تدال إحدى العتبتين على الأخرى .
يقال : كانت لنا عليهم الدولة . وأما الدول ، صم ففتح ، فهي جمع دولة ، ضم
فسكون ، ومعناها ما يتداول بين الناس ، يكون لهؤلاء تارة ولهؤلاء تارة أخرى

(٤) الأنظُم : جمع نظام

(٥) الإِباء : الامتناع عما يعيب

الحسود

كِبَارُ النَّفْسِ لَا يَحْسُدُونَ ؛ لِأَنَّ الْحَسَدَ مِنْ صَغَرِ النَّفْسِ ، وَضَعْفِ
الْإِرَادَةِ ، وَلَوْثُمِ الطَّنَعِ . وَالْعَظِيمُ الْأَيُّْ مِنْ بَعْدَتِ الْمَسَاوِفِ ^(١) بَيْتُهُ
وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْوَاضِعَةِ .

مِنَ الْكَلِمَاتِ السَّائِرَةِ : « الْحُسُودُ لَا يُسُودُ » . وَهِيَ كَلِمَةٌ
- أَوْ قَوْلَانِ - عَظِيمَةٌ ، تَتَضَمَّنُ مَعَانِي كَبِيرَةً . وَهِيَ إِنْ صَغُرَ لَفْظُهَا ،
فَقَدْ كُتِرَ مَعْنَاهَا ، وَشُرُفَ فَخْرَاهَا .

الْحُسُودُ يَكُونُ ضَيْقَ الْخَلْقِ ، مُنْقِصَ الصَّدْرِ ، مُضْطَرِبَ الْفِكْرِ .
إِنْ رَأَى ذَا نِعْمَةٍ ، أَوْ شَاهِدَ أَحَدًا نَالَ فِي النَّاسِ مَقَامًا رَفِيعًا هُوَ أَهْلُهُ ،
وَدَّ أَوْ تَحَوَّلَ تِلْكَ النِّعْمَةُ إِلَيْهِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ التَّقَامُ طَوْعَ يَدَيْهِ ،
وَإِنْ نَالَ الشَّقَاءَ مِنْ أَصْعَادِهَا مَنَالَهُ .

الَّتَحْتِي - كَمَا يَقُولُونَ - رَأْسُ مَالِ الْمُفَاسِرِ . وَأَنْتَى لَتَمَنَّ خَلَا مِنْ
الْإِرَادَةِ وَعِزَّةِ النَّفْسِ وَكَرَمِ الطَّنَعِ ، أَنْ يَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْدُودَ ، أَوْ يَصِلَ
إِلَى نِعْمَةِ الْحُسُودِ . فَهُوَ بِذَلِكَ التَّمَنِّيِ السَّافِلِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَوَّلَ
إِلَيْهِ نِعْمَةٌ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَى عَمْدِهِ ، وَلَا أَنْ يَغْتَنَّبَ مَقَامًا آخَرَ ، فَيُوسِدَ ^(٢)
إِلَيْهِ . بَلْ يَبْقَى - كَمَا كَانَ - قَلِيلَ النِّعْمَةِ ، سَافِلَ الْمَقَامِ ، دَانِي النَّفْسِ ،
وَرَضِيعَ الْقَدَرِ . وَهَلْ يُمَكِّنُ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ أَنْ يَنْقِصَ عَلَى نَاصِيَةِ
السُّوْدَدِ ^(٣) ، أَوْ يَحْوِلَ فِي مَيْدَانِ الشَّرَفِ ؟ لَا ، وَرَبَّ الْكَلِمَةِ ،

(١) الْأَيُّْ : الْمُتَمَعُّعُ بِمَا يَجِبُ . الْمَسَاوِفُ : جَمْعُ مَسَافَةٍ

(٢) يُوَسِدُ : يَسْتَدِ

(٣) النَّاصِيَةُ : مُقَدِّمُ الرَّأْسِ . وَيُرَادُ بِالْقَبْصِ عَلَى نَاصِيَةِ الْأَمْرِ التَّحَكُّنُ مِنْهُ .
السُّوْدَدُ : الشَّرَفُ

فإنه يتلك الأخلق لا يسود ، ولو مكف على حسده أبد الدهر .
 أمّا الكبير النفس ، فهو إن تصرّ في غيّه بأمر يشي عليه به ، أو
 رآه في منزلة يغبط^(١) عليها ، فلا يجول في وهبه أن يحسده على
 نعمته ، أو يحطّ من منزلته . بل يسعى كلّ السعي لينال مثل منزلته ،
 ويرقى مثل رقيته . فإن زاد فيه الإباء ، فلا يرضى لنفسه إلا بما فوق
 ذلك المقام ، ولا يختار لها إلا أرضى من تلك النعمة .

وضاة النفس تدفع الإنسان الى أن يتشّى زوال النعمة عن غيره
 لتكون له . وإبارها يحفز^(٢) الى العمل ليفور بالحسنى ، ويأبى عليه
 أن يريد بغيره الشؤى ليكون له الخير فالفرق بين الخلقين عظيم .

وقد علمت بما شرحناه معنى قولهم : « الحسود لا يسود » ؛ لأن من
 أخلاق الحسود ضعف الإرادة ، وصغر النفس ، والحبن عن الإقدام على
 عمل السادة . وأحرر بين كان كذلك أن لا يكون سيّداً . فالسيادة
 وهذه الأخلق على طرفي تقيض .

عجيب والله أن يتشّى التمر ما لا يكون إلا بجِدِّ وعمل - وهو
 كسولٌ خامل مهمل - وأن يرجو ما لا يكسبه إلا الحسرة ، ولا يعود
 عليه إلا بانقراض الصدر . وهذه صفة الحاسدين . فأحذر ، أيها
 الناسي ، أن تكون من الجاهلين .

ربما تبلغ نار الحسد بالحاسد حدّاً يدفعه الى إيذاء محسوده ،
 والسعي في ضرره ، وبذل الجهد لإيصال ضرر وب الشر إليه .

(١) القبطه ان تشي ان يكون لك من المحد والغنى وبحوها مثل ما لفورك
 مع بقاء نعمته عليه . اما الحسد فهو تشي زوال النعمة عن المحسود لتكون للحاسد
 (٢) يحفزه : يدفعه

وإنما يعمل ذلك ثأراً لنفسه الوضيعة ، ظاناً أن هذا العمل يُطْفِئ جمره طبعه اللئيم .

ومتى بلغ الحسد بالحسد هذا السبيل كان وحشاً ضارياً ، وأفعى في أنيابها السمُّ نافع^(١) . وكثيراً ما يعود الضرر عليه ، فيموت بغيظه ، ويحرق بنار حقدته .

إلا إن الحسد كان مياً مضي أسيراً أدوائنا^(٢) ، التي قضت على محمدنا ومدنيتنا . وأراه اليوم أفتك وباء فاش في مجتمعاتنا . ولا ترى أحداً يقوم بما فيه صلاح للبلاد ، ومنفعة للأمة ، إلا وجدت إزاءه من المقاومين الجهم الغدير^(٣) ، حسداً من عند أنفسهم ، وبقياً على الحق فإن لم تشرك هذا الطبع اللئيم ، فلا رجاء للغير ، ولا سبيل إلى السعادة .

تجنب ، أيها الناسي ، الحسد ؛ فإنه من خلق الأدياء ، وصفة الهملاء . فإن نصرت بقائم بالحق فأعضده^(٤) ، ويترأه السبيل . وإن رأيت نعمة أسبغها^(٥) الله على عبد من عباده ، فأسع إلى مثلها بقلب طاهر ووجدان نقي ؛ فإنك تزلها بإذن الله .

وإياك أن يحميك الحسد على مناوآته^(٦) ؛ فإنك لا تنال منه ما تريد . بل رتاً وقعت في حائل^(٧) حسدك . وقد قيل :
« لله در الحسد ما أعد له أبداً مصاحبه فقتله »

(١) الأفعى : الحية العظيمة نافع : مجتمع ثبات . وسم نافع : نال قاتل

(٢) الادواء : جمع داء

(٣) الجهم العير . العدد الكثير

(٤) أعضده : أعنه وانصره . يقال : عضده إذا نصره وأعانه . ولا يقال عضده

بتشديد الصاد هذا المعنى

(٥) أسبغها : أنعمها

(٦) المناوأة : المعاداة والمعاكسة

(٧) الحائل : المصائد . والمورد حباله . ويراد بها المكيدة كما هي هنا

التعاون

كُنْ عَوْنًا لغيرك ، يَكُنْ غيرُكَ عَوْنًا لكَ . وأحبب الخيرَ له ، يُحببِ الخيرَ لك . فالتعاونُ من الأمور التي يَتَشَادَّهَا النَّاسُ . وَقُلْ مَنْ لَا يُرِيدُ لَكَ السَّعَادَةَ . وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى إِعَانَتِكَ ، إِذَا عَرَفَ مِنْكَ أَنَّكَ تَوَدُّ لَهُ ذَلِكَ ، وَتُسْرِعُ لِتَعُونَتِهِ إِنْ مَسَّتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا . اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ كَانَ مِمَّنْ فَسَدَتْ أَخْلَاقُهُمْ ، وَسَفَلَتْ تَرْبِيَّتُهُمْ . فَكَانَ مِمَّنْ يُغْضُونَ ^(١) عَنْ مُقَابَلَةِ الْمُجْسِنِ بِالْإِحْسَانِ ، وَلَا يَمْدُدُونَ إِلَيْهِ يَدَ الْمُسَاعَدَةِ ، وَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ بِطَرَفِ الْمُرُوءَةِ ^(٢) .

وكثيراً ما يدفعُ اللُّؤْمُ بهذا الصِّنفِ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَنْ يَجْزُوا مِنَ الْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ، وَيَسْتَدْلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ . وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ مِمَّنْ صَدَقَ عَلَيْهِ الْأَثَرُ : « أَتَقَرَّ شَرًّا مِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ »

أَقْلُ سَرَائِبِ التَّعَاوُنِ أَنْ تُعِينَ غَيْرَكَ حِرْصًا عَلَى أَنْ تُعَانَ ، مَتَى أَحْتَبَجْتَ إِلَى الْمَعُونَةِ . وَأَكْمَلُ تِلْكَ السَّرَائِبِ أَنْ تَنْدَفِعَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، وَأَنْتَ غَيْرُ آمِلٍ مِنْهُ فَائِدَةً ، وَلَا رَاجٍ مِنْهُ عَائِدَةً ^(٣) . بَلْ إِذَا لَكَ تُقَدِّمُ لِأَنَّهُ غَضِيلَةٌ فِي نَفْسِهِ ، وَأَثَرٌ صَالِحٌ يَحْتَذِرِي النَّاسَ مِثَالَهُ ^(٤) ، لِتَشْمُوَ رُوحُ

(١) اعرض عن الأمر وتغاضى عنه : تغافل عنه

(٢) الطرف : العين . والمرودة : النخوة وكمال الرحولية

(٣) العائدة : (الفائدة تعود على الإنسان

(٤) يحتذون مثاله : يقتدون به ويصنعون مثله

التَّعَاوُنَ بَيْنَ الْأُمَمَةِ . فَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ نُشُورِهَا أَجْتِمَاعُ الْقُلُوبِ ، وَاتِّتِلَافُ
المَجْمُوعِ ، وَاتِّعَادُ الْأَفْكَارِ ، وَتَقَارُبُ الْمَيُولِ .

إِنَّ مَنْ تُحْسِنُ إِلَيْهِ ، تَكُونُ قَدْ نَقَشَتْ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةٌ لَا تَمْحُوهَا
إِلَّا الْإِسَاءَةُ . وَالكَرِيمُ لَا يُسِيءُ بَعْدَ الْإِحْسَانِ .

وإن أحسنتَ الى الأُمَّةِ كُلِّهَا ، فَقَدْ أَقَمْتَ فِي كُلِّ فُرَادٍ مِنْ
أَفْعَدَةِ أَبْنَائِهَا تِمْنَالاً مِنَ الْحَقَّةِ ^(١) ، وَمِحْرَاباً ^(٢) مِنَ الْمَحَبَّةِ ، يَبْقِيَانِ
مَا بَقِيََتِ الْأُمَّةُ .

أَفْرَادُ الْأُمَّةِ يَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْآخَرِ . فَإِنْ سَلَكَوا
سَبِيلَ التَّعَاوُنِ ، وَنَصَرَ الْقَوِيُّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ ، وَخَفَّفَ الْغَنِيُّ آلَامَ الْفَقِيرِ ،
وَعَلَّمَ الْعَالِمُ الْجَاهِلَ ، وَأَرْشَدَ الْمُهْتَدِي الضَّالَّ ، وَأَحَبَّ كُلُّ فَرْدٍ غَيْرَهُ
مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ ، كَانَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ سَعَادَةُ الْمَجْمُوعِ ، وَنُهُوضُ الْأُمَّةِ
مِنْ عَشْرَةِ التَّخَاذُلِ ، وَتَنْبُهٌ مِنْ فِرَاشِ الْغَفْلَةِ ، وَبَعْثٌ مِنْ مَرَقَدِ ^(٣)
الْخَمُولِ .

وليس التَّعَاوُنُ قَاصِراً عَلَى الْأُمُورِ الْمَادِّيَّةِ فَحَسَبُ ^(٤) ، بَلْ هُوَ عَامٌّ
شَامِلٌ لِلْأُمُورِ الْمَعْنَوِيَّةِ أَيْضاً . وَهُوَ فِيهَا آكِدٌ مِنْهُ فِي غَيْرِهَا .

(١) المِلَّةُ : المَحَبَّةُ

(٢) المِحْرَابُ : الْغُرْفَةُ ، وَصَدْرُ الْمَجْلِسِ ، وَصَدْرُ الْبَيْتِ ، وَأَكْرَمُ شَيْءٍ فِيهِ .
وَمِنْهُ مِحْرَابُ الْمَسْجِدِ وَهُوَ مَقَامُ الْإِمَامِ فِيهِ

(٣) الْمَرَقَدُ : مَكَانُ الرُّقُودِ وَهُوَ النَّوْمُ

(٤) حَسَبُ : كَافٌ . يُقَالُ : فُلَانٌ صَدِيقِي فَحَسَبُ ، أَيِ يَكْفِينِي عَنْ غَيْرِهِ .
وَالْفَاءُ فِي فَحَسَبُ زَائِدَةٌ لِتَرْبِيعِ اللَّفْظِ

إن رأيت حاثراً في أمره فأعنه بشاقب فكرك ^(١) ، وأوضح له طريق رُشدِهِ .

وإن وجدت محزوناً فخفف عنه حزنه بما تلقيه عليه من دُرُوسِ التَّسْلِيَةِ ، وما تُروِّحُ به الهمَّ عنه من كلماتِ التَّفْرِيجِ ، حتى تُسَرِّي عنه ما أَلَمَّ ^(٢) به من همٍّ وحزنٍ .

وإذا أَلَيْتَ ^(٣) حائداً عن سبيل الهدى ، سالكاً طريق الرَّدَى ، تأثماً في مفاوِزِ ^(٤) العَمَى ، فأبذل الجهدَ لإرشاده يَلِينُ الكلامَ والمَوْعِظَةَ الحَسَنَةَ والمعروفَ من القول ، حتى تحمِلَهُ على سلوكِ الصِّراطِ ^(٥) المُسْتَقِيمِ ، والتَّجَمُّلِ بِالْخُلُقِ الْكَرِيمِ .

على هذا دَرَجَ ^(٦) السَّائِفُ الصَّالِحُ ، وفي سُنَّةِ ^(٧) التَّعَاوُنِ الْمَادِّيِّ والمعنويِّ قد سَامَكُوا . وما ضَرَرْنَا وَضَرَّ الْأُمَمَ قَبَائِلَنَا إِلَّا إِهْمَالُ هَذَا الرُّكْنِ الْأَجْتَمَاعِيِّ الرَّكِينِ ^(٨) . فَقَدْ اسْتَبَدَلُوا بِهِ قُلُوباً أَصْلَبَ مِنْ الْجِلْدِ ^(٩) ، وَأَخْلَقُوا مَا لَا نَحْطَا بِهَا قَرَارَ . حتى صار أحدُنا الآخرَ

(١) الفكر الثاقب : الوقار المشتعل

(٢) سرى عنه الهم : فرجه عنه . ألم به : تزل به

(٣) أليت : وجدت

(٤) المفاوِز : جمع مفازة . وهي الفجر الخالي

(٥) الصراط : الطريق .

(٦) درج : مشى

(٧) السنة : الطريق

(٨) الركين : القوي

(٩) الجلد : الصخر

عُثْرَبًا لاسعة ، وأَفْعَى لادغة ، وما بهذا أَمَرْنَا ، ولا لِمِثْلِ ذَاكَ خُلِقْنَا .
لم نُخْلَقْ ، أَثِيهَا النَّشْءُ ، إِلَّا لِنَكُونَ مُتَعَاوِنِينَ عَلَى دَفْعِ مَا يُصِيبُنَا
مِنَ الشَّقَاءِ ، مُتَسَانِدِينَ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ ^(١) ، عَامِلِينَ عَلَى نَحْوِ مَا يَتَزَلُّ
بِالْأُتَمَةِ مِنَ اللَّأْوَاءِ ^(٢) .

إِنَّ الْأُتَمَةَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى الْمَعُونَةِ ، فَمَدُّوا إِلَيْهَا أَيْدِيَكُمْ .
هِيَ جَاهِلَةٌ ، فَأَعِينُوهَا بِالْعِلْمِ .
هِيَ فَاسِدَةٌ ، فَأَعِينُوهَا بِالْإِصْلَاحِ .
هِيَ فَقِيرَةٌ ، فَأَعِينُوهَا بِبَذْلِ الْمَالِ ، انْفَتَحَ بِهِ الْمَدَارِسُ ، وَتُنَشِئُ
الْمَعَامِلَ وَالْمَصَانِعَ .
فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ ، كُنْتُمْ أَمْنَاءَهَا السَّارِينَ ^(٣) ، وَرَجَاهَا الْعَامِلِينَ .
فَتَعَاوَنُوا عَلَى ذَلِكَ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَعَاوِنِينَ .



(١) متساندين : متعاونين يسند كل واحد الآخر . السراء : الرخاء .
الضراء : الشدة

(٢) اللاؤاء : الشدة يكون منها الضرر

(٣) البار : المحسن

التقريظ^(١) والانتقاد

رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُسْرِثُهُمُ الْمَدْحُ ، وَإِنْ كَانَ بِالْبَاطِلِ ، وَيُسُوءُهُمُ
الْإِتْقَادُ ، وَإِنْ تَجَسَّمَ فِيهِ الْحَقُّ . وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ غُرُورِ النَّفْسِ
وَوَاعَاهَا بِالْبَاطِلِ .

الْمَغْرُورُ يُطَرِّبُهُ التَّقْرِيزُ ، وَيُوتِنُهُ^(٢) الْمَدْحُ ، فَكَأَنَّ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ
رَاحٌ^(٣) ، مَتَى خَاطَتْ جَوْفَهُ ظَنُّ أَنَّهُ مَلَكَ الْبَسِيطَةِ وَمِنْ عَلَيْهَا . وَمَا
يَسْتَحِقُّ - لَوْ أَنْصَفَهُ مُقَرَّرُ ظُهُ - عِزَّ الصَّفْعِ وَالْقَضْعِ^(٤) . وَإِنْ أُنْتَقِدَ
عَلَيْهِ أَحَدٌ عَمَلُهُ ، وَأَبَانَ لَهُ طَرِيقَ الرُّشْدِ فِيهِ ، عَبَسَ وَبَسَرَ^(٥) ، وَوَلَّى
وَأَسْتَكْبَرَ ، وَأَسْتَشَاطَ عَضْبًا وَزَمْجَرَ^(٦) .

أَمَّا الْعَاقِلُ الْخَيْرُ ، فَلَا يُسْرِثُهُ مِنْ يَبْدُحِهِ ، لِأَنَّ الْمُقَرِّظَ
لَا يَبْدُكُرُ إِلَّا حَسَنَاتِهِ ، وَيَطْوِي كَشْعًا^(٧) عَنْ ذِكْرِ سَيِّئَاتِهِ . وَالْمُرءِ
أَدْرِى عَالَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، فَلَا يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى إِثْبَاتٍ . وَإِنَّمَا يُلَذِّذُهُ^(٨)

(١) التقريظ : المدح في حياة المدوح بحق أو باطل

(٢) يوتنه : يجعله يتأمله

(٣) الراح : الخمر

(٤) الصفع . الصرب على القفا يجمع الكف . القصع الضرب على الرأس

يبسط الكف

(٥) بسر : قطب وجهه وتكره

(٦) استشاط : التهب واحترق . زجر : أكثر الصخب والصياح

(٧) طوى عن الأمر كشعاً : تركه وأهمله

(٨) يلذذه : يجعله يلذ

أَنْ يَرَى مِنْ يُقَابِلُهُ بِالْإِنْتِقَادِ الصَّحِيحِ . لِأَنَّ الْمُنْتَقِدَ يُظْهِرُ لَهُ عِيَوَدَهُ ،
وَيُوضِّحُ حَطَأَهُ ، وَيَنْشُرُ مَا طَوِيَ مِنْ زَلَّاتِهِ ^(١) فَمَتَى عَلِمَتْهَا أَحْتَشَبَهَا ،
وَبَاعَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا . فَيُظْهِرُ بِذَلِكَ مَنْ وَضُرَّ ^(٢) الْعُيُوبُ ، وَيَنْتَقِي
مَنْ جَرَأَتْ ^(٣) السَّيِّئَاتُ . وَصَدِيقُكَ مِنْ صَدَقَكَ ، لَا مِنْ صَدَّقَكَ

لَوْ لَا الْإِنْتِقَادُ أَظَلَّ النَّاسُ فِي الْغُرُورِ سَادِرِينَ ^(٤) ، وَالْإِثَامِ مُرْتَكِبِينَ ،
وَعَنِ الْحَقِّ ضَالِّينَ ، وَفِي كَوْنِهِمْ هَوَى النَّفْسِ كَارِعِينَ . وَهُوَ الْمِنْهَاجُ ^(٥)
الْأَقْوَمُ ، وَالِدَّلِيلُ الْأَقْوَى . وَبِهِ تَتَمَحَّصُ ^(٦) الْحَقَائِقُ ، وَتُظْهِرُ
الْفَضَائِلَ ، وَتُخْفِي الْأَبَاطِيلَ ، وَتَعُشُّو ^(٧) عُيُوبُ الْأَضَالِيلِ .

وَمَا مِنْ أُمَّةٍ طَرَحَتْ عَنْهَا رِذَاءَ الْحَهِلِّ ، وَكَسَرَتْ عَنْ عُقُولِهَا قِيُودَ
الْوَهْمِ - فَتَقَدَّمَتْ فِي سَبِيلِ الْعُذْرَانِ ، وَبَانَتْ مِنَ الْمَدَنِيَّةِ أَقْصَى ^(٨)
مَكَانٍ - إِلَّا كَانَ الْإِنْتِقَادُ رَائِدًا ^(٩) وَفَلَاحًا ، وَنَسْمَةً ^(١٠) مُخَاجِحًا . وَمَا
مِنْ قَوْمٍ عَرَفَتْهُمْ حَلَاوَةُ التَّهْرِيطِ ، وَأَسْكَرَتْهُمْ خُمُورَةُ الْمَدِيحِ ، وَحَذَرَتْ
رَهْمَتَهُمْ مَرَافِينَ ^(١١) الثَّنَاءِ ، إِلَّا ضَرَبَهُمُ الدَّهْرُ بِضَرْبَاتِهِ ، وَرَمَاهُمْ
بِنَسْكَبَاتِهِ ^(١٢) .

(١) الرلات : السقطات

(٢) الوصر : الوسج

(٣) الحرائر : الدوب والمبرد حريرة

(٤) السادر : الذي لا يجم ولا يبالي ما صنع . وهو أيضاً المتجبر

(٥) المنهاج : الطريق الواضح

(٦) تتمحص : تنتقى من الاحلاط

(٧) تعشرو العيون : يسوء بصرها

(٨) أقصى : أبعد

(٩) الرائد : الدليل

(١٠) النسمة : هس الروح

(١١) المرافين : جمع مرفين وهو تبيء كالبحج . وهي كلمة افرنجية عرمت حديثاً

(١٢) النكبات : المصائب

والسير في ذلك ، أن الانتقاد يحذر^(١) الحجة فيتعبد المرء عما هو فيه من سوء الحال . ويدفعه الى ميدان العمل ، ليحصد المال^(٢) . فيبذل الجهد ليكون من المتقدمين في صالح الأعمال ، التي تنيله السعادتين ، وتنفعه وأمنه في الحياتين .

أما التثريظ - وأقبحه ما كان في باطل - فهو ينفتح في أنف المدوح الثرور ، ويدخل في يافوخه^(٣) شيطان العظمة والكبرياء . فيظن في نفسه أنه نافع من الكمال السماء ، حتى طال الحوزاء^(٤) . فتضعف همته من كسب الفضائل ، وتفتقر عزيمته عن اقتراح العظام^(٥) . ولا تستر معارفه ومواهبه^(٦) ، إن كانت له علوم وشاغل^(٧) ، ويظل جاهلاً مردولاً ، إن كان خالياً من العلم والفضيلة .

وإن هناك قوماً لا يعملون ، إلا إذا علموا أن الناس يمدحون أعمالهم ، ويقرّظون إقدامهم ونزى قوماً يزيدهم التثريظ همهمة الى همتهم ، وتغاداً في الأمر على نفاذهم فيه ، فلا بأس بالتثريظ عملهم ، والثناء عليهم ، ليزدادوا إقداماً مع إقدامهم

و نحن لم نذم التثريظ مطلقاً . بل دممنا من يريد من غيره أن

(١) يحذر : يدفع ويسوق

(٢) المال : العاقبة والمرجع والمصير

(٣) اليافوخ : الموضع الذي يتحرك من الرأس عندما يكون الانسان طفلاً .

وهو ما تسميه العامة « النافوخ » بالسوء

(٤) الحوزاء : مرج في السماء

(٥) اقتراح العظام : العلية عليها

(٦) المواهب : الطائيا . والمراد هنا الصفات العريضة لاصابة من

الله للسان

(٧) الشاغل : الاحلاق . والمرد مثال بكسر الشين

يُقرّ ظهْرُ بَيِّنَةٍ أَوْ بَاطِلٍ ، وَيُسْوَدُ مِنْهُ أَنْ يَنْتَقِدَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، إِنْ فَعَلَ مَا لَا يُسَكَّتُ عَنْهُ . وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ يُحَمِّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا . وَأُولَئِكَ هُمْ فِي مَجْهَلٍ ^(١) مِنْ سَفَالَةِ الْإِخْلَاقِ ، يَهْلِكُ فِيهِ الْمَغْرُورُونَ . فَمِنْ سَرِّهِ التَّقْرِيطُ فَلَا يَسْرُهُ الْإِنْتِقَادُ . فَالتَّقْرِيطُ إِنْ كَانَ دَاعِيًا لِلْإِقْدَامِ عَلَى الْعَمَلِ الطَّيِّبِ ، فَلَا إِنْتِقَادُ يَرْبَا بِالْإِنْسَانِ إِنْ يَرِدَ مَوَارِدَ الْخَطْلِ ^(٢) ، أَوْ يَسْتَشْطَ فِي مَزَاقِ الزَّلَلِ ^(٣)

وَمَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، إِلَّا ضَرْبٌ ^(٤) مِنْ ضُرُوبِ الْإِنْتِقَادِ . وَلَوْلَاهُمَا أَظَلَّ الْخَاطِلُ الْفَاسِدُ سَادِرًا فِي عُلَوَائِهِ ^(٥) ، نَاشِرًا لِلْفُسُوقِ مِنَ الْحَقِّ ^(٦) كَبِيرَ لَوَائِهِ

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ فِئَةً مِنَ النَّاسِ قَدْ اتَّخَذَتْ الْإِنْتِقَادَ ذَرِيعةً لِلتَّيْلِ مِنْ الْخَلْقِ ^(٧) ، وَحِجَّةً لِلْوَقِيعةِ ^(٨) فِي أَعْرَاضِهِمْ . فَرَأَوْهَا ^(٩) سِهَامَ السَّيَابِ

(١) المجهل : الأرض التي لا يهتدى فيها

(٢) يرأى : يرفع وينهض . الخطل : المنطق الفاسد

(٣) المزالق : الأماكن التي تترلق فيها الأرحل . الرال : الخطأ والاحراف عن الصواب

(٤) الضرب : النوع

(٥) السادر : الذي لا يهتم ولا يبالي بما صنع ، والذاهب عن الشيء ترفعاً عنه الملوأ : الغلو ، وأول الشباب . والسادر في علوائه هو الذي يمشي كما تأمره العسر الأمانة بالسوء غير مهتم بالمواقب

(٦) الفسوق عن الحق : الخروج عنه والعدول عنه

(٧) ذريعة : وسيلة وواسطة ، نال منه نبلاً : سبه وشتمه

(٨) الوقعية : السب والشتم . وقع فيه : سبه وعابه

(٩) ريش السهام : كناية عن التهيوء للرمي

والنُخْش من القول ، ودَمَوْا بها من أرادوا أن يَتَّقِدُوهُ . فتَراهم
لا يَتَرُكُونَ شَادِدَةً من السَّفَاهَةِ والبَذَاءِ ^(١) والهُنْكَر من الكلام إلَّا
وَجْهًا إليه . وما هذا بالانتقاد ؛ وإِنَّمَا هو التَّشْفِي والتَّخْرِيم ^(٢) .
وذلك لَوْثٌ وَرِخْسَةٌ طَبَعٌ يَتَجَانِي ^(٣) عنها أولُو المُرُوءَةِ .

إِنَّ الغَايَةَ من الانتقاد صَرْفُ الْمُنتَقَدِ عَلَيْهِ عَمَّا هُوَ فِيهِ من حِلٍّ أو
خَطَأٍ فَالتَّسَرُّعُ في الانتقاد وَعَدَمُ الرَّفْقِ فِيهِ دَائِمَانِ لِتَعْصِبِهِ لِمَا هُوَ
فِيهِ ، وَإِنْ وَضَحَ لَهُ الْأَمْرُ أَيْمًا وَضُوحٌ . وَقَدْ وَوَدَّ : « من أَمَرَ
بِمَعْرُوفٍ فَلْيَكُنْ أَمْرُهُ بِمَعْرُوفٍ » . فَالتَّقْدِيرُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِأَتِي هِيَ
أَحْسَنُ ؛ لِيَكُونَ من ورائه نَجَاحُ الْقَضْدِ وفَلَاحُ السَّيِّئِ : « لَا تَسْتَوِي
الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ؛ أَدْفَعْ بِأَتِي هِيَ أَحْسَنُ » ، فَإِذَا الَّذِي يَمُنُّكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ^(٤) . وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ؛
وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ .

لَا تَقْرَأُكُمْ ، مَعشَرَ النَّاشِئِينَ ، أَقْوَالُ الْمُحِبِّينَ ^(٥) ، وَلَا كَلِمَاتُ
الْمَقَرَّظِينَ : فَكَثِيرًا مَا يَقُولُونَ عِيرَ الْحَقِّ ، طَمَعًا فِي اكْتِسَابِ قُلُوبِ
الْمُقَرَّظِينَ ، أَوْ فِي دُرَيْهِمَاتٍ تَشْقُطُ من أَيْدِيهِمْ عَلَيْهِمْ .

وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَسْلُكُوا هَذَا الطَّرِيقَ ؛ فَهُوَ يُؤَدِّي إِلَى الْكَذِبِ .

(١) البذاء : التكلم بفحش القول

(٢) التشفي : الانتقام . التخريم : التوبيخ والاعلاط

(٣) يتجاني : يترفع ويتنحى

(٤) الولي : الناصر ، والصديق ، والمحب . الحميم : الصديق كل الصديق

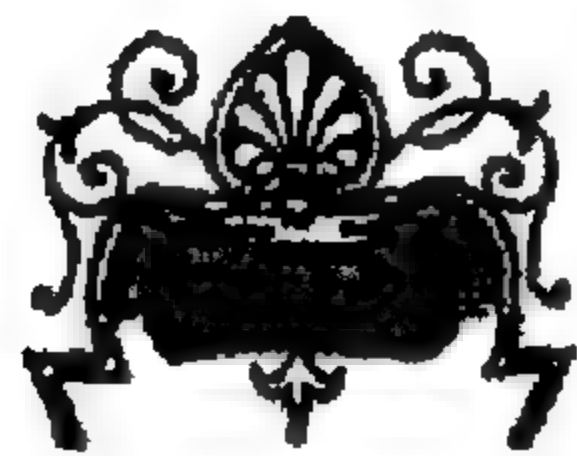
(٥) المحبذ : من يقول لك : حبذا ما تفعل ، يمدح عملك

وما أقيحَ ذنبَ الكاذبين ! وتَمَسَّكُوا بِأَذْيَالِ مَنْ يَنْتَقِدُ عَلَيْكُمْ
أَعْمَالَكُمْ ، وَيُبَيِّنُ حَطَأَكُمْ ، تُرْشِدُوا إِلَى أَقْوَمِ سَبِيلٍ .

وَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنْ غَيْرِكُمْ مَا يُنْتَقَدُ ، فَتَدَرُوا ^(١) خُطُواتِهِ ،
وَأَنْصَحُوا لَهُ بِالْإِقْلَاعِ عَنْ زَلَّاتِهِ ^(٢) ، بِالْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْمَعْرُوفِ
مِنَ الْقَوْلِ .

وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَسْتَعْبِلُوا خُشُونَةَ الْكَلَامِ ؛ فَإِنَّهَا أَوْخَزُ مِنَ السِّهَامِ ^(٣) ،
وَأَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الْحِمَامِ ^(٤) . وَهِيَ مُضَيِّعَةٌ لِلْفَائِدَةِ ، مُنْقِرَةٌ لِلْقُلُوبِ .

بَلْ كَرُونَا مِنْ أَهْلِ اللَّيْنِ وَالرَّفَقِ ، تَنَاوَلُوا مَا تُرِيدُونَ . وَقَدْ قِيلَ :
« الْمَاءُ مَعَ بَرَقَّتِهِ ، يَقْطَعُ الْحَبَرَ مَعَ شِدَّتِهِ » . وَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ نَبِيَّهِ
- هَارُونَ وَمُوسَى - فِي شَأْنِ فِرْعَوْنَ بِقَوْلِهِ : « إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ ؛
إِنَّهُ طَافِيٌّ ^(٥) . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا آيِنًا ؛ أَعْلَهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ^(٦) » .



-
- (١) سَدَدُوا خُطُواتِهِ : ارشَدُوهُ إِلَى السَّدَادِ وَالِاسْتِقَامَةِ
(٢) الْإِقْلَاعُ : الْإِسْتِعَادُ وَالْتِرْكُ . الرَّلَاتُ : الْخَطَبَاتُ
(٣) أَوْخَزُ : أَشَدُّ وَخْزًا . وَالْوَحْزُ : الطَّمْنُ بِالرَّمْحِ وَالْأَبْرَةُ وَنَحْوُهَا .
السَّهَامُ : النَّبَالُ
(٤) وَقْعُ الْحِمَامِ : شِدَّةُ ضَرْبِهِ . وَالْحِمَامُ : السَّيْفُ الْفَاطِعُ
(٥) طَافِيٌّ : جَاوِزُ الْحَدِّ
(٦) يَخْشَى : يَخَافُ

(١) التعصب

تَعَصَّبَ لِجَنَسِكَ وَلُغَتِكَ وَدِينِكَ وَمَذَهَبِكَ الْأَجْتَمَاعِيِّ وَنَحْلَتِكَ^(١) السِّيَاسِيَّةِ ، وَلَا يَسُرُّكَ مِنْ غَيْرِكَ هَذَا التَّعَصُّبُ ، بَلْ دَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ وَمُعْتَقِدَةٍ ، فَلَسْتَ عَلَى أَحَدٍ بِمُسَيِّطِرٍ^(٢) . وَكُلُّ أَحَدٍ مُحَرِّفٌ فِي أَنْ يَدِينَ بِمَا يَشَاءُ ، وَأَنْ يَتَّعَصَّبَ لِمَا يُرِيدُ .

وَبِهَذَا قُضَّتِ الْأَدْيَانُ ، وَحُكِمَتِ الْمَذَاهِبُ الْأَجْتَمَاعِيَّةُ الصَّحِيحَةُ . وَفِي هَذِهِ السَّبِيلِ سَارَ الْمُتَمَدِّدُونَ مِنَ الْأُمَمِ ، كَمَا سَارَ آبَاؤُكَ ، أَتِيهَا النَّاشِئُ ، مِنْ قَبْلِ .

التَّعَصُّبُ شَيْءٌ جَمِيلٌ ، وَمَذْهَبٌ قَوِيمٌ ، وَسُنَّةٌ^(٤) وَاضِحَةٌ ، وَمَنْهَجٌ سَدِيدٌ^(٥) . فَهُوَ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَى الْأُمَّةِ نَفْسَهَا وَجَنَسِيَّتَهَا وَأَخْلَاقَهَا الْفَاضِلَةَ وَعَادَاتِهَا الطَّيِّبَةَ ، وَيَجْعَلُهَا عَلَى أَنْ تَكُونَ شَدِيدَةَ الْبَاسِ^(٦) ، قَوِيَّةَ السَّاعِدِ ، مَنِيعَةً الْجَانِبِ . وَمَتَى فَقَدَتْ هَذَا الْخُلُقَ - خُلُقَ التَّعَصُّبِ الْكَرِيمِ ، بِمَا طَرَأَ عَلَيْهَا مِنْ فَسَادِ التَّرْبِيَةِ - أَضَاعَتْ مُمَيِّزَاتِهَا ،

(١) التعصب : الشدد . تعصب في دينه ولغته : كان شديداً غيوراً مدافعاً عنها . وتعصب لفلان : ومع فلان : مال إليه وانتصر له . وتعصب عليه : قاومه ومال عليه

(٢) المسيطر : المذهب والمقيدة

(٣) المسيطر : الرقيب الحافظ ، والمتسلط على الشيء . ليشراف عليه ويتمهد أحواله ويكتب هله . فكأنه مأخوذ من سطر يسطر سطرًا بمعنى كتب

(٤) السنة : الطريقة

(٥) المنهج : الطريق الواضح . السديد : القويم

(٦) البأس : القوة والشدة

وَحَسِرَتُ قُرَّتُهَا وَبِأَسْمَاءَ فَكَانَتْ مَعَ الْهَالِكِينَ ، وَالذَّاهِبِينَ الْأَوَّابِينَ
وَمَا هَلَاكُهَا إِلَّا مَوْتُ الشُّعُورِ ، وَفَسَادُ الْأَخْلَاقِ ، وَذَهَابُ الْمُنَافَاتِ .
وَإِنَّمَا الْأُتَمُّ الْأَخْلَاقُ .

.....

تَعْصُوكَ لِدِينِكَ يَدْعُو فَيَدَّكَ أَنْ يُحْتَرَمَكَ ، وَعَدَمُ الْأَكْثَرَاتِ لَهُ
يَعْمَلُهُ عَلَى أَنْ لَا يَتَّبِعَ بِكَ (١) .

وَمَعْنَى التَّعَصُّبِ لِلدِّينِ الْقِيَامُ بِفُرُوضِهِ ، وَانْتِهَاجُ سَبِيلِهِ (٢) ، وَاتِّبَاعُ
أَوَامِرِهِ ، وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ ، وَالتَّخَلُّقُ بِالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، الَّتِي يَحْفَظُ (٣)
التَّدِينُ إِلَيْهَا .

وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنْ تُكْرَمَ فَيَدَّكَ ، مَتَى لَيْسَ عَلَى دِينِكَ ، وَتُنْصَبَ
الْحِبَائِلَ (٤) لِلضَّرَرِ بِهِ ، وَتَبْذُلَ الْجُهْدَ لِتُلْحِقَ بِهِ الْأَذَى وَالْمَكْرُوهَ
فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ التَّعَصُّبِ لِلدِّينِ فِي شَيْءٍ . وَإِنَّمَا هُوَ تَعْصٌ لِلْوَحْيَةِ
عَلَى الْمَدْنِيَّةِ ، وَضَرْبٌ مِنْ ضَرْبِ الْمَحَبَّةِ ، لِأَنَّ كُرْهَ الْمُخَالَفَةِ فِي
الدِّينِ ، وَإِلْحَاقَ الْأَذَى بِهِ ، عَمَلٌ مِنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا الْإِتْسَابَ
إِلَيْهِ فَالِدِينُ وَهَذَا الْعَمَلُ عَلَى طَرَفِي تَقْيِصُ (٥) .

أَمَّا مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ مَنْ لَا اخْلَاقَ (٦) لَهُمْ ، مَتَى أَيْسَرُوا الدِّينَ ، قَلْبًا ،
فَهَرُّوْا لَيْسُوا فِي الْعِيْرِ وَلَا فِي التَّنْفِيرِ (٧) . وَمَا لَهُمْ بِحُجَّةٍ عَلَى الدِّينِ بَلَى

(١) أَكْثَرَتْ لَهُ وَعِبَاءُ بِهِ : اِعْتَمَ بِهِ وَمَالَاهُ .

(٢) اِتِّهَاجٌ : سَلُوكٌ . وَالسَّبِيلُ : جَمْعُ سَبِيلٍ وَمِنْ الطَّرِيقِ ، وَالسَّنَةُ فِي الدِّينِ
مَا كَانَتْ دُونَ الْعَرَصِ

(٣) يَحْفَظُ : يَدْفَعُ وَيَسُوقُ

(٤) الْحِبَائِلُ : الْمَكَايِدُ . وَأَصْلُ مَعَاهَا : الْمَصَائِدُ

(٥) عَلَى طَرَفِي تَقْيِصُ : أَيُّهَا مُتَخَالِفَانِ

(٦) الْخِلَاقُ : النَّصِيبُ الْوَاقِفُ مِنَ الْخَيْرِ

(٧) لَيْسُوا فِي الْعِيْرِ وَلَا فِي التَّنْفِيرِ : أَيُّهَا ائِسُّوا عَنْ يَمَأُ جَمْعِ

لَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ^(١) وليس في دين الله شيءٌ يسأَلُونَ .

إِنَّ مِنْ يَدُوعُونَ التَّعَصُّبَ لِلدِّينِ ، أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَا يَعْرِفُونَ
مِنْهُ إِلَّا أَنْ آبَاءَهُمْ كَانُوا بِهِ يَدْرِيثُونَ . فَهُمْ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ مُتَشَدِّيُونَ .
وَمَا هُمْ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا مُقِلَّدُونَ ، يُلْوَكَرْنَ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَا يَفْهَمُونَ ،
وَيَنْتَسِبُونَ إِلَى مَا لَا يَفْقَهُونَ ^(٢) ، وَيُبْغِضُونَ مَنْ لَا يَدِينُ بَدِينِهِمْ
وَيَسْكُرُهُمْ ، مُتَعَدِّينَ أَنَّهُمْ سِثْلُ هَذَا يَنْجُونَ ، وَإِلَى اللَّهِ يَتَقَرَّبُونَ .
الْأَسَاءَ مَا يَزِدُّونَ ^(٣) ، وَقُحَّحَ مَا يَفْعَلُونَ .

وَهُنَاكَ طَائِفَةٌ ، أَيْسَتْ مِنَ الْعَامَّةِ الْخَاطِلَةِ ، وَلَا مِنْ الْخَاصَّةِ الرَّاقِيَةِ ،
تَرْعُمُ التَّعَصُّبَ لِلدِّينِ ؛ وَهِيَ لَا تَقُومُ بِشَعَائِرِهِ ^(٤) ، وَلَا تَتَمَسَّكُ بِسُنَنِهِ
وَفَرَائِضِهِ ، وَتَدْعُو النَّاسَ بِأَسْمِهِ وَرَبِّهَا كَانَتْ جَعْمَةً ^(٥) عَقِيدَتِهَا أَفْرَغُ
مِنْ خَوْفِ الظَّنِّ . وَمَا التَّعَصُّبُ لِلدِّينِ - كَمَا أَسْلَفْنَا - إِلَّا التَّخَلُّقُ
بِأَخْلَاقِهِ ، وَالْقِيَامُ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ ، وَالْعُدَاوَةُ بِمَا يَنْهَى عَنْهُ . فَهُمْ يَغْرُونَ
الْعَامَّةَ ، لِيُفَرِّدُوا رِيعَ قُلُوبِهِمْ ^(٦) . وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ أَيْضًا أَيْسَتْ حُجَّةً عَلَى
الدِّينِ ؛ لِأَنَّهَا تَدْعُو بِأَسْمِهِ رُجَاءَ الْمُنْفَعَةِ الْخَاصَّةِ ، وَتُفَرِّقُ السُّدُجَ ، مِمَّنْ
لَا يَدِينُ بِدِينِهِمْ ، تُفِيئَةُ السَّيْطَرَةِ عَلَى عُقُولِهِمْ ، وَأَمَلًا بِالسُّلْطَةِ عَلَى

(١) الحجة البالغة : الدليل . الذي يحمل على الخوض

(٢) يفقهون : يعلمون ويفهمون

(٣) يزرون . يحملون . والمراد ما يحملون من اثنال هذه الالهال المحالفة .
للدن ، والماضي ودر . والوزر بالكسر : الحمل الثقيل ، والذنب

(٤) شعائر الدين : اعماله التي تقرب الى الله والمورد شعيرة . والشعيرة
ايضاً : العلامة

(٥) حبة عقيدتها : وعادوها . والحبة في الاصل : وعاء السهام

(٦) غرر به : عرضه للهلكة

أرواحهم . واللهُ بَرِيءٌ منها ومن أعمالها .

....

وَتَعْصُوبُكَ لِحَنَسِكَ وَلُغَتِكَ ، يَجْعَلُكَ مَرَّهَوْبٍ ^(١) الْبَاسِ عِنْدَ
غَيْرِكَ ، رَفِيعَ الْمَازِلَةِ لَدَيْهِ ، وَاحْتِقَارَكَ إِثْيَاهَا يَدُوكَ مَسْخُورًا ^(٢) بِكَ
عِنْدَ مَنْ لَا تُجِئُكَ وَإِثْيَاهُ لُغَةٌ ، وَلَا تُضِئُكَ بِجَنَسِيَّةٍ . وَهَذَا أَمْرٌ
وَاضِحٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى بُرْهَانٍ .

وَكَمَا أَنَّ تَفْسِيرَ التَّعْصِبِ الدِّينَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ أَمْرٌ مَذْمُومٌ - كَمَا
عَلِمْتَ - فَكَذَلِكَ تَفْسِيرُهُ ، فِي مَقَامِ الْجَنَسِيَّةِ وَاللُّغَةِ ، بِاحْتِقَارِ لُغَاتِ
النَّاسِ وَحَنَسِيَّاتِهِمْ ، وَإِلْحَاقِ الْأَذَى وَالْمَكْرُوهِ بِهِمْ ، أَمْرٌ لَا يَتَّفِقُ مَعَ
التَّعْصِبِ الْمَحْمُودِ ، وَلَا يَجْعَلِي مَعَ الْحَقِّ فِي مَيْدَانٍ . فَعَلَيْكَ ، أَيُّهَا
النَّاشِي ، أَنْ تَعْتَدِمَ لُغَةَ غَيْرِكَ وَقَوْمِيَّتَهُ ، كَمَا تُحِبُّ مِنْهُ أَنْ يَحْتَدِمَ
مِنْكَ ذَلِكَ

....

وَتَعْصُوبُكَ إِنَّمَا تَرَاهُ حَقًّا - مِنَ الْمَذَاهِبِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْأَجْتِمَاعِيَّةِ
وَمُنَافَضَتُكَ ^(٣) عَنْهُ ، أَمْرٌ يَدْعُوكَ إِلَيْهِ الْوَاجِبُ ، وَيَطْلُبُهُ مِنْكَ الْوَجْدَانُ .
فَنَاضِلٌ عَنِ ذَلِكَ بِالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ ^(٤) ، وَالذَّلِيلِ الْقَاطِعِ ، وَالْحُجَّةِ
الْقَامِعَةِ ^(٥) ، وَالْمُعَادِلَةِ النَّافِعَةِ . وَأَرَبًا ^(٦) بِنَفْسِكَ أَنْ تَرُدَّ مَوَارِدُ

(١) مرهوب : مخوف

(٢) مسخوراً بك : مستهزأ بك

(٣) المناضلة : المداومة والمعاماة

(٤) البرهان : الدليل والحجة . والساطع : اللامع وأصل معنى السطوع :

الارتفاع والانتشار

(٥) القامعة : القاهرة المذالة

(٦) أرباً بنفسك : أرفعها وتردها

الشَّطَطُ^(١) في القول ، وأن تلج^(٢) - للتوصل الى بُغْيَتِكَ - أبوابَ
الفُحْشِ والبذاء^(٣) . فإنَّ لغيرك رأياً يجبُ أن يُحترمَ ، ومذهباً يجبُ
تعزيزه^(٤) ؛ كما تُحبُّ تعزيزَ رأيك واحترامَ مذهبك . فإنَّ استطلعت
أن ترجئه^(٥) عن مذهبه الى مذهبك بألحجةٍ البالغة ، والبرهان الدامغ^(٦)
واللين من القول ، فأفعل . وإلاَّ فدعه وشأنه ، فليست عليه بمسيطر .

واحذر أن تتخذَ تعصبك ذريعة^(٧) للانتقام ؛ فليس هذا من شأن
الكرام . ولا تدعِ الاختلافَ في الرأي ، والتفرُّقَ في الدين أو الجنس
أو اللغة ، ينهشان جسمَ الاجتماع ، ويفريان إهابَ المدنية^(٨) ، ويمزقان
شملَ الإنسانية ؛ خصوصاً إذا كان الاختلافُ معَ أبناءِ الأمةِ الواحدة ،
والوطنِ السياسيِّ الواحد .

فإلى التعصبِ الحميد ، أثبها النَّابِشي ، أدعوك ؛ فأنته رسولُ
السَّعادة ، ويريدُ^(٩) التَّرقِي .

فتعصبَ لِمَا تعتقدُ أنه الحقُّ ، وقمَّسك بدينك وقوميتك وأختك
- على الوجه الذي شرحتهُ لك - تكنُ من الخُفْلجين .

(١) الشطط : مجاوزة الحد

(٢) تلج : تدخل

(٣) الفحش والبذاء : قبيح القول

(٤) تعزيزه : تقويته وتشيده

(٥) رجمه برجمه - بوزن ضربه يضربه . وقد يقال . أرجمه

(٦) الدامغ : القاهر الذي يبطل حجة الخصم . وأصله من الدماغ وهو شج

الرأس حتى تبلغ الشجعة الدماغ

(٧) ذريعة : وسيلة

(٨) يفريان : يشقان ويقطمان . والاهاب : الجلد

(٩) البريد : الرسول

ورثاء الأرض

من أصلح أمراً كان صالحاً لأن يهيئ^(١) عليه ؛ وإن لم يُورثه
إياه آباؤه وأجداده . ومن أفسده أفلت من يده وصار إلى غيره ؛ وإن
كان يده صكوك^(٢) ثبت وراثته إياه ، وشهود عدل يُقرّون
أنه ملكه .

كل ما في الوجود ملك لله يُصرّفه كيف يشاء ، ويصرفه من
شاء إلى من شاء . وقد خلق الله سبحانه مشيئته على وجود أسباب
تدعو إلى ذلك . فمن سعى لهذه الأسباب سعيها ، ودخل السبوت من
أبوابها ، كان أحقّ بوراثة الأمر من لا يصلح له .

الأهم ، على هذه البسيطة ، خدمة لله فيها ، وأنجزه يعتلون
لغيرانها . فمن كان صالحاً لهذه الخدمة أفسح له في الولاية عليها ؛ ومن
أساء انتزعها منه قسراً^(٣)

إذا استخدمت أحداً ليعمل لك شيئاً ، فإنك تُراقبه مُراقبة

(١) جهن : يراقب ويحافظ . والمهيئ : الحافظ الرقيب . وهو من أسماء
الله أيضاً ، لانه قائم حفيظ على خلقه وأعمالهم وارزاقهم وآجالهم
(٢) الصكوك : جمع صك وهو الكتاب ، وكتاب الاقرار بالمال او غيره .
ومن الغريب ان الافرنج اخذوا هذه الكلمة من لغتنا الى لغتهم مصحفة فقالوا
« شك » . ونحن اليوم اخذناها منهم بتصحيحها ، واستعملناها في مصالحنا التجارية
وغيرها . وحبذا لو ترجع الى تراث آبائنا في الاقوال والافعال
(٣) قسراً : قهراً

تامة . فإن رأيتَه قد أحسنَ الخدمةَ أبقيتهُ على عمله ، وإن زادَ في الإحسانَ زدتهُ في الأجر . وإن بصرتَ به قد أساءَ وشوّهَ ما تُريدُ تحسينه ، أنذرتَه باديءَ بداهةٍ ، حتى إذا لم يَبْقَ لك أملٌ في تجويدِ العملِ ، انتزعتَ ما كان بيده من هلاك ، وطرَدته من خدمتك . وتكونُ قد أحسنتَ فيما فعلتَ كلَّ الإحسانِ . وإن تعافلتَ عن إساءته ، أو لم تُدركَ فسادَ صنعه ، كانت عاقبةُ أمرِكَ الخسران ، ونهايةُ مصلحتك الخراب . ولا يرضى بذلك إلا من سيفه نفسه .

الإنسانُ خليفةُ الله في الأرض ؛ واليه رَكَلٌ ^(١) أمرُ عُمرانها وتجويدُها .

فإن أحسنَ السَّيرَ في منارِكها ^(٢) - قدَّ بِرَ شؤونها ، وعَمَرَ أقطارها ، واستخرجَ خيراتها ، وأثارَ كامنَ ^(٣) ثروتها ، وسارَ في مناهج ^(٤) العدلِ فيها ، ونَشَرَ العلمَ الصحيحَ بين سُكَّانِها ، ولم يَجِدْ عن العملِ بالأنظامِ ^(٥) التي سَنَّها الخالقُ سبحانه - كانَ خليفتهُ فيها حقاً ، وظلَّ بيده زمامُ أعمالها .

وإن أساءَ السَّيرةَ ، ولم يُحسِنِ القيامَ على ما أسْتُودعَ ، حلَّ به ما حلَّ بغيره ؛ فصارَ ذليلاً بعدَ العِزِّ ، وضِعاً بعدَ الرِّفعة ، محكوماً بعدَ

(١) وكل : سلم

(٢) مناكب الأرض : نواحيها وجوانبها وطرقها

(٣) اثار : استخرج وأظهر . وأصل معنى الاثارة : التهييج والتحريك .

الكامن : المختبئ .

(٤) المناهج : جمع منهج وهو الطريق الواضح

(٥) الاناظم : جمع نظام

أَنْ كَانَ حَاكِمًا ، فَقَدِيرًا بَعْدَ أَنْ كَانَ غَنِيًّا ، وَأُورَثَ اللَّهُ مَا كَانَ يَبْدُو
غَيْرَهُ ، وَتَوَخَّعَ عَنْهُ لِبَاسَ الْإِمَارَةِ ، وَالْبَسَمُ مِنْ اخْتَارَهُ لَهَا . وَإِلَى ذَلِكَ
الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَأَقْدَمُ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ^(١) مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنْ
الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ » . وَالْمُرَادُ بِالصَّالِحِينَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَنْ
كَانُوا صَالِحِينَ إِمَارَتِهَا ، وَتَجْوِيدِ أَعْمَالِهَا ، وَتَحْسِينِ حَالِ سُكَّانِهَا : يَنْشُرُ
الْعِلْمَ ، وَبَسْطَ لُؤْلُؤِ الْعَدْلِ ، وَالْأَحْتِيَاظَ لِدَفْعِ الْعَدُوِّ ، وَالْأَخْذَ بِيَدِ
الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ ، كَالزَّرَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ وَالتِّجَارَةِ . وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِمْ مَنْ
يُطِيلُونَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ ، وَهُمْ عَنْ اتِّخَاذِ الْأَسْبَابِ لِوَرَاثَةِ الْأَرْضِ
مُجْتَبِدُونَ ^(٢) . فَبِهَذَا أَمْرٌ دُوحِيٌّ مَحْضٌ ^(٣) ، تَعَوُّدٌ مَنَفَعَتُهُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى
الْقَائِمِ بِهِ وَحْدَهُ . وَذَلِكَ أَمْرٌ مَادِّيٌّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْوَسَائِلِ الَّتِي هَدَى
اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَالْأَسْبَابِ الَّتِي مِنْ رَعَايَا ^(٤) حَقِّ رِعَايَتِهَا كَانَ يَبْدُو زِمَامُ
الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .

أَيُّهَا النَّاشِئُونَ ، إِنَّ أَمَّتِكُمْ قَدْ عَرَاها ^(٥) فُسَادٌ فِي أَخْلَاقِهَا صَرَفَهَا
عَنِ الْعَمَلِ النَّافِعِ ، وَصَدَفَهَا ^(٦) عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَجْعَلُهَا صَالِحَةً لِعُمُرَانِ
الْأَرْضِ وَوَرِاثَتِهَا . فَحُلِّ فِيهَا الشَّقَاءُ ، وَتَوَلَّى بِهَا الْبَلَاءُ ، وَأَنَاخَتْ فِيهَا

(١) الزبور : الكتاب المثل على نبي الله داود عليه السلام . والزبور فيه
اللغة : الكتاب

(٢) مجتهدون : ناشئون . والمفرد هاجد

(٣) المحض : الخالص الذي لم يخالطه غيره .

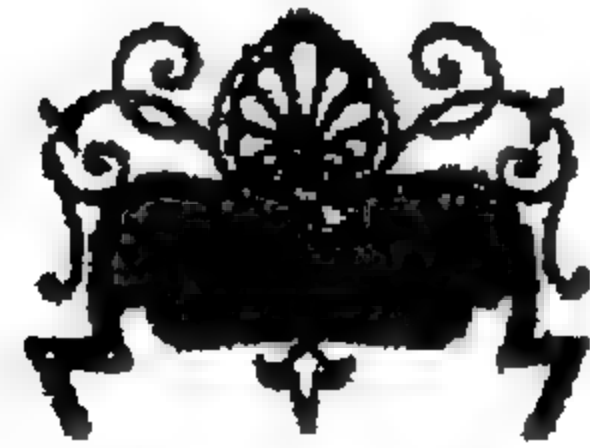
(٤) رعاها : حفظها وتمهدها

(٥) عراها : أصابها

(٦) صدفها : صرفها

اللاؤواء^(١) ، واستحكم فيها الداء . وأنتم مورد سعادتها ،
والمهل^(٢) رجائها ، وتحققو شدتها ، وأطباء أدوائها^(٣) . فأصلحوا من
أمرها ، وسددوا خطواتها^(٤) ، وبشروها في مناهج العمل الصالح ،
حتى تكون للأرض وارثة ، وإمبرانها خادمة ، فتعود إلى سيرتها
الأولى ، وترجع في حافرة مجدها^(٥) السابق . فقد كفاها ما نقصه
العدو من بلادها ، وما أصابها من ضعف أخلاقها ومميزاتها ومقوماتها .

أنتم أنتم ، أيها الثابتون ، نبذوا^(٦) الأمل ، ونجم الهدى ،
وهدف^(٧) الغلا ، وفرض الشئ . فأحسنوا لأمتيكم ، وأبدلوا كل
هتكتكم ، وأوقدوا نار عزيزتكم ، تكن لكم أمة صالحة ، تحيون بها
حياة طيبة ، وتغيا بكم فاهضة عظيمة راقية .



(١) أناخت : تزلت وحلت . اللاؤواء . الشدة

(٢) المهل : المورد

(٣) الادواء : جمع داء

(٤) سددا خطواتها : ارشدوها طريق السداد والصواب

(٥) رجع فلان في حافرة : عاد في الطريق التي جاء فيها

(٦) النبذوا : المصباح

(٧) الهدف : الغرض الذي ينصب ليرمي اليه

الحادث الأول

تنبه للحادث الأول ؛ فإن فيه الصعود أو الهبوط ، والتقدم أو التأخر ، والموت أو الحياة .

رأينا كثيراً لا يأتون^(١) لأول طاري ولا يبالون^(٢) ؛ كأنما هو أمر غير ذي بال^(٣) . ولو علموا أن عواقب الأمور تلحق أوائها ، وتسير سيرتها ، لتنبهوا للحادث الأول ، وبذلوا كل جهد لدفعه ، وتلقوه كما تتلقى الجبال الراسيات طواري النكبات^(٤)

النتائج تتبع المقدمات ساداً وصلاً ، فإذا صلت المقدمات صلت النتائج ؛ وإن فسدت فسدت .

يقوم بعض الناس بعمل ، ويسعى إليه كل السعي . وبينما هو قائم به يطرأ عليه طاري حقيق أو عظيم ؛ فيجس عن إقام ما قصد إليه ، ويتشب^(٥) عنه ، وتضعف عزيمته قبل بلوغ المراد . وما ذلك إلا من فقد الصبر وجبن النفس . وإنما الصبر عند الصدمة الأولى .

وينهض غيره إلى أمر ؛ فتصيب عليه الطواري ، وتعييط به العوائق ، وتنهذ إليه المشيطات^(٥) من كل جانب ؛ فيتخلفها رابط الحاش ، ثانت العزيمة ، إلى أن يتغلب عليها . ثم يسر نحو ما قصد له

(١) لا يأتون : لا يلتفتون ولا يعشون

(٢) أمر غير ذي بال : لا يمتكروه

(٣) الطواري الحوادث . النكبات : المصائب

(٤) يتشب : يتعوق ويشيطاً

(٥) تنهد : تسرع وتصمد . المشيطات : المعوقات

بِهَمَّةٍ لَا تَعْرِفُ الْمَلَلَ وَلَا السَّكَلَ ، حَتَّى يَنَالَ مَا يُرِيدُ . وَمَا ذَلِكَ إِلَّا
لَأَنَّهُ صَرََّ عَلَى الْحَادِثِ الْأَوَّلِ ، وَتَنَبَّهَ لِإِدَائِي الطُّوَارِي ، وَدَفَعَ عَنْهُ
هَاجِسَ الْخَبَرِ وَالْجَزَعِ ^(١) ، بِسَبَبِ مَا أُوتِيَهُ مِنْ شِجَاعَةِ الْقَلْبِ ، وَمَا
تَرَبَّى عَلَيْهِ مِنَ الصَّبْرِ عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدَمَاتِ

وَمَا نَزَاهُ مِنْ خِيْبَةٍ كَثِيرٍ بِمَنْ يَقُومُ بِالْأَعْمَالِ ، إِنَّمَا هُوَ مُسَبَّبٌ عَنْ
الْجَزَعِ عِنْدَ الْحَادِثِ الْأَوَّلِ . فَتَنَبَّهَ لِلْعَادِثِ الْأَوَّلِ .

السَّكُوتُ عِنْدَ أَوَّلِ فُسَادٍ يَعْرِوُ ^(٢) مَا تَعْتَقِدُهُ مِنَ الْعَقَائِدِ ، دَاعٍ
لِسَرَّيَانِ الْفُسَادِ إِلَى سَائِرِهِ .

وُجِبَتْكَ فِي الدَّفَاعِ مِنْ ثَغْرِ ^(٣) حَقِّكَ ، سَبَبٌ لِمُغْلُغِلِ الْعَدُوِّ
فِي أَحْشَائِهِ .

وَمَا وَلَوْعُ ^(٤) الْإِنْسَانِ بِالشَّرِّ ، وَضَرَاوُتُهُ ^(٥) بِالشُّكْرِ ، إِلَّا لِأَسْتِهَانَتِهِ
بِكُتْحِ حِمَاحٍ ^(٦) نَفْسِهِ الْأَثْمَارَةَ عِنْدَ أَوَّلِ مَيْلٍ لِلْفُسَادِ .
وَالغَيْثُ ^(٧) أَوَّلُهُ الْقَطَرُ . وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَضْفَرِ الشَّرَرِ .
وَالنَّوَى ^(٨) أَوَّلُ الشَّجَرِ .

(١) الهاجس : ما يدور في الخلد ويخطر بالبال . الجزع : الاضطراب ، وهو
تقيص الصبر

(٢) يعرو : يصيب

(٣) الثغر : الشق بين الجبلين : وموضع المخافة من البلد يخاف منه محوم
العدو : وإضافة الثغر إلى الحق مجاز

(٤) الولوع : انتح الواع : الولع . وكلاهما مصدر ولع يولع ، بوزن وحل يوجل

(٥) الضراوة بالمر : تعود حتى يصير عادة

(٦) الكبح : حذب الدابة باللعام لتقف فلا تحري . الحماح : أن يركب

الفرس رأسه لأبنيه تبي ولا يرد شي

(٧) الغيث : المطر

(٨) النوى : بذر الشجر ومحوه

وداء الخمار ^(١) ، والأَنْهَكَ في المقار ^(٢) ، من الكأس الأولى
وتشيم ^(٣) الغرام ، من أول السِّهام .
والحرب أولها الكلام ، وأوسطها الصِّرام ^(٤) ، وبختامها الرحام ^(٥)
وإن تَجِبَه ^(٦) كلُّ حادثٍ قبل أن يَجْبَهَكَ ، وقدفعَ كلُّ طاريءٍ
قبل أن يَعْشَكَ ^(٧) ، تأمنِ الغوائل ^(٨) ، وتعيشَ مُطْمَئِنّاً في سِرِّبك ^(٩) ،
سعيداً في عَمَلِكَ ، عزيزاً بين قَوْمِكَ .
أيها النَّارِشُونَ ، إنَّ من أدوائنا ^(١٠) - التي تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
ما نَشْتَهِي - الخَزَعُ عندَ الحوادثِ الأولى ، رَعْدَمَ الصَّبْرِ عندَ الصَّدْمَةِ
الأولى . فذلك الخَلْقُ ما مَلَكَ نُفُوسَ قَوْمٍ إِلَّا صَيَّرَهُمْ عَيْدَ الْعَصَا ^(١١) ،
وَأَلْبَسَهُمْ رِداءَ الذُّلِّ ، وجعلَ سَعِيَهُمْ سُدىً ، وَعَمَلَهُمْ هَبَاءً مَنْثُوراً
تَذَرُوهُ ^(١٢) رِيَّاحُ الْخَبْرِ وَالْجَزَعِ
فَتَعَوَّدُوا ، رَعَاكُمُ اللَّهُ ، الصَّبْرُ ، وَتَشَدَّدُوا عندَ الحوادثِ الأولى ،
يَسْهَلُ عَلَيْكُمْ قَلْقِي ما بعده ، وتكُونُوا في أَعْمَالِكُمْ فَاجِعِينَ .

- (١) الخمار - بصم الخاء : صداع الخمر وإذا ما
(٢) المقار - ضم الميم : من أسماء الخمر
(٣) تشيم الغرام : تذليله صاحبه وتعييده إياه
(٤) الصرام : الاشتغال
(٥) الحمام : الموت
(٦) تجبه : تدفع وتتنع ، وأصل معنى الجبه : ضرب الجبهة
(٧) يمشك : يضربك أو يطلبك . يقال : عشه إذا ضربه . وعشه إذا طلبه
(٨) الغوائل : المهلكات
(٩) السرب بكسر السين : النفس
(١٠) الادواء : جمع داء
(١١) عيد العصا : اذلاء
(١٢) تذرؤه : تذرؤه وتفرقه وتطيره

انتظر الساعة

نَجَاحُ الْعَمَلِ أَنْ يَتَوَلَّاهُ أَهْلُهُ . وَالْإِخْفَاقُ ^(١) فِيهِ أَنْ يُوسَّدَ ^(٢) إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ .

مَا رَأَيْنَا عَمَلًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَوَفَّقَ فِيهِ الْقَائِمُونَ بِهِ إِلَّا كَانُوا مِنْ الصَّالِحِينَ وَمَا شَاهَدْنَا مَصْلَحَةً مِنَ الْمَصَالِحِ أَخْفَقَ فِيهَا عُمَّالُهَا ، إِلَّا كَانُوا مِنَ الطُّفِيلِيِّينَ ^(٣) عَلَيْهَا

إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ وَرَسَدًا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ نَهَايَةً ، هِيَ الْخُرَابُ ، وَسَاعَةٌ يَنْتَهِي إِلَيْهَا أَهْلُهُ ، هِيَ الْحَبِيبَةُ فِيهِ . وَالْيَ ذَلِكَ الْإِشَارَةُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : « إِذَا وَرَسَدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَأَنْتَظِرِ السَّاعَةَ » ، أَيِ سَاعَةِ الْإِخْفَاقِ فِيهِ وَفْسَادِهِ .

وَمَتَى فَسَدَ هَذَا الْكَوْنُ ، وَتَمَادَى مَنْ عَلَيْهِ فِي الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ ، وَأَوْسَعُوا الْخُطَا ^(٤) فِي التَّفَرُّقِ بَعْدَ الْأَحْتِمَاعِ ، وَالتَّخْرِيبِ بَعْدَ الْعُمُرَانِ ،

(١) الإخفاق : الحبيبة ، أي عدم النجاح . اخفق في الأمر : لم ينجح فيه

(٢) يوسد : يسند

(٣) الطفيلي : من يدخل في أمر لم يدع إليه ، نسبة إلى طفيل رجل من أهل الكوفة كان يأتي الولاة من غير أن يدعى إليها

(٤) الخطا : جمع خطوة

وَالْكَفْرَ بِهِنَّ^(١) اللَّهُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ، كَانَتْ سَاعَتُهُ ، وَقَامَتْ قِيَامَتُهُ ،
وَصَدَمَتُهُ الصَّدَمَاتُ ، تَتْلُوهَا^(٢) النَّكَبَاتُ ؛ يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ^(٣) ،
تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ^(٤) ؛ قُلُوبٌ^(٥) يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ^(٦) ، أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ^(٧) .
وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ ، لِأَنَّ أَهْلَهُ لَمْ يَنْقَرُوا صَالِحِينَ لَهُ ، بِمَا أَتَوْهُ مِنْ ضُرُوبِ
الْفُسُوقِ^(٨) عَنْ الْأَنْظِمَةِ الَّتِي سَنَّهَا اللَّهُ لِيَعْمَلُوا بِهَا ؛ فَحَادُوا عَنْهَا وَسَلَكُوا
غَيْرَ سَبِيلِهَا . وَإِنَّ اللَّهَ يُنْهِلُ وَلَا يُنْهِلُ ؛ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِ
الرَّجَاءِ مَتْرَعٌ^(٩) ، أَخَذَ الْفَاسِقَ عَنْ سُنَّتِهِ أَخَذَ عَزِيزٌ مُتَشَبِّهِ ، وَأُورِدَهُ
مَوَارِدَ مَا كَتَبَتْهُ يَدَاهُ .

تِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ ؛ وَلَنْ تَجِدَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا .

مَا مِنْ قَوْمٍ عَاهَدَ إِلَيْهِمْ فِي أَمْرٍ ، فَلَمْ يُخْصِنُوا فِي رِعَايَتِهِ ، وَلَمْ
يَرْعَوْهُ^(١٠) حَقَّ رِعَايَتِهِ ، إِلَّا أَنْتَرَعَهُ مِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ إِلَيْهِمْ بِهِ ؛
وَوَسَّدَهُ إِلَى غَيْرِهِمْ رَمْتَيْنِ يَرَاهُ صَالِحًا لَهُ . فَإِنْ أَبْقَاهُ فِي يَدٍ مِنْ أَسَاءِ

(١) صَدَمَتُهُ : انطامته التي سنّها لعباده

(٢) تَتْلُوهَا : تَتَّبِعُهَا

(٣) تَرْجَفُ : تَضْطَرِبُ . الرَّاجِفَةُ : الْمَرَادُهَا النِّفْثَةُ الْأُولَى الَّتِي تَكُونُ مُقَدِّمَةً
لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ

(٤) الرَّادِفَةُ : التَّالِيَةُ ، وَالْمَرَادُهَا النِّفْثَةُ الثَّانِيَةُ

(٥) وَاجِفَةٌ : مُضْطَرِبَةٌ خَائِعَةٌ

(٦) خَاشِعَةٌ : ذَلِيلَةٌ خَاضِعَةٌ

(٧) الْفُسُوقُ عَنْ الشَّيْءِ : الْخُرُوجُ عَنْهُ

٨ لَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِ الرَّجَاءِ مَتْرَعٌ : لَمْ يَبْقَ أَمَلٌ وَلَا رَجَاءٌ . وَالْمَتْرَعُ : الْكُفْرُ

الْمِيمُ : السَّهْمُ

٩ لَمْ يَرْعَوْهُ : لَمْ يَحْفَظُوهُ وَلَمْ يَتَعَدَّوْهُ

التَّصَرُّفَ فِيهِ ، فَانْتَظِرْ سَاعَةَ خَرَابِهِ .

التَّوْفِيقُ فِي الْأَعْمَالِ أَنْ تُوسِّدَ إِلَى صَالِحِ أَهْلِهَا :

فَإِنْ يُعْهَدُ فِي الْعِلْمِ إِلَى الْجَهْلِ بِعَمِّ الْجَهْلِ وَسَادَ أَهْلُهُ ، وَسَاءَ
بِذَلِكَ الْمَصِيرِ

وَإِنْ تُسَدَّ الصِّنَاعَاتُ إِلَى مَنْ لَا يُحَسِّنُهَا ، كَانَتْ عَاقِبَةُ ذَلِكَ
الْخُسْرَانُ وَفَسَادُ الْأَعْمَالِ .

وَإِنْ أُقِيَّتْ إِلَى الْفُسَاقِ ، أَوْ الْجَهْلَةِ فِي الدِّينِ ، مَقَالِيدُ^(١) الْوَقْفِ
وَالْإِرْشَادِ ، وَنُيْحُوا مَنَاصِبَ التَّدْرِيسِ ، وَأُقْعِدُوا عَلَى مَنَاصِبِ^(٢)
الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ ، ضَلُّوا النَّاسَ ، وَسَلَكُوا بِهِمْ غَيْرَ سَبِيلِ الْهُدَى وَفِي
ذَلِكَ مَا فِيهِ مِنْ إِضْعَافِ الدِّينِ فِي نَفُوسِ الْعَامَّةِ ، وَتَشْوِيهِ تَحَاسِنِهِ فِي
مُيُونِ الْغَرِيبِ عَنْهُ .

وَمَنْ وَاسَدَتْ أَعْمَالُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْأَغْرَارِ^(٣) ، الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ مِنْهَا
إِلَّا أَسْمَاءَهَا ، أَوْ إِلَى الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ فِي مَصَالِحِهَا إِلَّا^(٤) وَلَا ذَرِيَّةً - بَلْ
يَعْمَلُونَ لَيْلَ نَهَارٍ عَلَى مَا ضَعِيفُ بَأْسِهَا ، يُشْرَعُوا حَقَائِقَهُمْ^(٥) ، وَيُشَيِّعُوا
بُطُونَهُمْ ، وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْخَرَابُ - فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ . وَأَرْتَقِبْ^(٦)
قِيَامَةَ الدَّوْلَةِ .

(١) المَقَالِيدُ : الْمَفَاتِيحُ . وَالْمَقْرَدُ : مَقْلَدُ

(٢) الْمَنَاصِبُ : جَمْعُ مَنَصَبٍ - فَتَجْعَلُ الْمِمَّ وَكُسْرُهَا - وَهِيَ الْكُرْسِيُّ . وَأَصْلُهَا
الْكُرْسِيُّ تَرْفَعُ عَلَيْهِ الْعُرُوسُ فِي جَلَالِهَا لِتَرَى مِنْ بَيْنِ النِّسَاءِ

(٣) الْأَعْرَارُ . جَمْعُ عَرَوْهٍ مَنْ لَمْ يَحْرُبِ الْأُمُورَ

(٤) الْأَلَّ : الْعَهْدُ

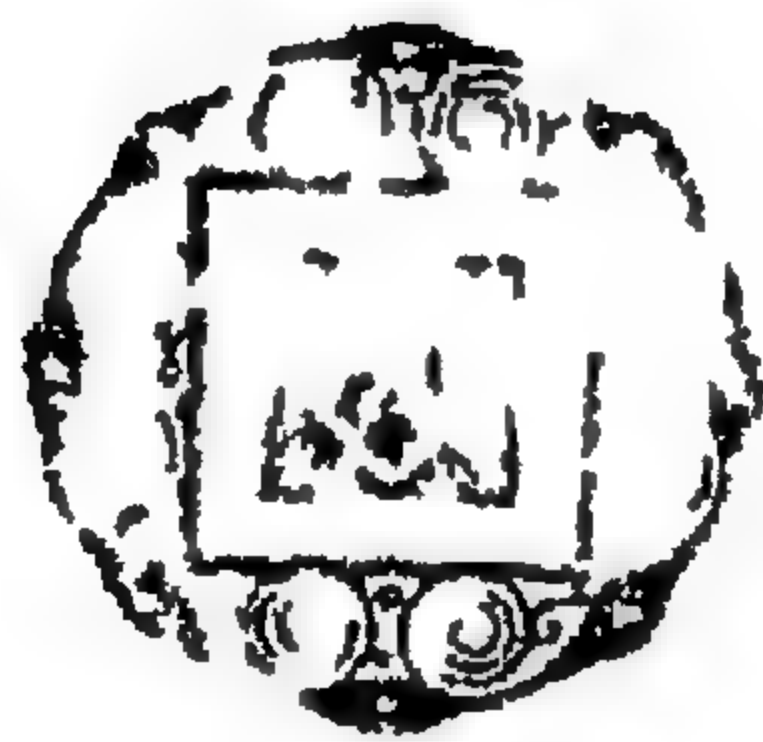
(٥) الْحَقَائِبُ : جَمْعُ حَقِيبَةٍ ، وَهِيَ خَرِيطَةٌ يُلَاقُهَا الْمَسَافِرُ فِي الرِّحْلِ الزَّادَ وَيَحْمِلُوهَا

(٦) أَرْتَقِبْ : اُنْتَظِرْ

والى كل ذلك الإشارةُ في الحديثِ : « اسْتَعِينُوا عَلَى كُلِّ مَعْلٍ بِصَالِحِ أَهْلِهِ » وإن استعنا بالصالح للأمر عليه ، كان من ورائه التوفيقُ فيه والتجّاحُ . وإن مَهَّدنا في العمل الى غير صالح له ، وقَدْ أسْلَمْنَا الى الخراب ، وقَدْ فَنَّا به في نُجْبِجِ الدِّمَارِ (١) .

وأوصيك ، أيها الناشئ ، أن لا تستعين في عمل من أعمالك إلا بمن يكون له أهلاً . وإلا أحنثت في سعيك ، وعرّثت الحية في أمرك .

وإياك أن تتوكل على عملاً لا تصلح له ، كيلا تكون من الزاديين ، ويكُون مُوَرِّثُكَ من الخاسرين ؛ يوم تأتيك ساعة الشوم ، فتدرك وعملك في الهاوية (٢) . فأحذر ذلك ؛ إني لك من الناصحين .



(١) اللجج : جمع لجة وهي منظم الماء . الدمار : الهلاك

(٢) تدرك : تدعك وتتركك . الهاوية : الحفرة الطويلة

(١) التَّجْوِيدُ

تَجْوِيدُ الْعَمَلِ مَعَ الْإِطَاعِ ^(٢) بِهِ ، خَيْرٌ مِنَ الْإِسْرَاعِ فِيهِ مَعَ
إِرْدَائِهِ ^(٣)

وَلَا أَنْ تَنْشِئَ كُلَّ يَوْمٍ سَاعَةً ، وَتَسْتَرْيِحَ سَائِرَ الْيَوْمِ ، حَتَّى تَصِلَ إِلَى
الْمَقْصِدِ ^(٤) فِي رَاحَةٍ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَسِيرَ النَّهَارَ كُلَّهُ ، حَتَّى تَنْلُغَ مَا أَنْتَ
تَقْصِدُ لَهُ فِي مَشَقَّةٍ وَعَنَاءٍ ^(٥) .

وَعَمَلُكَ كُلَّ يَوْمٍ سَاعَاتٍ مَعْدُودَةٍ ، مَعَ إِتْقَانٍ صُنْعِكَ ، أَوْلَى مِنْ أَنْ
تَجْهَدَ ^(٦) نَفْسَكَ الْيَوْمَ كُلَّهُ حَتَّى تَكُلَّ فَإِنَّ الْمَالَ دَاعِيَةُ الْإِسَاءَةِ فِي
الْعَمَلِ ، وَسَبَبُ الْإِنْقِطَاعِ عَنْهُ .

الْعِبَادَةُ شَيْءٌ جَمِيلٌ تَصَوُّ ^(٧) إِلَيْهِ نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ . وَمَعَ هَذَا ،
غَالَا نَقْطَاعُ إِلَيْهَا ، وَتَفْرِيقُ النَّفْسِ لِإِقَامَةِ شَعَائِرِهَا ^(٨) ، أَمْرٌ دَوَّاهُ الشَّرْعِ ،
لَمَّا فِي الْأَكْثَارِ مِنْهَا مِنْ إِرْدَائِهَا وَإِهْمَالِ تَجْوِيدِهَا ، حَتَّى تَكُونَ نِهَائَةً

(١) التَّجْوِيدُ : التَّحْسِينُ وَالْإِتْقَانُ .

(٢) الْإِطَاعُ بِالشَّيْءِ : تَأْخِيرُهُ .

(٣) الْإِرْدَاءُ : الْإِفْسَادُ . إِرْدَاُ الشَّيْءِ : اِفْسَادُهُ : وَارْدَاُ الرَّحْلِ : قُلُّ دَمَارِدِيَّتِهِ .

(٤) الْمَقْصِدُ : الْمَكَانُ الْمَقْصُودُ .

(٥) الْعَنَاءُ : التَّوَبُّ وَالْمَشَقَّةُ .

(٦) تَجْهَدُ نَفْسَكَ : تَتْعَبُهَا وَتَحْمِلُهَا مَا لَا تَطِيقُ .

(٧) تَصَوُّ : تَقْبِلُ .

(٨) شَعَائِرُهَا : أَعْمَالُهَا . وَالْمَعْرَدُ شَعِيرَةٌ ، وَهِيَ كُلُّ مَا حَمَلَ عَلَيْهِ لُطَاعَةُ اللَّهِ .

الأمر السامة منها . وقد وردَ في الحديث : « إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَأَدِرْ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ » .

رأينا كثيراً من الناس يعملون كثيراً في وقت قليل ، حتى إذا آن^(١) وقتُ استثمار^(٢) العمل ، لم يُوافقِ حسابُ الحقلِ حسابَ البَيدر^(٣) . وما ذلك إلاَّ لأنَّ النَّاسَ لا يختارون من العمل إلاَّ ما كانَ جيِّداً مُتَقَنّاً . فيبتذلون في سبيله ما يليقُ به من الثمن . وإن أخذوا الرديء ، فلا ينفخون صاحبه إلاَّ بالتذر^(٤) اليسير الذي يساويه .

ورأينا بعضَ النَّاسِ يعملون العملَ القليلَ في مُتَمَسِّعٍ من الوقت ، ليزيدوا في إتقانه . ومتى دنت^(٥) ساعةُ النتيجة قطفوا من أشجار صنعم ثمَّرات كثيرةً يانعة^(٦) . وما هي إلاَّ ثمراتُ التحسين والتَّجويد .

التَّجويدُ ضروريٌّ لحياة الأعمال ، وضروريٌّ لازِب^(٧) لمن أرادَ التَّوفيقَ فيها . وقد وردَ في الحديث : « كَتَبَ اللهُ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ » . والإحسانُ معناه الإِتقانُ والتَّجويدُ . فَمَنْ أَحْسَنَ فِي عَمَلِهِ ، وَجَوَّدَهُ وَأَتَقَنَ تَجْوِيدَهُ ، جَنَى مِنْ وَرْدِ إِتْقَانِهِ مَا لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْمُحْسِنُونَ

(١) آن : حان وقرب

(٢) استثمار العمل : الانتفاع بثمراته

(٣) الحقل : الررع ما دام احضر ، والارض الطيبة المحصنة للزرع .
(البيدر : الوضع الذي يداس فيه الحب . والمبارة مثل للعامة ، يقال لما لم توافق مقدماته نتائجها

(٤) ينفخون : يطون . نفخه شيء : اعطاه اياه . التذر : القليل اليسير

(٥) دنت : قربت

(٦) يانعة : طيبة . ينح الثمر وأينع : ادرك وطاب وحاں قطافه

(٧) هذا الامر صرحة لازب وضررة لازم : اي ثابت لازم لابد منه

في أعمالهم . ومن أساء فيه ، كانت عاقبته الجرماء والنَّدَم .
وما الأعمالُ إلاَّ كابسَاتين :

فَكَمَا أَنَّ البُسْتَانَ الَّذِي يُعَجَّرُ دُهُ السُّتَانِيُّ ، وَيَخْدُمُهُ بِخِدْمَةٍ
صَادِقَةٍ ، يُؤْتِي أَكْلَهُ جَنِيًّا ^(١) ؛ فَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَعْمَالِ .

لَيْسَتْ الْعَجَلَةُ فِي الْعَمَلِ سَبَبُ التَّوْفِيقِ فِيهِ . قَرُوبٌ عَجَلَةٌ أُعْقِبَتْ
رَيْثًا ^(٢) ، وَأُورِثَتْ نَدَامَةٌ . وَإِنَّمَا التَّرَوِّيُّ فِي تَجْوِيدِهِ هُوَ الدَّامِيُّ إِلَى
النَّجَاحِ فِيهِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ . « إِنَّ هَذَا الدَّيْنِ مَتْنٍ ؛ فَأَوْغِلْ فِيهِ ^(٣) »
يَرْفُقُ ؛ وَلَا تُنْقِضْ لِنَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ ؛ فَإِنَّ الْمُنْتَهَى ^(٤) لَا أَرْضًا قَطَعَ ،
وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى .

فَاَحْذَرُوا ، أَيُّهَا النَّابِثُونَ ، الْإِسْرَاعَ فِي الْعَمَلِ مِنْ غَيْرِ تَجْوِيدِهِ .
وَالْإِسْرَاعُ - قُلُوبُ التَّرَوِّيِّ - دَائِمَةٌ الْحَيَّةُ وَسَبَبُ الْإِخْفَاقِ ^(٥) ؛ وَالتَّأَنِّيُّ
- مَعَ التَّحْسِينِ - سَبَبُ التَّوْفِيقِ وَإِنَّ النَّاسَ كَمَا قَالَ الْفِيلَسُوفُ -
لَا يَسْأَلُونَ عَنْ سُرْعَةِ الْعَمَلِ ؛ وَإِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنْ حُرُودِهِ ^(٦)



(١) الْأَكْلُ يَضُمُّ الْمُسْرَةَ وَالْكَافُ ، وَيَجُوزُ تَسْكِينُ الْكَافِ أَيْضًا : الشَّرُّ ،
وَالرِّزْقُ الْوَاسِعُ . حَبِيًّا : عَصًا طَرِيًّا : رَاحِلِيٌّ : الشَّرُّ الَّذِي قَطَفَ مِنْ سَاعَتِهِ
(٢) الرِّيثُ : الْبَطْءُ

(٣) أَوْغَلَ فِيهِ : ادْخَلَ فِيهِ ، أَوْغَلَ فِي الْبِلَادِ أَيْمَالًا : ذَهَبَ فِيهَا وَبَالَغَ وَامْنُ

(٤) الْمُنْتَهَى : الْمُنْقَطِعُ عَنْ رِفَاقِهِ فِي السَّفَرِ ، الَّذِي اتَّبَعَ دَابَّتَهُ فَانْقَطَعَتْ بِهِ

« رَاحِعٌ تَرَحُّهُ فِي عِظَةِ الْإِعْتِدَالِ ، ص : ٩٩ »

١٥ الْإِخْفَاقُ : الْحَيَّةُ

(٦) الْحُرُودَةُ - نَعْمُ الْحَيِّمْ وَفَتْحُهَا : الْإِصْلَاحُ . وَحَادُ الشَّيْءِ يَجُودُ : صَارَ حَيِّدًا

المرأة

من الأمثال العرب : « كلُّ ذاتِ صدرٍ ^(١) خالة » ؛ أي إنَّ من حقِّ الرَّجُل أن يغارَ على كلِّ امرأةٍ ، كما يغارُ على حُرٍّ ، لأنَّ كلَّ امرأةٍ أختٌ لأُمِّه في الحنسيَّة ، فتكونُ خالةً له .

كانت حالةُ المرأةِ الاجتماعيَّةُ - أو لم تزلْ - على أطوارٍ مختلفةٍ ، وشكولٍ متباينةٍ ^(٢) ، بالنسبةِ إلى تنوُّعِ الأزمنةِ والبيئات ^(٣) . فهي بينَ صُعُودٍ وهبوطٍ ، واحترامٍ واحتقارٍ ، وعلمٍ وجهلٍ ، تارِبةٍ ترقِّي البيئَةَ وتَدَنِّيها ^(٤) ، ونورٍ الزَّمنِ وظلمته .

المرأةُ لم تُخلقْ إلَّا لتكونَ والرجلَ عامِلينِ في بُسْتانِ الحياةِ . نَبْدُ أَنْ يَكُلَّ واحدٌ منهما مَئَلًا خاصًّا به ، لا يَجْمَلُ ^(٥) به أن يتعدَّاه . فالرَّجُلُ يَفْلَحُ أرضه ويَغرسُ غَرسَهُ ، وَيَبْذُرُ حَبَّهُ ^(٦) . والمرأةُ تَعْمِدُ الحَبَّ والغرسَ بالسَّقي ، وتنفي ما يُجاورُهما من فاسدِ النَّباتِ .

وما البُستانُ إلَّا البيتُ . وما عَمَلُ الرَّجُلِ إلَّا السَّعيُ لِإِثْنِ يَحْيِيهِ من الأهلِ ، ونَدْلُ الحَهدِ ليَحْيُوا حياةَ السَّعادةِ . وما عَمَلُ المرأةِ إلَّا

(١) الصدر : ثوب صغير إلى الحسم

(٢) الشكول : الأشياء والأمثال ، والأمور المختلفة المشككة . والمفرد شكل ، فتح الثين . متباينة : بخلفة متصادة

(٣) البيئات : جمع بيئة وهي المنزل ، ويراد بها ما يحيط بالإنسان من المؤثرات

(٤) التدني : الانحطاط

(٥) لا يجمع له : لا يحسن به ولا يليق به ولا ينبغي له

(٦) يبذر حبه : يلقيه في الأرض لزراعة

تَنْظِيمُ الْمَنْزِلِ ، وَتَرْبِيَةُ الْأَطْفَالِ ، وَبَيْتُ^(١) الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ فِي
نَفْسِهِمْ ، وَتَنْجِيَةُ الضَّرَائِبِ^(٢) الْفَاسِدَةِ عَنْ مَوَارِدِ قُلُوبِهِمْ ؛ لِيَسْكُونُوا
مِنْهُمْ مَجْمُوعٌ فَاضِلٌ تَنْهَضُ بِهِ الْأُمَّةُ ، وَيَسْتَدُ^(٣) بِهِ سَاعِدُ الْوَطَنِ ،
وَيَسْتَدُ رُكْنُهُ .

فَإِنْ أَهْمَلَ الرَّجُلُ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ ، أَوْ جَارَزَتِ الْمَرْأَةُ مَا خُلِقَتْ لَهُ ، أَوْ
قَصَّرَتْ عَنْهُ ، فَسَدَ نِظَامُ الْأُسْرَةِ^(٤) ، وَتَشَلَّمْ^(٥) رُكْنُ الْحَيَاةِ الْبَيْتِيَّةِ ،
فَكَانَ مِنْ جَرَّاءِ^(٦) ذَلِكَ الْفَتْ^(٧) فِي عَضُدِ الْأُمَّةِ ، وَالْكَسْرُ فِي سَاعِدِ
الْوَطَنِ^(٧) . لِأَنَّ صَلَاحَ الْأُمَّةِ وَنَهْضَ الْوَطَنِ مُتَوَقِّفَانِ عَلَى
صَلَاحِ الْأُسْرِ .

وَلَا رَيْبَ أَنَّ سَعَادَةَ النَّشْءِ - وَهُمْ عِمَادُ الْأُمَّةِ - أَكْثَرُ مَا ذَكَرُونَ
بِالْمَرْأَةِ . فَهِيَ إِنْ شَاءَتْ أَفْسَدَتْ أَخْلَاقَهُمْ ، وَإِنْ شَاءَتْ أَصْلَحَتْهَا ؛ لِأَنَّ
يَدِيهَا زِمَامُ تَرْبِيَتِهِمْ وَتَهْذِيبِهِمْ . لِذَلِكَ وَجِبَ أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ
مُحْتَرَمَةً الْجَانِبِ ، رَفِيعَةً الْمَنْزِلَةِ ، مُتَعَلِّمَةً ، مُتَرْبِيَةً ، مُتَخَلِّقَةً بِالْأَخْلَاقِ
الْحَمِيلَةِ ، صَالِحَةً لِإِدَارَةِ الْمَنْزِلِ ، عَالِمَةً بِمَا وَجِبَ عَلَيْهَا نَحْوَ الْعَالَمِ الصَّغِيرِ
- أَلَا وَهُوَ الْبَيْتُ

(١) البت : النشر

(٢) التنجية : الإزالة والاسعاد . الضرائب : الطبائع . والمفرد ضريبة

(٣) يستد : يكون سديداً قوياً

(٤) الاسرة : رباط الرجل وأهله . سوا بالاسرة - وهي الدرع الحصينة -

لأنه يتقوى بهم . وجمها أسر

(٥) تشلم : تشفق

(٦) من جراء ذلك : من اجل ذلك

(٧) الفت في العضد والكسر في الساعد : كناية عن اضعاف القوة وتفريق

وبعد ، فإن حمير^(١) نساء الشرق اليوم ، وقيل بضم^(٢) مثابهم
من التين ، قد أهيأت كالسوائم^(٣) . فقد ظن الرجال أن المرأة آلة^(٤)
في أيديهم يُدبرونها كيف شاءوا ، زاعمين أنها لم تُخلق إلا لتكون
أسيراً أو مملوكة . وأهتَضَرُوا ما لها من الحقوق الشرعية والطبيعية ،
وحرموها التعليم والثرية فساعت بذلك الحياة البيتية ، وفسدت
الأسرة ، وأخطت الجماعات بالمخططات الأفراد .

وقد شعر الشرق اليوم بذلك الضعف والنقص ، فتَهَضَّ فيه بعض
من هداهم الله الصراط المستقيم ، وانصرفت همهم إلى تعليم البنات
وتهديبهن . لأنهم اعتقدوا جداً الاعتقاد أن المرأة ركن الحياة
الاجتماعية الركين^(٤) ، وسند نهوض الأمة الأقوى . ولكن هذا
التنبه ضعيف ، فعسى أن يقوى بكم ، أيها الناشئون الكرام . فإن
للناشئات عليكم حقوقاً عظيمة ، لأنهن خالاتكم . والحالة كالأم ،
أو هي الأم . ومن لا يود لأمة الحياة السعيدة !

إن ما تروونه من أخطاط الجماعات ، إن هو نأشي إلا من أخطاط

(١) الحمير : جمع حمور وهو معظم الشيء واكثرته . وأصل معناه :
الرمال الكثير المتراكم الواسع

(٢) البضع : ما بين الثلاث إلى التسع . فان قلت : جاء في جملة رجال حار
ان يكون الحاءون ثلاثة أو تسعة أو ما بينهما . وهي تذكر مع المدود الموث
وتوث مع المدود المذكر ، كما هو الشأن في العدد من الثلاثة إلى التسعة

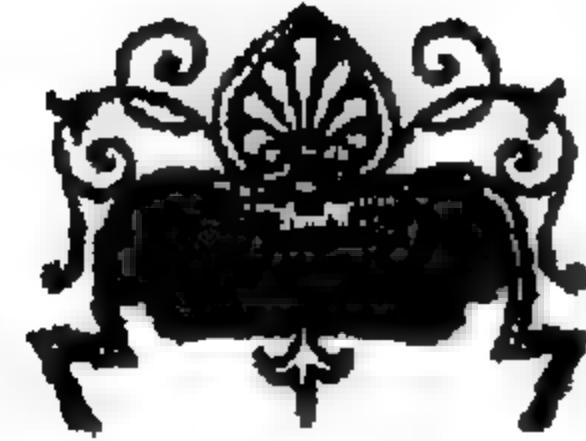
(٣) السوائم : الابل التي لا تلف في مكان مبيتها ، وانما تترك ترعى مما تنبت
لارض من المرعى المباح

(٤) الركين : القوي

المرأة وجهلها وفساد تربيتها • فَعَلِمُوا الْبَنَاتِ ، تَسْتَحْذُوا عَلَى الْبَاقِيَاتِ
الصَّالِحَاتِ (١) .

أَلَا إِنَّ تَنْذِيرَ الْمَرْأَةِ وَإِسْرَافَهَا وَحِدَانَتَهَا مِنْ جَادَّةٍ (٢) الْاِقْتِصَادِ
فِي اللُّبُوسِ (٣) — حَتَّى تَهْكَّتْ ثَرْوَةُ الرَّجُلِ (٤) ، وَجُرَّتْ عَلَى الْهَيْئَةِ
الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْوَيْلَاتِ (٥) — هُوَ لِأَنَّهَا لَمْ تُتَعَلَّمِ الْعِلْمَ الْمَفِيدَ ، وَلَمْ تُتَرَبَّ
التَّربِيَةَ الصَّحِيحَةَ .

فَعَلَيْكُمْ ، مَعْشَرَ النَّااشِئِينَ ، أَنْ تُرَبُّوا بِنَايِكُمْ — مَتَى صَرُتُمْ أَرْبَابَ
بُيُوتٍ — تَرْبِيَةً فَاضِلَةً ، وَتُعَلِّمُوهُمْ تَعْلِيمًا مَفِيدًا ، يَنْهَضَ الْوَطَنُ ،
وَتُشْرِفَ الْأُمَّةُ .



-
- (١) تَسْتَحْذُوا : تَسْتَوَلُوا . الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ : الْإِهْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يَبْقَى
اَثَرُهَا الصَّالِحُ وَتَعُودُ بِالتَّوَابِ عَلَى فَاعِلِهَا
(٢) الْحِدَانِ : الْمِيلُ وَالْمَدُولُ . الْحَادَّةُ : وَسْطُ الطَّرِيقِ وَمَعْظَمُهُ
(٣) اللُّبُوسُ فَتْحُ اللَّامِ : كُلُّ مَا يَلْبَسُ
(٤) هَكَّتْ ثَرْوَتُهُ : نَفَسَتْهَا أَوْ أَدَاخَهَا . يُقَالُ : خَلَكَ الصَّرْعُ إِذَا اسْتَوَفَى
جَمِيعَ مَا فِيهِ ، وَهَكَّتِ الْحُمَى فَلَانًا إِذَا أَصْنَتَهُ وَنَفَسَتْ لَحْمَهُ . وَخَلَكَ مَاءُ الْإِنَاءِ إِذَا
شَرِبَ جَمِيعَ مَا فِيهِ
(٥) الْوَيْلَاتِ : الْمَصَائِبُ ، وَالْمَعْرَدُ وَبَيْلَةُ

اعقل وتوكل

ما رأيتُ أقلَّ عقلًا ، ولا أضعفَ منَّةً ^(١) مِنِّي يُقدِّمُ على الأمرِ
قبلَ أنَ يستَعِدَّ له .

بَلَى ، أشدُّ منه حَقًّا ، وأكثرُ ضَعْفًا ، منَ يخوضُ مَيْدَانَ العملِ
قبلَ أنَ يأخُذَ له عِدَّتَه ، وهوَ يَعْلَمُ أنَّ منَ عَمِلَ عَمَلَهُ كَانَتْ عَاقِبَةُ
أمرِهِ الخُسَارَ والبَوَار ^(٢) .

وليسَ أقلَّ بَلَاءًا مِن يَتْرُكُ الأمورَ اتِّكَالًا على البَحْتِ وهُبُوبِ
رياحِ المَقَادِيرِ ، منَ غيرِ أنَ يَسْعَى فِيمَا يُدْنِيهِ لَه الشَّاسِعُ ^(٣) ، وَيَسْهَلُ
الصَّعْبُ !

الِإخْفَاقُ ^(٤) فِي الطَّلَبِ نَاتِجٌ عَنْ أَحَدِ أَصْرَيْنِ ، هُمَا الطَّرْفَانِ المُنْصِيدَانِ
لِكُلِّ مَشْرُوعٍ : الجُبْنُ وَالتَّهَوُّرُ .

فَالْجُبْنُ يَصْدِرُفُهُ ^(٥) عَنِ الْعَمَلِ ، وَيَدْعُهُ ^(٦) مُتَكِنًا عَلَى عَصَا
الْمَقَادِيرِ . وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا . وَسَبَبُ النُّجَاحِ فِي

(١) المنَّة : القوة

(٢) البوار : الهلاك

(٣) يدني : يقرب . الشاسع : البعيد

(٤) الاخفاق في الامر : الخيبة وعدم النجاح فيه

(٥) يصدفه : يصرفه

(٦) يدعه : يتركه

الأمر السعي إليه من أبوابه الحُرْصلة .

والتَّهَوُّرُ يَدْفَعُهُ نَحْوَ عَايَتِهِ قَبْلَ التَّزَوُّي فِي الْأَسْبَابِ الْحُرْصِلَةِ إِلَيْهَا .
وَأَخْتِيَارِ أَنْجَحِ الْوَسَائِلِ لِلْحُصُولِ عَلَيْهَا . وَكَثِيرًا مَا تَكُونُ الْعَاقِبَةُ شَرًّا
وَوَبَالًا ^(١) . وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي الْعَوَاقِفِ ، أَمِنَ الْمَصَائِبَ .

وَالسَّلَامَةُ مِنْ ذَلِكَ ، أَنْ يَشْرَيْتَ ^(٢) قَبْلَ الْإِقْدَامِ . فَلَا يَنْدِرُ فِي
الْعَمَلِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ - أَوْ مَا يَشْرِبُ مِنْهُ - أَنَّهُ لَا يَفْشَلُ
عَنْهُ ^(٣) . وَائِسْ مِنْ هَذَا أَنْ يُحْجِمَ لِأَوَّلِ صَدْمَةٍ ، أَوْ تُؤْخِرَهُ
شُبْهَةٌ تَعْرِضُ لَهُ ، فَيَتَّخِذَهَا حُجَّةً لِالْإِحْجَامِ ^(٤) . فَإِنَّ هَذَا هُوَ
الْجُنُنُ بَعِينُهُ .

يُقَدِّمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ ، فَلَا يَبْتَثُ أَنْ يَمْتَدِّرَ ^(٥) .
إِقْدَامُهُ الْإِخْفَاقُ . وَلِذَلِكَ أَسْبَابُ ، مِنْهَا إِهْمَالُهُ الْأُهْمَةَ ^(٦) ، وَعَدَمُ
اتِّخَاذِ الْعُدَّةِ وَقَدْ وَرَدَ فِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ : « عِنْدَ النِّطَاحِ يُغْلَبُ الْكَبْشُ
الْأَجْمُ » ^(٧) ، وَهُوَ مَثَلٌ يُضْرَبُ لِلرَّحْلِ يُدْرَسُ الْأُمُورَ بِغَيْرِ عُدَّةٍ
فَيَخِيبُ .

(١) الْوَبَالُ : سُوءُ الْعَاقِبَةِ ، وَالْوَحَامَةُ ، وَالشَّدَّةُ

(٢) يَتَرَبِّثُ : يَتَحَمَّلُ

(٣) فَشَلَ عَنْ الْأَمْرِ : حَبِنَ فَتَكَلَّفَ عَنْهُ وَلَمْ يَحْضَرْ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَتَوَفَّقْ ، لِأَنَّهُ
مِنْ حَبِنٍ عَنْ أَمْرٍ فَتَرَكَهُ فَقَدْ حَابَ فِيهِ وَلَمْ يَتَوَفَّقْ لَهُ . وَأَصْلُهُ مَعْنَى الْفَشَلِ : الْخَلْعُ
وَالضَعْفُ وَذَهَابُ الْقُوَّةِ

(٤) الْإِحْجَامُ : التَّأَخُّرُ

(٥) يَمْتَدِّرُ : يَعْصِبُ . اِعْتَدَرَهُ الْأَمْرُ : تَزَلَّ بِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ

(٦) الْأُهْمَةُ : الْعُدَّةُ

(٧) الْأَحْمُ الَّذِي لَا قُوَّةَ لَهُ

وكثير منهم يُهَيِّلُ الأمرَ إِتِّكَالاً على أنْ القَدَرُ يَحْفَظُهُ . وكان
يَجِبُ عليه أنْ يَحْفَظَهُ ، ثم يَكَلِّهُ ^(١) الى عين العِناية ترعاه ^(٢) . وقد قال
رجلٌ للثَّانِي (صلى الله عليه وسلم) : « أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ » فقالَ
لهُ : « إَعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ » ^(٣) .

ومن أمثالهم : « أنْ تَرِدَ المَاءَ بِمَاءِ أَكَيْسٍ » ^(٤) ، يَعْنُونَ بِذلك أنْ
يَأْخُذَ الرجلُ الأمرَ بِالْحَزْمِ والوَقْفَةِ . ومن ذلك قولهم : « إِشْتَرِ
لِنَفْسِكَ وَلِلشُّوقِ » ، يُؤِيدُونَ بِذلك أنْ يَأْخُذَ التَّوَكُّلَ الحِيطَةَ ^(٥) لِنَفْسِهِ
تَحِلَّ الإِقْدَامَ على العملِ ، وأنْ يَسْتَشِيرَ مَنْ يَثِقُ بِهِمْ لِيُرْشِدُوهُ الى
مَا فِيهِ الْخَيْرُ .

ومن الناس من إذا تَمَكَّنَ من نَاصِيَةِ ^(٦) الأمرِ عَقَدَهُ بِأَنْشُوطَةٍ ^(٧) .
حتى إذا أَفَلَّتْ من يَدِهِ نَدِمَ على ذلك قَدَامَةَ الكَسْبِيِّ ^(٨) ، وَهِيَاهَاتُ ^(٩)
أَنْ تُفِيدَهُ القَدَامَةُ .

(١) يَكَلِّهُ : يَسْلِمُهُ

(٢) ترعاه : تحفظه وتحمده

(٣) أعقلا : أربطها . والعقل : الربط . ومنه سمي العقل المعروف لانه يربط
الانسان أن يأتي ما يضره

(٤) أكيس : اعقل . والكيس - بفتح الكاف وسكون الباء : العقل والفتنة

وحسن الثاني في الامور

(٥) الحيطه : الاحتياط

(٦) الناصية : مقدم الرأس

(٧) الانشوطه : عنده يسهل حياها

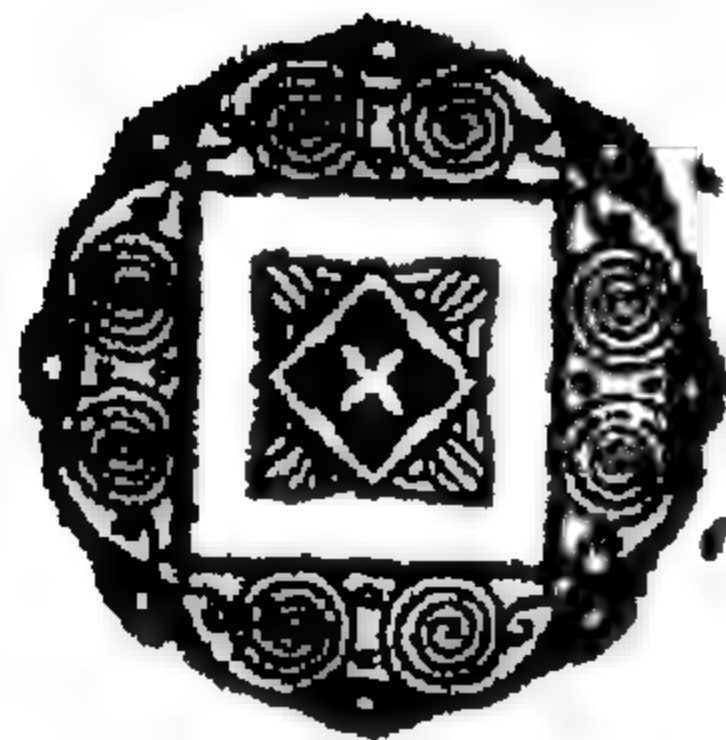
(٨) الكسبي : رجل يضرب به المثل في الندامة

(٩) هيئات : اسم قبل ماض بمعنى بعد ، وهي مثلثة التاء

ألا إن من كان كذلك ، فهو يمتنّ عليهما قليلاً وليس لهم يقول ^(١) .
لأنّ العقل يربأ بالمرء ^(٢) أن يردّ الموارد الإهمال والأفكال . فالعاقل
من لا يردّ حتى يعرف الصّدّر ^(٣) . فهو يفاضل بين الصّورتين ليتركب
أخفهما . فإنّ في الشرّ خياراً . وليس العاقل من يعرف الخير والشرّ ،
وإنّ هو من يعرف خير الشرّين . فإنّ بعض الشرّ أهون من بعض .

فإليك ، أيّها النّاشي ، يساق الحديث :

احذر أن تباشّر عملاً قلّ الاستعداد له . ولا تترك عملاً من
أعمالك أتكالاً على ما سيجيء به القدر . فالعاقل من عقل وتوكل



(١) المفعول : العقل

(٢) يربأ بالمرء : يرفعه وينهض به ويمنعه

(٣) الصّدّر : الرجوع عن الماء بعد وروده

الاعتماد على النفس

لا شيء أضر بالإنسان من إهماله شؤونه نفسه ، مُعْتَبِداً على من يقوم له بها . هذا إن تَحَقَّقَ أَنَّ من يَعتَبدُ عليه يُأتِيهِ - إن دعاهُ - من غير تَرْتِيبٍ ^(١) ولا بُطء . أمّا إن كان نَصْرُهُ إِيَّاهُ أمراً مَشْكُوكاً فيه ، فَأَعْتَادَهُ عليه ضَرْبٌ من الخُنون

جاء في أمثال العرب : « مَعُوكَ خُرْجُكَ » ^(٢) ، يُقالُ ذاك لِلْمَشْكِيلِ على غيره . وذلك أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ السَّفَرَ مَعَ عِيَةٍ ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ : « إِنَّا نَخْذُوا لِي طَعَامًا وَآجِهًا لَوْهُ فِي خُرْجٍ ، أُصِيبُ مِنْهُ إِذَا أَحْتَجْتُ إِلَيْهِ » ، فَقَالُوا لَهُ : « مَعُوكَ خُرْجُكَ » ، أَيِ اتَّكِلَ عَلَيْهِ فِي مَطْعَمِكَ .

المُعْتَبِدُ على غيره يَكُونُ ضَعِيفَ الْإِرَادَةِ ، يَلِيدَ الْحَزْمِ ، خَامِلَ النَّفْسِ . وَمَا سَرَى هَذَا الدَّاءُ فِي أُمَّةٍ إِلَّا انْحَلَّ هَقْدُ اجْتِمَاعِهَا ، وَفَسَدَ نِظَامُ عُمَرَانِهَا ، حَتَّى تُصْبِحَ فِي مُوْتَخَرَةِ الْأُمَمِ . فَالْإِتِّكَالُ على غير النَّفْسِ مَدْعَاةُ الْإِقْرَاضِ ، لِأَنَّهُ يُلِيسُ الْإِنْسَانَ رِذَاءَ الضَّعَةِ ^(٣) وَالضَّعْفِ ، وَيَضْرِبُهُ عَنِ النَّظَرِ فِيمَا يَقُودُهُ إِلَى حُصُونِ الثَّوَةِ وَالنَّعَةِ ^(٤) .

يَنْشَأُ الطِّفْلُ مُعْتَبِداً - فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِهِ نَفْسِهِ - عَلَى آبَوَيْهِ ؛

(١) الترتيب : التسهل

(٢) الخرج : معروف . وجهه اخراج . ويجمع أيضاً على حرجة - بكسر الخاء وفتح الراء

(٣) الضعة : الانحطاط والخرسة

(٤) النعمة : بفتح الميم والنون ، وقد تسكن النون : العز ، والقوة ، والمعقل يتمتع به ، والعشيرة لأنها تنعمه فلا يقدر عليه من يريده من الاعداء

إلى أن يبلغ أشده (١) . ثم يدخل غمار الحياة (٢) ؛ وهو لا يعرف
للا تسكاه على عصا نفسه معنى ؛ لأنه لم يتعود ذلك في نشأته الأولى
- وإكل أمرى من دهره ما تعود - فيؤيد بذلك الأمة بلاء على
بلائها ، ويخذلانا على خذلانها .

متى نشأ الولد فليعوده أبواه الاعتماد على نفسه ، في كل أمر من
أمره ؛ حتى إذا شب كان رجلاً يخدم الأمة بخدمة الرجل القوي
القادر . ومتى كثرت مجموع الشبان المشككين على أعصاب (٣) أنفسهم ،
تكونت منهم أمة صالحة لأن تكون وارثة الأرض .

نحن في حاجة إلى شأن جيلوا على الاستقلال في الفكر والاعتماد على
النفس . وما تأخرنا إلا بعد أن ضعف فينا هذان الخلقان وما ترقى
العربون ، وبلغوا الغاية القصوى (٤) ، من المدنية والعمران والسلطان (٥) ،
إلا بعد أن ربوا بشأهم (٦) عليها .

وليس معنى ذلك أن ينشأ الولد منفرداً برأيه ، مستبداً بفكره ،
لا يستشير أهل العقل والعلم . وإنما هو أن لا يتروك التفكير والعمل
معتبداً على أن غيره يتفكر أو يعمل . فإن رأى أن فكره غير أضمن
إتباع العمل من فكره ، انقاد له وتمسك بعراه (٧) . وإلا مضى فيما

(١) يبلغ أشده : يشب ويتقوى

(٢) غمار الحياة : شدائدها

(٣) الأعصاب : جمع عصب وهو الساعد

(٤) القصوى : البعدى ، موث الاقصى

(٥) السلطان : السلطة والقدرة

(٦) النشأ - فتح الشب - والنش - استكونها : جمع ناشئ

(٧) العرى : جمع عروة وهي كل ما يوثق به ويعول عليه . وأصلها : مقص
الدلو والكوز ، وما يدخل فيه الزر من القميص ومحوه

يُتَغَيَّرُ فِيهِ ، وَأَخْرَجَ عَمَلَهُ إِلَى حَيْزٍ ^(١) الْوُجُودِ .
فَتَقَوَّدَ ، أَثِيهَا النَّاشِي ، الْأَعْتَادَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَالْاِسْتِقْلَالَ بِرَأْيِكَ
— عَلَى نَحْوِ مَا شَرَحْتُ لَكَ — تَكُنْ مِنَ الْمُفْلِحِينَ .
وَأَحْذَرِ أَنْ تَنْقَادَ لِرَأْيِ يَدْفَعُكَ فِي الْهَاطِيَةِ ، أَوْ تُذْعِنَ ^(٢) لِمَنْ
لَا يَحْفِزُكَ إِلَى مَنَهِجِ السَّدَادِ ^(٣) .

وَلَا تَتَّبِعْ أَمْرَ مَنْ يُؤَمِّنُكَ مِنَ الْمَخُوفِ لِيُورِطَكَ ^(٤) فِيهِ بَلْ اتَّبِعْ
أَمْرَ مَنْ يُخَوِّفُكَ عَوَاقِبَ إِسَاءَتِكَ لِتَحْذَرَهَا فَإِنَّ مَنْ يُخَوِّفُكَ حَتَّى
تَلْقَى الْأَمْنَ شَفَقُ أَمَلِكَ بِمَنْ يُؤَمِّنُكَ حَتَّى تَلْقَى الْخُوفَ . وَقَدْ جَاءَ فِي
أَمْثَالِهِمْ : « أَمْرَ مُبَكِّياتِكَ ، لَا أَمْرَ مُضِحِّكَاتِكَ » ، أَيِ الْزَمِ مَنْ
يُبَكِّيكَ لِئِنْجِيكَ ، لَا مَنْ يُضَحِّكُكَ لِيُرْدِيَكَ ^(٥) . وَمَنْ خَالَفَ فِي هَذَا
الْأَمْرَ ، وَخَالَفَ النَّصِيحَ عَنْهُ ^(٦) ، سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ ^(٧) ،
فَكَانَتْ عَاقِبَتُهُ الْخُسْرَانُ .

إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ ، فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَتِّرِينَ ^(٨) ، فَاتَّبِعْ مَا يُلْقَى
إِلَيْكَ ، يُبَارِكُ اللَّهُ عَلَيْكَ .

(١) الحيز : المكان والجهة

(٢) تذعن : تخضع وتطيع

(٣) يحفزك : يدفعك . المنهج : الطريق الواضح . السداد : الصواب

(٤) يورطك : يوقمك فيما لا تنخلص منه . وأصل معناه : يوقمك في الورطة

— بفتح الواو وسكون الراء — وهي الحوة الغامضة ، والحلكة ، والشدة ، وكل

امر شاق تعسر النجاة منه . يقال اورطه وورطه تويطاً اذا اوفعه في الورطة

(٥) يرديك : يهلكك

(٦) خالفني من الامر : ولي عنه وأنا اريده . وخالفني الى الامر : قصده

وأنا مول عنه

(٧) السرحان : الذئب . والكلام مثل لمن ذهب في طلب امر فكانت

عاقبته الهلاك

(٨) المتتمرين : الشاكين . امتدحني في الامر : شك فيه وارتاب

التربية

إن هؤلاء الأطفال سيكونون في المستقبل رجالاً . فإذا تعودوا
الأخلاق الصالحة التي تُعلي شأنهم ، وحصلوا من العلوم ما ينفعون به
وطئهم ، كانوا أساساً مكيناً ^(١) لنهضة الأمة . وهذا أمر لا يختلف فيه
أثنان . وإن استعادوا ^(٢) سافل الأخلاق ، وهجروا العلم الذي هو
سبب حياة الأمم ، كانوا ويلاً على الأمة ، وشرّاً على البلاد التي
يقطنونها ^(٣) .

وقد ذكرت لك ، أيها الناشئ ، فيما مضى من العظات أجزاء
صالحاً من الأخلاق حميتها وقبيلها ، وأوضعت لك ما يجب عليك التخلُّق
به ، وكشفت عن الأخلاق الفاسدة التي ينبغي لك أن تنفر منها بفرقة
الصحيح من الأحرب . فاختَر بعد ذلك ما تراه لك قاصداً وما
إخالك ^(٤) مختاراً إلا ما أرشدتك إلى اختياره ، لأنك تعلم جيداً العلم
أنني لك قاصح أمين .

التربية ، أثيها القوم ، أمرٌ عظيم الخطر ^(٥) ، كبير القيمة .

(١) مكيناً : قوياً

(٢) استعادوا : تعودوا

(٣) يقطنونها : يسكنونها

(٤) إخالك : إظنك

(٥) الخطر : الشرف وارتفاع القدر

هو « الطِّفْلُ » - كما قال الإمام الغزالي - أمانة عند والدَيْه . وقلبه الطاهر
 جوهرة نفيسة خالية عن كل نقش وصورة . فإن عود الخير وعلمته
 نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركة في ثوابه أيواء وكل
 معلم ومؤدب . وإن عود الشر وأهمل شقي وهلك . وكان
 الوزر^(١) في رقة واهية والقيم عليه^(٢) .

التربية هي عرس الأخلاق الفاضلة في نفوس الناشئين ، واستقيها بقاء
 الإرشاد والنصيحة ؛ حتى تصبح ملكة^(٣) من ملكات النفس ؛ ثم
 تكون ثمراتها الفضيلة والخير وحب العمل لنفع الوطن

فحب تربية الطفل على الشجاعة ، والإقدام ، والحدود ، والصبر ،
 والإخلاص في العمل ، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ،
 وشرف النفس ، والجرأة^(٤) الأدبية ، والذين الخالص من الشوائب^(٥) ،
 والمدنية المشرقة عن الفساد ، والحرية الصحيحة في القول والعمل ،
 وحب الوطن .

وعلينا أن نربي فيه ملكة الإرادة والصدق ، وحب إعانة
 البائسين^(٦) والمَشروعات الناعمة ، وأن نعوّده القيام بالواجب . الى

(١) الوزر : الذنب

(٢) ولي للطفل والقيم عليه : من يتمده ويعوم شؤونه

(٣) ملكة : صفة راسخة

(٤) الجرأة : الشجاعة

(٥) الشوائب : الاحلاط ، والميوب والادناس

(٦) البائسين : جمع بائس وهو من اشتدت حاجته

غير ذلك من الأخلاق الشريفة ، وأن تُساعد بيته وبين أضداد هذه الأخلاق .

والكنّ الحال اليوم عندنا على غير ما شرّحنه :

فالطفل - وهو في اللأئف - يُحوّفه أبواه بالغيلان و « السباع »
إرهاماً^(١) ، ليخلصا من صراخه . وما يدريان أن نفس الطفل
- كالشعلة اللينة - قابلة لكل نقش ، أو كفاقل الهيثة « الفتوغراف »
ينطبع في زجاجته كل صورة . فإذا ما نشأ عاودته تلك النقوش
والصور التي طابعها في مخيلته^(٢) أبواه . حتى إذا رأى غير شيء ظنّه
شيئاً . وكانت حياته - بتأجنيأه عليه - حياة خوف وجبن
وأوهام .

فإذا جاور الطفل دور الطفولة إلى دور غير - فكان
دارجاً^(٣) ، فحفرأ^(٤) ، فبافعاً^(٥) - أحذا يُريانه تربية الحيوانات
العجم . بالانتهاز تارة ، وبالضرب المبرح^(٦) تارة أخرى . ولا تسَل عمّا

(١) إرهاماً : تخويفاً

(٢) المحيلة : القوة التي تخيل الأشياء وتصورها وهي مرآة العقل

(٣) الدارج : الصبي الذي دب وعنا

(٤) الحفر - بالخاء المهملة : الصبي الذي سقطت روضه ، وهي اسنانه التي تنبت
وهو في الرضاعة

(٥) البافع : من قارب العشرين من عمره . او هو من قارب البلوغ

(٦) الصرب المبرح : الذي يوذى الجسم

يَسْتَعِهْ مِنْ أَتَوَيْهِ مِنْ بَذِيّ الْكَلَامِ ^(١) وَالْكَذِبِ وَالزِّفَاقِ ، بَلَه ^(٢) مَا يَكْتَسِبُهُ مِنْ سَيِّئِ الْأَخْلَاقِ .

وكثيراً ما تكونُ حياتهُ المدرسيّةُ ليست خيراً من حياته البيتيّة ،
مُخْصِراً إذا كان الأستاذُ أو المُربي رَمَنَ غَلْظَتِ طِبْأُهم ، وَخَشَنَتِ
أَحْلَاقُهم ، وَفَسَدَتِ ضَمَائِرُهم . وَإِنْ اتَّفَقَ أَنَّهُ دُفِعَ إِلَى مَدْرَسَةٍ كَامِلَةٍ ،
فَإِنَّهُ يُضَيِّعُ فِي بَيْتِهِ مَا كَسَبَهُ فِي مَدْرَسَتِهِ .

ومتى شَبَّ النَّاشِئُ : كَانَتْ حَيَاتُهُ فِي أُمْتِهِ صُورَةً مُكَبَّرَةً عَنْ حَيَاتِهِ فِي
بَيْتِهِ وَمَدْرَسَتِهِ . فَإِمَّا أَنْ تَحْيَا بِهِ الْأُمَةُ حَيَاةَ السَّعَادَةِ ، إِنْ كَانَ قَدْ تَرَبَّى
تَرْبِيَةً صَحِيحَةً ؛ وَإِمَّا أَنْ تَحْيَا حَيَاةَ الشَّقَاءِ - بِمَا يَجْنِيهِ عَلَيْهَا - إِنْ
تَرَبَّى تَرْبِيَةً فَاسِقَةً .

رَبِّي ، أَيُّهَا الْأُمَةُ ، النَّابِتَةُ ، تَكُنْ لَكَ عَوْنًا وَسَاعِدًا ، وَتَنْهَضْ
بِكَ مِنْ كِبُورٍ ^(٣) الذُّلِّ وَالْخَمُولِ .

وَأَنْتُمْ ، أَيُّهَا النَّاشِئُونَ ، تَعَوَّدُوا الْخُلُقَ الصَّالِحَ ، وَأَقْدِرُوا عَلَى
الْعِلْمِ النَّافِعِ .

إِنَّ مَيِّدَانَ الْعَمَلِ أَمَامَكُمْ ؛ فَاسْتَعِدُّوا لِخَوْضِ غَمَارِهِ ^(٤) .

(١) بذي الكلام : فاحشه وقيحه . ورجل بذي وبذي : فاحش . والبذاء
والبذاءة والبذاوة : فحش الكلام . يقال : بذو يبذو بذاء وبذاوة فهو بذي ،
وبذو يبذو وبذا يبذأ بذاء وبذاءة فهو بذي .

(٢) بله : اسم فعل امر بمعنى دع واترك .

(٣) الكِبُورَةُ : السفطة .

(٤) الغمار : جمع غمر وهو الماء الكثير البعيد النهر .

اليومَ الاستعدادُ لخدمة الأمة ؛ وهناك - بعد أنصرام^(٥) زَمَنِ
الصِّبَا - يكونُ السِّبَاقُ ؛ وسأرى من يكونُ الفائز . فَمَنْ جَدَّ اليومَ
قالَ في القَدِّ . ومهما يفعلُ النَّاشِءُ في هذه السِّنِّ ، فسوفَ يُلاقِيهِ في
زَمَنِ الشَّبَابِ .

فما أعددتُ ، أيها النَّابتُ ، لِقَدِّكَ ؟ وأيَّ عَمَلٍ تَعْمَلُ الآنَ ،
لتكونَ أمُّكَ سعيدةً بك في المُسْتَقْبَلِ ؟

- أعددتُ هِمَّةً ونشاطاً ، وعِلماً وأخلاقاً ، وغيرةً وحيَّةً ،
ومَحَبَّةً وَطَنِيَّةً .

- بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ ، وَحَقَّقَ آمالنا فيكَ ؛ فَبِكَ يَعْزُرُ الْوَطَنُ ،
وَقَمِيَا الْأُمَّةَ .



خاتمة المقالات

السلام عليك ، أيها الناسي ، ورحمة الله وبركاته .
وبعدُ فإنَّ صديقك - صاحبَ العِظَمَات - يُودِّعُكَ وداعَ
مُحِبٍّ لك ، راغبٍ في نجاحك ، ويرجو منك أن لا تَنْبَذَ ^(١)
عِظَاتِهِ ظَهْرِيًّا . فإنَّ رُوحَ المُطَالَعَةِ أن تعملَ بما تَقْرَأ . وما ضرَّ
هذا الشَّرقَ إلَّا تركُ العملِ بما يَعْلَمُ .

إنَّ الأُمَّةَ تُناديك . فليكنَّ جَوَابُهَا العملَ لِمَا يُحْيِيهَا ،
والسَّعيَ في إِصْلَاحِ شُؤْنِهَا . وأَعْلَمُ أَنَّكَ لا تُحْيِي حَيَاةً طَيِّبَةً إلَّا
بِحَيَاتِهَا ، وَقُوَّةَ بَاسِهَا ^(٢) ، وَاسْتِيعَارَ عُمَرَانِهَا ^(٣) ، وَبَسْطَةَ
سُلْطَانِهَا ^(٤) . فَأَحْزَمُ وَأَعْمَلُ ؛ فَإِنَّ العملَ سَعَادَةُ الحَيَاةِ :

إذا ما شئتَ أن تُحْيِيَ عَزِيزاً
مَهْيَبَ الْبَاسِ . مَرُوضَ الْقَنَاءِ ^(٥)

(١) تَنْبَذَ : طَرَحَ

(٢) الْبَاسُ : الشَّدَّةُ والقُوَّةُ

(٣) اسْتِيعَارَ الْعُمَرَانِ : اتِّسَاعَهُ وَابْتِسَاطَهُ

(٤) السُّلْطَانُ : القُوَّةُ وَالسَّاطَةُ وَالسَّيْطَرَةُ

(٥) مَهْيَبٌ : مَخُوفٌ . مَرُوضُ الْقَنَاءِ : تَحْمِلُ قَنَاتِكَ بِالْمَرَضِ . وَالْقَنَاءُ الرِّمَحُ .

وَعَرَضُ الْقَنَاءِ - أَيِ حَمْلِهَا بِالْمَرَضِ : كُنَايَةٌ عَنِ الْعِزَّةِ وَالْإِمْتِنَاعِ

فلا تَرَجُ الحَيَاةَ بِغَيْرِ حَزْمٍ
يَقُلُّ السَّيْفُ مَحْدُودَ الشَّابَةِ (١)
وَيَتَرَكُ فِي ضَمِيمِ الدَّهْرِ جُرْحاً
يُتَعَيَّرُ دَاوُدُ نَطْسَ الْأَسَاةِ (٢)
فَهَلْ مِنْ نَهْضَةٍ ، يَأْنِسُ ، تُدْنِي
بِهَا تِلْكَ الْأَمَانِي النَّائِيَاتِ ؟ (٣)
وَهَلْ مِنْ نَجْدَةٍ مِنْكُمْ ، فَتَسُو
إِلَى أَعْلَى النُّجُومِ الزَّاهِرَاتِ ؟ (٤)
وَهَلْ مِنْ هِمَّةٍ وَتَبَاتٍ جَاشٍ
نَهْدُ بِهِ الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ ؟ (٥)
فَقَدْ طَالَ الْخُمُولُ ، وَنَحْنُ نَلْهُو
عَنِ الْخُلُقِ الْأَرَبِيِّ بِالْمُخْزِيَاتِ (٦)

- (١) يفل السيف : يثلمه أي يحدث فيه شقوقاً . محدود : مشحوذ مسنون .
الشابة : حد السيف والسكين ونحوهما ، وجمعها شبا وتبوات
- (٢) الضميم . العظم الذي به قوام العضو . النطس - ضم النون والطاء : الاطم .
الحذاق وطبيب نطس - بفتح النون وسكون الطاء وكسرهما : العالم . الاساة :
الاطباء ، والمفرد آس ، والانتى آسية ، وجمعها آسيات وأواس
- (٣) تدني : تقرب . الاماني : جمع أمنية وهي ما يشتهي الانسان ويجوز
في الاماني تشديد الياء وتخفيفها النائيات : البعيدات
- (٤) النجدة : القوة ، والشدة والمعونة . الزاهرات المتلألآت بالانوار
- (٥) الجاش : النفس
- (٦) الاي : الممتنع مما يعيب . ويجوز تشديد يائه وتخفيفها . المخزيات :
الاعمال التي تخزي صاحبها ، أي توقمه في الخزي ، وهو الهوان والعقوبة
والبعد والندامة

فَكَمْ قَدْ قَامَ فِينَا مِنْ هُدَاةٍ
وَلَكِنْ لَا تُنْهَنُ بِالْعِظَاتِ (١)

فَهَبُوا ، أَيُّهَا النَّاشُوتُونَ ، إِلَى الْمَجْدِ ، وَسِيرُوا فِي سَبِيلِ
الْعِزِّ ، فَإِنِّي :

أَرَى الْمَجْدَ الَّذِي نَبْغِي عَتِيداً
أَقَامَ لِطَالِبِيهِ بِالْوَصِيدِ (٢)
فَهَبُوا نَحْوَهُ وَدَعُوا التَّوَانِي
وَسِيرُوا سِيرةَ الرَّجُلِ الرَّشِيدِ (٣)
أُعْجِبُكُمْ بِأَنْ نَبْقَى رُقُوداً
عَنِ الْعَلْيَاءِ ، نَرْسُفُ فِي الْقِيُودِ (٤)
نَصَعْتُ لَكُمْ ، وَفِي هَذَا بَلَاغٌ
لِقَوْمٍ رَاغِبِينَ عَنِ الْجُمُودِ (٥)



- (١) الهداة : جمع هاد . لا تنهه : لا تترحر
(٢) عتيداً : مهياً حاضراً . الوصيد : فناء الدار ، واعتبتها
(٣) دعوا : اتركوا . التواني : التقصير والتحمل
(٤) رقوداً : نياماً . نرسف : نثني مشية المقيد
(٥) بلاغ : كفاية

ان ما ورد من الشعر في هذه العظة هو لصاحب العظات

مضامين الكتاب

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الارادة	٨٤	مقدمة	٢
الرعاية والرئاسة	٨٨	الاقدام	٥
عشاق الرعاية	٩١	العبر	٨
الصدق والكذب	٩٥	النفاق	١٠
الاعتدال	٩٨	الاخلاص	١٣
الجود	١٠٠	البأس	١٦
السعادة	١٠٤	الرجاء	٢٠
القيام بالواجب	١٠٧	الجن	٢٢
الثقة	١١١	التهور	٢٦
الحسد	١١٦	الشجاعة	٢٩
التعاون	١١٩	المصلحة المرسلة	٣٣
التفريط والانتقاد	١٢٢	الشرف	٣٧
التعصب	١٢٩	المحبة واليقظة	٤١
ورثاء الارض	١٣٤	الثورة الادبية (١)	٤٦
الحادث الاول	١٣٨	الامة والحكومة	٥٠
انتظر الساعة	١٤١	الفور	٥٣
التجويد	١٤٥	التجدد	٥٧
المرأة	١٤٨	النرف	٦١
اعقل وتوكل	١٥٢	الدين	٦٥
الاعتماد على النفس	١٥٦	المدنية	٦٩
التربية	١٥٩	الوطنية	٧٣
خاتمة العظات	١٦٤	الحرية	٧٦
		انواع الحرية	٨٠

تَحْتِ رَايَةِ الْقُرْآنِ

تأليف

نابغة الادب ، وحجة العرب ، الاستاذ

مصطفى صادق الرافعي

في الرد على الدكتور .

إطه مدين

في كتابه (في الشعر الجاهلي)

يقع في ٤٠٤ صفحة بالقطع الكبير

ثمنه ١٥ قرشا مصرياً

يطلب من المكتبة الاهلية - في بيروت

ومن مكتبات : مصر وسورية والعراق وتونس

